



القرن للدراسات التاريخية والعضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان
بالنشر بأكف مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك



ISSN:1858-9952

مجلة العلمية للدراسات التاريخية والعضارية علمية دولية ربع سنوية محكمة - العدد الخامس والعشرون - ذو القعدة 1444 هـ - يونيو 2023 م

في هذا العدد :

- دور قبائل التبو في المقاومة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي (1911 - 1990 م)
د. أحمد محمد زين جمعة
- اتفاق كامب ديفيد (1978) وأثره على العلاقات المصرية الإسرائيلية (التطبيع)
د. سامي محمد علقم
- دور الأحزاب السياسية في التحول الديمقراطي في السودان (حزب الأمة (1945-1989 م) (أموذجا)
د. علي أحمد عباس محمد
- التعليم الأهلي في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز (1343 - 1373 هـ / 1924 - 1953 م) (دراسة تاريخية)
أ. سهام حسن مرعي معشي
- البداية ودورها الأمني والعسكري بمنطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز (1338 - 1373 هـ / 1920 - 1953 م)
أ. سعيد بن عبدالله بن علي جفشر
- المصنفات العلمية لعلماء الأسر الشافعية المكية من القرن الثامن إلى العاشر الهجري - الرابع عشر إلى السادس عشر الميلادي (دراسة تاريخية تحليلية)
أ. أروى علي الزهراني
- المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد (1920 - 1960 م) (دراسة تاريخية تحليلية)
أ. عبد الواحد محمد داود - د. يسرية موسى أحمد جمال الدين
- مكاتب منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية في العصر الحديث (1395 - 1436 هـ / 1975 - 2015 م) (دراسة تحليلية)
أ. فاطمة عيد الله صالح الغامدي
- الأوقاف وأنواعها في الأحساء (1331 - 1395 هـ / 1913 - 1975 م) (دراسة تاريخية تحليلية)
أ. حمد فرج خرصان العرجاني



العدد الخامس والعشرون - ذو القعدة 1444 هـ - يونيو 2023 م

ردمك ISSN: 1858 - 9952



دار آريثريا للنشر والتوزيع
Arythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
مجلة القلزم: Alqulzum Journal for
Historical and cultural Studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2023
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

الهيئة العلمية و الإستشارية

- أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان
أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية
أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان
أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان
أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية
أ.د. السمانى النصري محمد أحمد - السودان
د. أحمد الياس الحسين - السودان
د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان
د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية
د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر
د. محمد أحمد زروق- المغرب
د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان
د. أحمد محمد مركز- السودان
د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا
د. عزة محمد موسى - السودان
د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفتاح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الْقُلُزْم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
 2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
 3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً بالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
 4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
 5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
 6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
 7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
 8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
 9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).
- نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

دور قبائل التبو في المقاومة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي (1911 - 1990م).....(7-22)

د. أحمد محمد زين جمعة

اتفاق كامب ديفيد (1978) وأثره على العلاقات المصرية الإسرائيلية (التطبيع).....(23-42)

د. سامي محمد علقم

دور الأحزاب السياسية في التحول الديمقراطي في السودان (حزب الأمة (1945 - 1989م) (أهمودجا) (43-70)

د. علي أحمد عباس محمد

التعليم الأهلي في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز (1343 - 1373 هـ / 1924 - 1953م)

(دراسة تاريخية).....(71-104)

أ. سهام حسن مرعي معشي

البادية ودورها الأمني والعسكري بمنطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز

(1338 - 1373 هـ/ 1920 - 1953م).....(105-134)

أ. سعيد بن عبدالله بن علي جفشر

المصنفات العلمية لعلماء الأسر الشافعية المكية من القرن الثامن إلى العاشر الهجري-الرابع

عشر إلى السادس عشر الميلادي (دراسة تاريخية تحليلية).....(135-160)

أ.أروى علي الزهراني

المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي تشاد (1920 - 1960م) (دراسة تاريخية تحليلية).....(161-184)

أ. عبد الواحد محمد داود - د. يسرية موسى أحمد جمال الدين

مكتبات منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية في العصر الحديث (1395 - 1436 هـ/ 1975 - 2015 م)

(دراسة تحليلية).....(185-198)

أ.فاطمة عبد الله صالح الغامدي

الأوقاف وأنواعها في الأحساء (1331 - 1395 هـ/ 1913 - 1975م) (دراسة تاريخية تحليلية).....(199-224)

أ.حمد فرج خرصان العرجاني

كلمة التحرير



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد الخامس والعشرون من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتيها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار أربع وعشرون عدداً من المجلة، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدٍ كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي. وأخيراً نجدد شكرنا وامتناننا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجالات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

دور قبائل التبو في المقاومة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي (1911 – 1990م)

محاضر - المعهد العالي لإعداد المعلمين
جامعة أنجمينا - تشاد

د. أحمد محمد زين جمعة

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بقبائل التبو الذين يسكنون في شمال تشاد على الشريط الحدودي الجنوبي المتاخم لليبيا، وقد عاش التبو في بيئة صحراوية قاسية، لم يعرفوا حياة الاستقرار إذ كانوا ينتقلون بماشييتهم وإبلهم بين الشمال والجنوب، وامتنعوا زراعة النخيل، ومارسوا التجارة مع الجنوب الليبي، كما أنهم شكلوا في بعض الأوقات خطراً على تجارة القوافل. وقد قام التبو بدور مقدر في مقاومة الزحف الفرنسي نحو تشاد، وتضامنوا مع الحركة السنوسية والقبائل الليبية التي استقرت في شمال تشاد في التصدي للاستعمار الفرنسي، كما أنهم عانوا مثل غيرهم من القبائل التشادية من ظلم وتهميش الاستعمار الفرنسي لهم. ولما استقلت تشاد في عام 1960م وتسلم الرئيس تمبلباي حكم البلاد، استمرت معاناة التبو، وتعرضوا لمعاملة قاسية من قبل رجال تمبلباي الذين استخدموا كل أنواع الظلم والبطش في جباية الضرائب وإهانة المواطنين، مما ولّد الثورة في نفوسهم فتمردوا على حكم تمبلباي الذي عاني منه كافة أبناء الشمال الذين أنشأوا حركة التحرير الوطني (فرولينا) لمناهضة الظلم الذي وقع عليهم، فانضم التبو إلى هذه الحركة، وقد استغلت فرنسا الأوضاع المتدهورة في البلاد وأدخلت بعض العناصر الموالية لها لشق صفوف الثوار، كما أنها سحبت الدعم عن الرئيس تمبلباي الذي تمرد عليها. وفي ظل الأوضاع المتأزمة تمكن التبو من الوصول إلى السلطة، وحكم اثنان من أبنائها البلاد وهما كوغوني وداي الذي حكم لفترة قصيرة، وحسين هبري الذي جاء إلى الحكم مدعوماً من قبل فرنسا 1982 – 1990م فحكم البلاد حكماً دكتاتورياً معتمداً على اثنيته فتدهورت الأوضاع تدهوراً كبيراً، واندلعت الحروب، وانفلت الأمن، ووصلت تشاد إلى درجة كبيرة من سوء الأوضاع وكان للثنية دور كبير في هذا التفكك والانحلال الذي شهدته البلاد. توصي الدراسة بأن يكون للثنية دور إيجابي في جمع أبنا الوطن الواحد وتوحيد كلمتهم للانطلاق نحو البناء والتنمية والتقدم والرقى.

الكلمات المفتاحية: التبو، فرولينا، تمبلباي.

The Role of the Toubo Tribes in Chad in the National Resistance against the French Occupation (1911 – 1990 AD)

Dr. AHMAT MAHAMAT ZENE DJOUMA

Abstract:

The study aimed to identify the Toubo tribes who live in the North of Chad in Southern Libyan border, they live in a harsh desert environment, they do not know the life of stability. They roamed with their cattle's and camels between the North and South. They also cultivate palm trees, and practice trade with Southern Libya, and posed sometimes threat to the caravan trade. The Toubo tribes played a great role in resisting the French Colonialism in Chad, they supported the Senussi movement in confronting French colonialism. The Toubo, like other Chadian tribes, suffered from oppression and marginalization of the French Colonialists. When Chad became independent in 1960 and Tombalbaye, took the power, the suffering of Toubo continued and they were subjected to harassment and harsh treatment by the civil servants employees from the South, who used all kinds of injustice and oppression to collect taxes and insult them, so they rebelled against Tombalbye rule and joint the National Movement Liberation (Frolina). In light of the ongoing conflicts in the country during Tobalbaye regime, and the French intervention in Chadian affairs, Toubo ethnicity took the power of the state. Hussein Habre was brought to power with support of France. He ruled Chad as a dictatorship based on his ethnicity, this led to deterioration of the internal situation and the outbreak of wars and insecurity.

Keywords: Toubo, Frolina, Tombalbye.

مقدمة:

خضعت تشاد لاستعمار فرنسي عنيف استنزف موارد البلاد البشرية والاقتصادية، كما استهدف لغة البلاد ودينها وثقافتها بشكل أساسي. ولم يقف التشاديون أمام الزحف الفرنسي مكتوفي الأيدي بل قاوموه بضراوة بكافة قبائلهم وأعراقهم ومناطقهم. وقد ضمت تشاد مجموعة كبيرة من الشعوب والقبائل، هذه الشعوب والقبائل تختلف وتتباين أشد ما يكون الاختلاف

والتباين لغة ودينياً وعادات وتقاليد، ويقدر عددها بحوالي مائة وخمسين قبيلة تتحدث مائة لهجة محلية، وكل لهجة من هذه اللهجات ذات قيمة جوهريّة للمتكلمين بها. ومن بين هذه القبائل نجد العنصر الزنجي والعنصر الحامي والعنصر السامي، وعناصر لا تزال تثير لغزاً يستعصى علي الحل، وكثيراً ما تتداخل هذه العناصر وتمتزج نتيجة للتزاوج والهجرات والعوامل الاقتصادية والسياسية⁽¹⁾.

إن رؤية المجتمع التشادي وعاداته وتقاليده تعطي من البداية انطباعاً لفردية ضاربة تقترب من الفوضى، وتتحكم فيه الأعراف بقدر ما يتحكم المناخ في التقدم الحضاري للشعوب⁽²⁾.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تبرز جزءاً مهماً من المقاومة الوطنية في تاريخ تشاد الحديث، وما واجهته من تحديات كبيرة تمثلت في وسائل وأساليب عدة استخدمتها القوي الاستعمارية من أجل اختراق المقاومة.

ثم تطرح هذه الدراسة بعضاً من الحلول الشاملة والواقعية لتجاوز تلك الأساليب والعقبات التي تقف أمام الوحدة الوطنية.

أهداف الدراسة:

– تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور التبو في المقاومة الوطنية التشادية ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد.

– إظهار أهمية التعاون والتنسيق بين القبائل الحدودية من أجل التخلص من الهيمنة الاستعمارية.

– تأكيد مدى أهمية المشتركات العرقية والدينية والعادات والتقاليد في إيجاد الوحدة واللحمة بين مكونات الشعب نحو تحقيق هدف مشترك.

من هم التبو: تعد قبائل التبو والتيدا من القبائل الهامة في تاريخ تشاد القديم، وقد سكنوا المنطقة الشمالية التي تضم الإقليم الذي يقع في نطاق الصحراء الكبرى، وتمركزوا في منطقة جبال تيبستي المتاخمة لإقليم فزان الواقع جنوب ليبيا، ومن اسم جبال تيبستي استقوا اسمهم (تيبو) ومعناه سكان الجبل، أما القسم الذي سكن الواحات وسفوح الجبال فأطلقوا عليه اسم (تدا) ومعناه سكان سفح الجبل في لغتهم، والذين سكنوا منهم الإقليم الجنوبي المتاخم لمنطقة البلالة الوسطي أطلقوا عليهم (الدزا)⁽³⁾. والتيدا انتشروا في الإقليم الشمالي والصحراء الليبية ومنطقة الكفرة وما والاها، أما الدزا فكانوا يعيشون في مناطق تيبستي وبوركوا وفايا وإيندي، وهذه تعد أهم مدن الإقليم الشمالي الصحراوي، وفي القرن الثالث عشر الميلادي قست الطبيعة الصحراوية وانتشرت موجه من الجفاف فرحل الكثير منهم وسكنوا منطقة وداي وعراضة ومنهم من سكن منطقة دارفور⁽⁴⁾. وهناك قسم كبير من قبائل التيدا نزحوا إلى جنوب منطقة كانم الوسطي التي من أهم مدنها (ماو) وبحر الغزال، وقد أطلق عليهم العرب اسم القرعان وقد أخذ كتاب أوروبا في العصور الوسطي بهذه التسمية، ولكن الطوارق أطلقوا علي قبائل التيدا اسماً آخر وهو اكاردا ثم حرف إلي كريدا⁽⁵⁾.

يشير إبراهيم طرخان إلى أنه منذ القرن السابع الميلادي انقسم التبو إلى قسمين من حيث الحياة الاجتماعية، منهم من فضل حياة الاستقرار، وهؤلاء سكنوا منطقة بحر الغزال وماو، واشتغلوا بالزراعة وبعض الحرف التي يتعيشون منها، والقسم الثاني منهم فضل حياة الترحال، وهؤلاء عاشوا في تنقل بين إقليم بحر الغزال والإقليم الشمالي ومنطقة تبيستي فكانوا دائماً يسبون الاضطرابات، وعدم الخضوع لسلطة مركزية، وكانوا دائماً الخروج علي الدولة، إذا اتلفوا في الشمال انتقلوا إلى الجنوب حول بحيرة تشاد، وإذا اتلفوا في الجنوب ارتحلوا إلى الشمال، وهكذا كان دأبهم طوال الحقب التاريخية، يميلون إلى إثارة الشغب والفوضى ولا يخضعون لتعاليم الدين الإسلامي، فمع أنهم صاروا أتباعاً لهذا الدين إلا أنه لم يغير من حياتهم الأولى، وعاشوا حياة الجاهلية، حيث يعيشون على قطع طرق القوافل التجارية المحملة بالبضائع القادمة من الشمال إلى الجنوب، أو تلك الذهابية إلى الشمال، ولا يلتزمون بالعهد والمواثيق التي يقطعونها علي أصحاب القوافل⁽⁶⁾. ومن خصائصهم الجسمانية، القامة المتوسطة، والشفاه الرقيقة، والأنف المستقيم، والشعر الناعم، وهم سود متزنجون بسبب اندماجهم في الزنوج، وأما مظاهر حضارتهم فيقال إنهم ساهموا في إدخال صناعة الحديد والأسلحة الحديدية، إلا أن بعض الكتاب يذكر أن صناعة الحديد التي دخلت السودان الأوسط والغربي جاءت أصلاً من مصر⁽⁷⁾. ويذكر محمد سعيد القشاط: أن قبيلة التبو قبيلة عربية سكنت المنطقة منذ القدم واستقرت بجبال تبيستي وبها سُميت، كما يذكر القشاط إلى أن هيردوت أشار إليهم، وأنهم من سكان ليبيا، ويعتبرون من عرب الصحراء هاجر أجدادهم القدماء من الجزيرة العربية قبل الإسلام واستقروا بجنوب ليبيا وشمال تشاد وشرق النيجر⁽⁸⁾.

وينقسم التبو إلى قسمين:

1. التيدا يعيشون في جبال تبيستي.
2. الداذا يعيشون في بركو وايندي.

وينقسم كل من هذين التجمعين إلى قبائل شتى، ويمتهن التبو تربية الماشية والرعي والصيد والتجارة، وهم يسيطرون على طرق القوافل القادمة من فزان باتجاه بحيرة تشاد ونيجيريا⁽⁹⁾.

وفي القديم كان التبو يغيرون كغيرهم من القبائل العربية على القبائل المجاورة. ويملك التبو أعداداً هائلة من الإبل والماشية، أما قسمهم الجنوبي فيملك البقر. وهم محاربون أشداء، يصبرون على الجوع والعطش، ويتخذون من نبات الحنظل طعاماً لهم بعد أن يطبخوا يذوره ويدقونها ويخلطونها بالتمر⁽¹⁰⁾. وقد بدأت تتضح صورة توزيعهم بدقة منذ القرن الثاني عشر، فالتيدا الذين كانوا يعيشون في جبال تبيستي انتقلوا إلى منطقة جازو وكوار، أما الداذا فقد هجروا إقليم بركو وانتقلوا إلى إقليم بحر الغزال، وهؤلاء أصبحت لهم علاقات طيبة مع العرب نظراً لاحتراق القبائل العربية التي وفدت إلى تلك المناطق للرعي، فوجدت بينهم علاقات مثل تلك التي وجدت بينهم وبين الطوارق حينما كانوا يجاورونهم في موطنهم الأول في الشمال⁽¹¹⁾.

اللغة والتقاليد عند التبو:

من تقاليد التبو الموروثة، سمو مكانة المرأة عندهم، شأنهم شأن الطوارق وغيرهم من البربر، على الرغم من أنهم ليسوا من البربر، ويتركز نظام حكمهم في مجلس يتكون من كبار القوم ورؤساء العشائر، وهذا المجلس هو صاحب السلطة، ويعرف الزعيم أو الرئيس عندهم باسم (دردري). والتيدا يتحدثون عدة لغات، وهي لهجات متقاربة في المعنى ولكن اللغة الشائعة بينهم هي (التيداجا) وهي أقرب من حيث النطق والمعنى إلى اللغة الكانورية، وتختلف كل الاختلافات عن اللغة البربرية، وهم متعصبون لغتهم، ومع أنهم اعتنقوا الإسلام وبلادهم تقع في الإقليم المجاور لبلاد العرب في الشمال الإفريقي، إلا أنهم لا يحسنون التحدث باللغة العربية، في حين أن قبائل أخرى تسكن في الداخل وجنوب البلاد أحسنت التحدث بالعربية بطلاقة مثل شعب الدرن والموي، ويفضلون العيش في معزل عن القبائل الأخرى في الواحات والصحاري البعيدة عن الحضرة، وذلك خشية إحكام قبضة السلطان عليهم⁽¹²⁾. وهذا بطبيعة الحال يرجع إلى العزلة التي يفضلونها بدلاً عن الاختلاط مع غيرهم من القبائل المجاورة. ويكتفي أغلبهم بزوجة واحدة، ولم يغير الإسلام كثير من تقاليدهم الموروثة، وكانوا يكونون في القرن السادس عشر الميلادي نسبة كبيرة في جيش برنو⁽¹³⁾.

النشاط الاقتصادي:

لقد اعتاد سكان المنطقة اجتياز الحدود القائمة قبل توقيع اتفاقيات (لافال، موسيليني)*، وهي الوحيدة المعترف بها دولياً - حيث كانوا يجدون في كفرة وسبها، القمح والأنسجة والسكر والشاي والمنتجات المصنعة المتنوعة، ومن الصعب توجيههم نحو (بركو) أو إلى أي جهة أخرى، لأن الماشية تباع برواج وأسعار مغرية في ليبيا، كما أن التمر فيها أفضل مما هو عليه في (بركو). والمنتجات المستوردة رخيصة الثمن، وغالباً ما تتفق على نحو أفضل مع أذواق السوق المحلية، لذلك فإن اعتبار الحدود عقبة من شأنه أن يؤدي إلى نتائج غير محمودة لشعب البلدين⁽¹⁴⁾.

كما أنهم يمارسون زراعة النخيل، ويتعهد المزارع منهم بري المزرعة وإحاطتها بسور وإزالة الفروع الجافة، ويقوم بتلقيح النخيل، وجمع التمر ويتقاضى مقابل ذلك خمس المحصول كما يحصل على (الكرناف) وهو القدر من التمر الذي يسقط على الأجزاء من السقف المتروكة على النخيل، وذلك في واحات بوركو وإيندي وتبستي التي توجد فيها زراعة النخيل بكميات كبيرة، وقد قدر عدد النخيل في بركو بمليون نخلة، منها ثلاثمائة ألف نخلة مثمرة، تنتج سنوياً حوالي خمسة عشر ألف طن من التمر، وقدر عدد النخيل في إيندي بمليون نخلة، منها عشرون ألف نخلة مثمرة تنتج سنوياً ألف طن من التمر⁽¹⁵⁾. ومن التبو من عمل في التجارة، وهؤلاء انتشروا بصفة خاصة شرق كانم، والمعروف أن لغة التبو ترتبط بلغة الكانوري، وأنها قريبة الشبه بها بدرجة كبيرة⁽¹⁶⁾.

علاقة التبو بالسنوسيين:

وصل السنوسيون إلى تشاد في العام 1899م، فتمركزوا في المناطق الشمالية وأخذوا يمارسون العمل السياسي، بالإضافة إلى النشاط الدعوي والنشاط التجاري، وأصبحوا منذ ذلك التاريخ

يحتكرون تجارة الأسلحة والذخيرة والسكر والشاي والملح، والعاج وريش النعام والرقيق والعسل بين ممالك تشاد ودول حوض البحر المتوسط⁽¹⁷⁾. وقد انضم إليهم أولاد سليمان الذين وصلوا إلى تشاد منذ العام 1835م، من فزان، كما انضم إليهم أيضاً قبائل التبو وعدد من قبائل العرب والكانمبو والزغاوة والقرعان، وفي عام 1900م، أنشأ السيد/ البراني زاوية (بئر علاي) في كانم وأقام عن طريق هذه القبائل شبكة من الاتصالات التجارية، أتاحت له الحصول على عدد كبير من المواطنين للاشتراك في جيش المقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي⁽¹⁸⁾. وكان السيد/ محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي زعيم الحركة السنوسية، قاد قبل وفاته من بلدته (غورو) بإنيدي في نوفمبر 1902م عملاً دبلوماسياً لدى مختلف سلاطين ومشايخ القبائل التشادية لتوحيد الرؤية والتقارب حول مقاومة الزحف الفرنسي، فبعث محمد السني إلى يوسف سلطان وداي، وعبد الرحمن جاورنج الثاني سلطان باقرمي لتحسين العلاقات التجارية، والتحالف معهما لمواجهة الغزو الفرنسي معاً. فحرب به سلطان وداي وتحالف معه، أما سلطان باقرمي فقبل العلاقات التجارية، لكنه رفض التحالف العسكري، التزاماً منه بمعاهدة الحماية التي كان قد عقدها مع فرنسا في أكتوبر 1897م⁽¹⁹⁾.

لقد تعرضت العلاقات بين مملكة وداي والسنوسيين لبعض الأزمات في عهد السلطان أحمد غزالي (1900-1901م)، ولكنها عادت إلى قوتها في عهد خلفه دود مرة الذي حكم من 1902-1911م، والذي وقف صفاً واحداً مع السنوسيين في التصدي للغزو الفرنسي⁽²⁰⁾.

كانت مقاومة السنوسيين في تشاد ضد الاحتلال الفرنسي تقوم على مبدأ محاربة الاستعمار (ديار الإسلام) وليست قائمة على أساس انتماء وطني لتشاد بدليل أنهم عادوا إلى ليبيا بعد خروج الأتراك منها عام 1912م، وبعد هزيمتهم في (عين جلجة) عام 1913م بدأوا يحاربون الاستعمار الإيطالي والإنجليزي حتى تمكنوا من تحريرها عام 1951م⁽²¹⁾. وتجدر الإشارة إلى أن الشعب التشادي لم يتأثر بالسنوسية باعتبارها دعوة دينية أو حركة إصلاحية، فقد استقر السنوسيون منذ وصولهم في إقليم (بوركو - تيبستي). وكانت قبائل (التبو) أكثر القبائل التشادية احتكاكاً بهم في السلم والحرب، إلا أن النزعة الدينية في هذه القبائل كانت ضعيفة للغاية فعلي الرغم من اعتناقها المبكر والصادق للإسلام لم تجد التوجيه الصحيح من السنوسيين لتطبيقه في حياتها الاجتماعية⁽²²⁾.

لم يجد السنوسيون الفرصة الكافية لإرساء دعائم الإسلام في منطقة التبو، وقد انشغلوا بالحروب ضد الاستعمار الفرنسي، وكذلك الاستعمار الإيطالي.

كما كان عامل العزلة الذي فرضته الطبيعة الجغرافية للمنطقة وخاصة الصحراء، حائلاً دون اتصالها بالمناطق المجاورة.

كما نلاحظ أن التبو تأثروا بعامل المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي الذي قادته الحركة السنوسية بمساعدة التبو وغيرهم من القبائل التشادية في المنطقة، مما جعل منطقة شمال تشاد عصية على الاستعمار الفرنسي حتى بعد رحيل السنوسية.

المقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي:

لقد حرصت الحركة السنوسية أن تتوسط ميداناً تقود به حركة الإسلام في إفريقيا الوسطى، ولذلك اندفعت جنوباً، كما أن أحداثاً هامة جعلتها تحرص على القرب منها، ومن ذلك تقرب تحركات الفرنسيين في الصحراء، والرغبة في التمتع قريباً منها، وقد حاولت فرنسا بسط نفوذها على الإمارات الإسلامية في إفريقيا، وذلك بغية تعمير القرى وحل مشاكل البدو وجمعهم على كلمة سواء، وتشجيع طلاب الزوايا على العمل في الزراعة⁽²³⁾. ومن جملة الأسباب التي جعلت ابن السنوسي يفكر في جعل مركزه بعيداً ما أمكن عن مطارح أنظار الدول الاستعمارية، ليخلو له الجو في تجهيز قومه وبث دعوته، فانتبذ هذا المكان القصي من الصحراء في النقطة الوسطى بين ساحل البحر المتوسط والسودان الأوسط، وكانت معاملة مأموري الأتراك قد ساءت في التحري والتنقيب عن السلاح، وكبس زوايا السنوسية في الجبل الأخضر، وشاع أن الدولة أخذت تشتبه في أمره وتتوجس خيفة ادعائه الخلافة، فقصده أن يعتزلها إلى الصحراء الكبرى⁽²⁴⁾. ولعل هذه الأسباب جميعها متوفرة في قضية تحوله إلى الكفرة، إذ أن الكفرة كانت قريبة من السودان الأوسط (تشاد) مما تتيح له بث دعوته في تلك الأقطار ونشر الإسلام في أوساط إفريقيا عن طريق كانم - برنو وداي وغيرها من أوساط إفريقيا وغربها، فكان للسنوسية اليد الطولى في عمران تلك الواحات وازدياد الغرس والفلاحة فيها وترقية عقول أهلها وبنائها فيها زاوية عظيمة⁽²⁵⁾. وكانت تبيستي فضاءً تابعاً لفزان التابعة لولاية طرابلس الغرب العثمانية نحواً من خمسين عاماً، وفي عام 1911م تحركت قوة عثمانية مؤلفة من مئة وخمسين عسكرياً من قصبة سبها التابعة لفزان بدعم من السنوسية الحركة الدينية الأقوى في الشمال الإفريقي لصد الاحتلال الفرنسي، فشككت مراكز جديدة في مناطق تبيستي وبوركو وإنيدي⁽²⁶⁾. وشككت بعض قبائل العرب والتوبو والقرعان والزغاوة والكاهمبو حلفاً دفاعياً مشتركاً بين الشعبين سواء كانوا في تشاد بعد وصول السنوسية، أو في ليبيا في حرب الطليان، ذلك أن القبائل المهاجرة ارتبطت بعلاقات متفاوتة مع بعض القبائل المحلية. كما أن السنوسيين بعد وصولهم إلى تشاد 1899م تمركزوا حيث توجد هذه القبائل كمرحلة أولى في المناطق الشمالية، وأخذوا يمارسون العمل والتوجيه بالإضافة إلى الجهاد، وأصبحوا منذ ذلك التاريخ يحتكرون تجارة الأسلحة والشاي والملح والعاج والعسل بين ممالك تشاد ودول حوض البحر المتوسط، وقد كانت الحركة السنوسية تضم تشاديين وليبيين⁽²⁷⁾. ولذلك وجد الفرنسيون أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في تشاد في صراع مع عدو قد يكون أقل ضراوة من رابع على المستوى العسكري، ولكنه عدو أكثر مهارة من رابع على المستويين النفسي والدبلوماسي، عدو يشعر بالعزة والطمأنينة وهو يدافع عن مبادئه الدينية، ومصالحه القديمة مما جعل المقاومة شديدة في الجبهة الشمالية الشرقية، إلا أن عدم تحالف سلطان باقرمي مع القوى الوطنية الأخرى، فتح ثغرة كبيرة في الجبهة الجنوبية للتغلغل الفرنسي⁽²⁸⁾.

لقد قاوم الشعب التشادي الاحتلال الفرنسي بقيادة السنوسيين الذين تمركزوا في المناطق الشمالية عام 1899م، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وكانوا يمارسون العمل الدعوي والجهاد، وقد

انضم إليهم في المقاومة مختلف القبائل (التبو والقرعان والزغاوة والعرب والكانمبو)، وفي عام 1900م أنشأ السنوسيون زوايا في كانم وخاصة في بئر علالية. وكذلك وجد الفرنسيون مقاومة شديدة في الجبهة الشرقية حيث تشكلت جبهة إسلامية تضم كل من الحركة السنوسية وسلطان وداي (دود مرة) والسلطان تاج الدين سلطان الجينية. وقد استبسل الشعب التشادي في مقاومة الاستعمار الفرنسي واستشهد الكثيرون من أجل أرضهم ودينهم وعرضهم⁽²⁹⁾.

ففي عام 1911م قامت فصيلة فرنسية من الهجانة التابعة لكانم بهجوم على بلدة (فوكو)، وفي 15 مايو 1913م أسر المقدم صالح كريمي وعدد من جنوده في بلدة (ووي) بإينيدي، وبعد ذلك بثمانية أيام حاول عبد الله التوير مقدم عين جلركة القيام بهجوم مباغت على فرقة الملازم (ديغور) ولكنه لم يتم تنفيذ خطته فاستشهد أثناء المحاولة⁽³⁰⁾. وفي 24 أكتوبر 1913م، غادر العقيد لارجو مدينة (ماو) بكانم متجها إلى (عين جلركة) القلعة الصامدة التي صدت جميع الحملات الفرنسية وطلب من الملازم (ديفور) الذي كان يرباط في منطقة (بلتن) أن يلحق به، فالتقى الجيشان، وهجما على (عين جلركة) في 24 نوفمبر وبعد 5 أيام من المعارك العنيفة فقد الفرنسيون عدداً كبيراً من قواتهم وعلى رأسها: النقيب (ماجون) والملازم (بريفونتين) والمساعد (لجريون) وعدد من رجاله واستسلمت المدينة⁽³¹⁾. ويعود السبب في الهزيمة إلى ضعف الأسلحة التي لم تكن متكافئة مع الأسلحة الفرنسية الثقيلة وبعد هذه الهزيمة استولى الفرنسيون على (فايا) و(وينقا) و(غورو) دون مقاومة تذكر. وفي (غورو) هدمت القوات الفرنسية قبة الإمام محمد المهدي وتمكنت من أسر محمد السني إلا أنه أفلت من يدها بعد الأسر ولجأ إلى الكفرة حيث يوجد السيد أحمد الشريف⁽³²⁾. ومنذ ذلك التاريخ انتهت مقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي في تشاد من الناحية السياسية والفكرية.

كان يتولى الإدارة العثمانية في ليبيا في تلك الفترة أعضاء الحزب التركي الجديد (تركيا الفتاة) الذين اصطدم السيد أحمد الشريف بإدارتهم أكثر من مرة، وعلى الرغم من ذلك عرف كيف يستعين بهم في الوقت نفسه فأرسل إلى إسطنبول وفداً ليؤكد للسلطان العثماني ولاءه له. وفي عام 1908م أوفد جلال باشا حاكم إقليم مرزق القائمقام عثمان أفندي لاحتلال واحة (برداي) ليحول دون دخول الفرنسيين إليها، وفي عام 1911م قامت حامية تركية بقيادة النقيب رفقي باحتلال (ين) الواقعة بجوار (عين جلركة) غير أن التهديد الإيطالي للدولة العثمانية بإنزال جنود على الساحل الليبي، واضطر رفقي إلى العودة إلى طرابلس وترك الحامية التي كان يرفقها. فطلب المقدم عبد الله التوير من هذه الحامية أن تذهب لاحتلال (إينيدي) قبل وصول الفرنسيين إليها، وقد تم تنفيذ ذلك إلا أن الملازم الفرنسي (ديفور) طلب من قائد الحامية التركي الانسحاب منها، فلم يعترض بل انسحب وعاد إلى (فايا) في 14 مارس 1912م، فاستاء السنوسيون من تصرفه واتهموه بالخيانة ثم حكموا عليه بالإعدام في أكتوبر 1912م، وبعدها لم ترسل الحكومة العثمانية مساعدة عسكرية لحماية أراضي تشاد الشمالية⁽³³⁾. ونتيجة للاتفاقات التي وقعت مع إيطاليا والدولة العثمانية كان من الضروري إتمام انسحاب آخر القوات العثمانية من تبيستي بنهاية العام 1912م، ولكن القنصل

الإيطالي في طرابلس الغرب قام بإبلاغ وزير الخارجية بونيجاري بأن انسحاب القوات التركية أخذ فترة طويلة وخاصة في المناطق المختلفة لفزان وعلى رأسها جات تبيستي، وأخبر أن الجنود كانوا ومازالوا يتواجدون فيها حتى تاريخ 18 كانون الأول 1912م⁽³⁴⁾. ولما بسطت الإدارة الاستعمارية الفرنسية يدها على منطقة الشمال التشادي بعد مقاومة عنيفة من قبل السكان، اقتصر نشاطهم فيها على العثور على رؤساء محليين أوفياء خاضعين لهم لإدارة المناطق التي تقع تحت سيطرتهم، بطريقة شبيهة بالحكم البريطاني غير المباشر. ويدعي التاريخ الفرنسي للاستعمار في شمال تشاد، الذي كتب بأقلام أفراد الجيش المستعمر، وجود علاقات طيبة بين سلطات الاستعمار والسكان المستعمرين. ولكن التجاوزات على المستوي المحلي قد وقعت، وظلت في الذاكرة الجماعية للتيدا. كما أن هذه التجاوزات تظهر في المستندات الهامة، مثل مذكرات المستكشف ثودور موندور، الذي تم تعيينه في أوزو في الفترة ما بين عامي 1939-1940م ويشير موندور على سبيل المثال، إلى الزواج القسري لامرأة من التيدا بجندي فرنسي⁽³⁵⁾.

لم يتأثر الشعب التشادي بالسنوسية باعتبارها دعوة دينية أو حركة إصلاحية، على حد رأي عبد الرحمن الماحي، فقد استقر السنوسيون منذ وصولهم في إقليم (بوركو - إنيدي - تبيستي)، وكانم ذات الكثافة السكانية العالية من قبائل التبو، ولذلك كانت قبائل (التوبو) أكثر القبائل التشادية احتكاكاً بالسنوسية في السلم والحرب، إلا أن النزعة الدينية في هذه القبائل كانت ضعيفة للغاية، فعلي الرغم من اعتناقها المبكر والصادق للإسلام لم تجد التوجيه الصحيح من السنوسيين لتطبيقه في حياتها الاجتماعية⁽³⁶⁾. وقد يرجع ذلك لعدة عوامل منها: أن السنوسيين وجدوا أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في شمال تشاد في صراع مع الاستعمار الفرنسي الذي قضى على سيطرة رابع في جنوب وغرب بحيرة تشاد، وأخذ يتغلغل في البلاد، لذلك كان اهتمامهم بالمقاومة أكثر من اهتمامهم بالدعوة والإصلاح الديني، هذا إلى جانب أن السنوسيين اعتبروا أنفسهم على الرغم من قلة عددهم وانتشار الأمية في أوساطهم - في ذلك الوقت - مستقلين، بل في كثير من الأحيان أسياداً، مما كان له أكبر الأثر في إبعاد المواطنين عن الاحتكاك بهم والاعتقاد بأفكارهم يضاف إلى ذلك أن السنوسيين الذين فضلوا الإقامة في تشاد حال الاحتلال الفرنسي دون أن ممارستهم أي نشاط سوى التجارة⁽³⁷⁾.

نلاحظ بأن السنوسيين وصلوا إلى تشاد في العام 1899م واستمروا حتى عام 1912م، تقدر هذه الفترة بثلاثة عشر سنة، لم يتمكنوا خلال هذه الفترة من تمكين وجودهم وتنفيذ برنامجهم نسبة للتهديد الفرنسي الذي يتجه من الجنوب نحو الشمال. وأمام هذا التهديد الاستعماري بادر السنوسيون بخطة تمثلت في توحيد الجبهة الداخلية للمسلمين وذلك من خلال الاتصالات التي قام بها محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي زعيم الحركة السنوسية، فقد قاد قبل وفاته في بلدته (غورو) بإنيدي في نوفمبر 1902م عملاً دبلوماسياً لدى مختلف سلاطين ومشايخ القبائل التشادية. ولكن لم تهمل القوات الاستعمارية الفرنسية الحركة السنوسية الفرصة لاستكمال الخطط الإستراتيجية المتمثلة في بناء الزوايا وتوحيد الجبهة الداخلية للمسلمين من أجل

صد الزحف الاستعماري نحو الشمال. وبعد سنتين فقط من وصول الحركة السنوسية إلى تشاد، وتحديدًا في عام 1901م قاد النقيب (مبللو) هجومًا على زاوية بئر علالي في كنم القلعة المتقدمة للسنوسيين تجاه الجنوب، حيث تشكلت المقاومة الوطنية بالنسبة للمعارك الأولى مع الفرنسيين. ورغم عدم جاهزية الحركة السنوسية في مواجهة هذا العدو الذي يتفوق عليها عسكرياً ومادياً بالإضافة إلى العامل المتمثل في قلة عدد منسوبي الحركة السنوسية من سكان هذه المناطق، ورغم أننا في هذه الدراسة لم نتمكن من إيجاد إحصاء سكاني لأهالي هذه المناطق في تلك الفترة بصورة دقيقة، إلا أنه بالرجوع إلى الإحصاء الذي أورده الدكتور الماحي في كتابه تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال نجد أن عدد سكان منطقة بوركو يساوي 20.000 نسمة عام 1955م، ومنطقة إيندي يقدر عدد سكانها بحوالي 20.500 نسمة عام 1948م، ومنطقة تبيستي يقدر عدد سكانها بحوالي 6,476 نسمة عام 1949م، أما منطقة كنم عدد سكانها يساوي 177.000 نسمة عام 1953م⁽³⁸⁾. وهذه النسبة الضئيلة بطبيعة الحال لم تساعد السنوسية في التصدي لدحر الاستعمار وصدّه عن احتلال البلاد، وتعتبر عاملاً مهماً من العوامل التي ساعدت القوات الفرنسية في تقدمها وزحفها نحو احتلال البلاد وبسط سيطرتها ونفوذها. وبعد القضاء على النفوذ السنوسي والمقاومة الوطنية في هذا الإقليم، سارعت القوات الفرنسية في إنشاء أول مدرسة فرنسية في كنم لتحل محل الزوايا التي أقامتتها الحركة السنوسية في هذه المنطقة ليبدأ بذلك الغزو الفكري والثقافي لسكان هذه المنطقة، الذين تعتقد أنهم تأثروا بالسنوسية التي تمثل الإسلام.

ثم بعد ذلك أدارت فرنسا المنطقة بوساطة ضباط عسكريين مدربين للتعامل مع هذا الشعب الذي يرفض الانصياع للقوى الاستعمارية رغم الهزيمة التي مني بها، وكانت الحركة السنوسية عنصراً أساسياً في المقاومة، فلم تكن إدارة هذا الإقليم كباقي أقاليم تشاد بل كان التمرد ضد الوجود الفرنسي من حين لآخر هو سيد الموقف.

الوضع بعد الاستقلال:

استمرت الأوضاع في منطقة الشمال تسير بصورة متأزمة حتى بعد الاستقلال، وظل الفرنسيون يرباطون في هذه المنطقة حتى عام 1965م، حيث تم استبدالهم بالجنود التشاديين الذين ينحدرون غالباً من جنوب البلاد (السارا)، وقد اعتبر السكان المحليون أن سلوك هؤلاء الجنود الجنوبيين أسوأ من سلوك المستعمر نفسه⁽³⁹⁾. ولذلك ساهم السلوك السيئ من قبل هؤلاء الجنوبيين على سكان المنطقة في إشعال روح الثورة واندلاعها بشكل كبير، وانتفاضة السكان ضد الممارسات القمعية التسلطية في النصف الشمال من البلاد في عام 1965م، وسرعان ما تطورت إلى حرب أهلية واسعة النطاق، وكان السبب الرئيسي للثورة هو سوء إدارة موظفي الخدمة المدنية (وأكثرهم من إقليم سارا) في شمال البلاد، فقد منع أهالي التبو من ارتداء العمام أو حمل السكاكين وحل الموظفون المدنيون محل الشيوخ الإقليميين في جباية الضرائب في الشمال، وأدي جمع الضرائب عن طريق الابتزاز في (مانقالمي) إلى قيام أعمال شغب امتدت عبر منطقة باثا (المنطقة الإسلامية في وسط تشاد)، وقام التبو بأعمال شغب بسبب الضرائب ولجأ زعيمهم التقليدي ديروي

سلطان اوپرويكيدي فيمي إلى ليبيا، بينما حمل أولاده السلاح ضد حكومة تشاد ومن بينهم قوكوني ويدي⁽⁴⁰⁾. وفي إدارة البلاد عاني الشعب خلال حكم الرئيس تمبلباي (1960 - 1975) الذي خلف الحكم الاستعماري وهو مسيحي من الجنوب - ونتيجة لسوء الوضع الذي عاني منه الشمال المسلم فقد تم إنشاء جبهة فرولينا بقيادة إبراهيم أبتشه عام 1966م بالسودان⁽⁴¹⁾.

اعتمدت فرولينا في تكوينها علي الشباب المتعلم في الدولة عامة، وفي القاهرة خاصة كما اعتمدت في تكوينها علي فلاحي الوسط الشرقي، وقد جاء تكوينها كرد فعل مما عاني منه الشعب أثناء الاستعمار وبعده، وكان أهم ما أشعل الثورة هم جباة الضرائب اللذين بالغوا في جمعها وابتزاز أموال فلاحي إقليم منقلمي في الوسط الشرقي، وسرعان ما تحولت كل هذه الاضطرابات إلى اشتباكات مسلحة مع الجيش وانتشرت في الأقاليم المجاورة لعدم قدرة الجيش التشادي علي السيطرة عليها⁽⁴²⁾. مع بداية 1969م انتشرت العمليات الثورية في أراضي بوركو - أيدي - تبستي B.E.T. إذ أن النزوح الكبير الذي قاده الزعيم التقليدي والأحداث التي أعقبت ذلك أعطت العمل الثوري روحاً جديدة وجسداً آخر، فالواقع الميداني فرض جيشاً جديداً للثورة، عملت فرولينا على احتوائه وساعد المناضل طاهر أبادي على تنظيمه، وعرف هذا الجيش الثاني لفرولينا، إذ أن الفدائيين في الشرق يكونون الجيش الأول، وأصبح قوكوني ودي هو قائد الجيش الجديد، وجعلت الأحداث اللاحقة من هذا الجيش الثاني القوة الأساسية للثورة بسبب تواجده في الحدود الليبية (بلباي)، المصدر الأساسي لدعم الثورة، إضافة إلى أن اختطاف مدام كلوستر ورفاقها، أعطى هذا الجيش شهرة ومكانة كبيرة في الإعلام الأوروبي خاصة⁽⁴³⁾.

يضاف إلى ذلك خبرات وتجارب التوبو التي اكتسبها من خلال تلك الحروب التي خاضوها ضد الاستعمار الفرنسي مع الحركة السنوسية، هذا بالإضافة إلى طبيعة هذا الشعب الصحراوي التي اكتسبته تحمل الصعاب وحب المغامرات، وهذا بطبيعة الحال ما حدا بفرنسا إلى استقطاب عناصر من التوبو والزج بهم في فرولينا ليصبحوا فيما بعد قيادات للثورة. ومن هنا استطاعت فرنسا أن تخرق ثورة فرولينا من خلال زرعها قيادات مؤهلة بدرجة عالية تحتاجها الثورة في حينها من أجل بنائها الداخلي والعمل على الاعتراف بها على المستوى الدولي. وإن هذه الإستراتيجية هي التي مكنت فرنسا من شق صف الثورة وبالتالي تغيير مسارها بشكل أساسي. ورغم كل ذلك قررت فرنسا أن تستبدل نظام الرئيس تمبلباي بنظام آخر للأسباب الآتية:

- تمرد نظام تمبلباي على السياسة الفرنسية في الآونة الأخيرة من حكمه.
- عدم مقدرة نظام تمبلباي على التصدي لثورة فرولينا بشكل نهائي رغم مساعدة القوات الفرنسية.
- شمولية وتنظيم وعزيمة ثوار فرولينا في محاربة النظام القائم في تشاد المدعوم من قبل فرنسا.
- استمرت فرنسا في اختراقاتها للثورة التشادية، وذلك من خلال الزج بعناصرها في لب الثورة.

- يذكر الجنرال آدم تقوي أبو في كتابه ذكريات فرولينا (أخبرنا قوكوني أن حسين هبري سيأتي لمقابلتنا أنا ومحمد أبه سعيد في مدينة كانو بنيجيريا يريد الانضمام للجيش الثاني، ولذا أعطيناه رقم هاتف (مصطفى) رئيس اللجنة السرية بمدينة كانو ليتواصل معه⁽⁴⁴⁾.

من هنا بدأت رحلة حسين هبري نحو الانضمام إلى فرولينا رغم كل الملاحظات والشكوك التي ذكرها بعض القيادات عن حسين هبري كونه عميل فرنسي زج به في الثورة. فعندما التحق حسين هبري وهو أيضاً من قبائل القرعان، جامعي وموظف سابق في الإدارة الحكومية، يقال إنه لم يجد الترحيب والحفاوة اللائقة به من قبل الدكتور أبا صديق الذي ارتاب في أمره، إلا أن هذا الحذر فسره الآخرون ومنهم قوكوني بالغيرة والحسد. وفي المقابل وتقديراً للمستوي الدراسي لحسين هبري ومناصبه التي تولاها في الحكومة، تنازل قوكوني طواعية عن قيادة الجيش الثاني وسلمها لحسين هبري، واكتفي بأن يكون نائباً له⁽⁴⁵⁾.

خلال هذه الفترة تعرض الأمين العام لفرولينا الدكتور أبا صديق لانتقادات كثيرة تتعلق كلها بالعجز القيادي، هذا العجز بالتضافر مع الأحداث نجمت من الواقع المعاش أدت إلى خلق فواصل وزعامات ميدانية مستقلة الشيء الذي أفرغ الأمانة العامة من محتواها الحقيقي، فمن الناحية العملية تفرد قوكوني بزعامة الجيش الثاني، بينما كوّن كل من حسين هبري وأبو بكر عبد الرحمن جبهته المستقلة، أما الجيش الأول فبالإضافة إلى قوات البركان التي يتزعمها البقلاني فقد عقد الفدائيون مؤتمر بكرنقة في الميدان بتاريخ: 19 أغسطس 1977م واختاروا مالوم بكر زعيماً لهم⁽⁴⁶⁾. بهذه الخطوة تمكنت فرنسا من شق صف فرولينا حسب الإستراتيجية التي وضعتها لذلك. وانفرد حسين هبري بفصيله لتقوم فرنسا بدعمه للتخلص من خصومه إلى إن استولى على السلطة من مالوم بمساعدة قوكوني، ومن هنا آلت الأمور بشكل ممنهج إلى التوبو بشكل عام. وكمرحلة أولى ترأس قوكوني البلاد ولم يمهله حسين هبري طويلاً فأطاح به ثم استولى على السلطة بمباركة ودعم من فرنسا. وفي نهاية الأمر وصل التوبو إلى السلطة بعد نضال طويل ضد الوجود الفرنسي في شمال البلاد الذي عانى منه التوبو كثيراً. ولكن في النهاية تحول عدو الأمس ليصبح صديق اليوم، وهكذا ورثت تشاد نظاماً مركزياً يضم عرقيات مختلفة متنافرة، واقتصاد قومي متباين التوزيع يخضع لتفوق العرقيات التي تعاونت مع الإدارة الفرنسية، وذلك على حساب سائر العرقيات الأخرى⁽⁴⁷⁾.

هناك ما يشبه الإجماع بين العلماء والباحثين والمراقبين على أن الإثنية قابلة لأن تكون قوة إنسانية محررة وخلقة، أو أن تكون مدمرة وعشوائية مكبلة للإنسان، ذلك أن الإثنية ليست بمشكلة في ذاتها بل هي انتماء طبيعي معترف به من قبل الأديان السماوية التي وضعتها في إطارها الصحيح، لتكون محررة وبناءة، لكن تبرز المشكلة حينما تستخدم الإثنية في السياسة، ويُساء استخدام المشاعر الإثنية من أجل تفجير الأوضاع وتهديد الاستقرار - وكثيراً ما يحدث ذلك - فتتحول إلى سلاح خطير⁽⁴⁸⁾.

لكن إذا نظرنا إلى الواقع الإفريقي نظرةً فاحصةً لتبين لنا بشكل جلي وواضح إن الاتنية في إفريقيا لم تكن قوة محررة ولا خلاقة بل هي العكس من ذلك تماماً كانت أداة من أدوات الصراع والاحتراب الذي قاد إلى القتل والتدمير والإبادة الجماعية رغم أنف المواثيق والأعراف الدولية التي تنادي باحترام حقوق الإنسان وصيانة حياته وحقوقه⁽⁴⁹⁾. وفي نهاية الأمر وبنظرة تقييميه وواقعية لواقع تشاد الذي هو جزء لا يتجزأ من الواقع الإفريقي في استخدامه للإتنية كوسيلة للسيطرة على مقاليد الحكم وإقصاء الإثنيات الأخرى أو بالأحرى وضعها في الهامش، هذه السياسة أدت إلى تدمير الدولة وأصبحت الدولة كنظام مؤسسي لا وجود لها، فانهارت البنيات الأساسية للدولة، وانفلت الأمن ولم ينجح من ذلك الحاكم ولا المحكوم، وتعطلت المشاريع وانتشرت الأمراض، وساد الدولة التخلف الذي أصبح السمة السائدة في جميع المجالات، وتحولت المدن إلى قرى كبيرة نتيجة لهجرة الأعداد الكبيرة من سكان الريف إلى المدن بحثاً عن الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والأمنية التي كادت أن تكون معدومة في القرى.

لم ينجح من هذا الوضع الصعب للحاكم ولا المحكوم بمعنى آخر ولا الإثنية الحاكمة ولا المحكومة.

الخاتمة:

من خلال ما سبق عرضه في الصفحات الماضية تبين لنا أن قبائل التبو من القبائل التشادية التي تعيش في الشمال التشادي ذات جذور ضاربة في القدم تتداخل مع الجنوب الليبي، وقد اختلفت آراء المؤرخين في أصولهم، عاشوا في بيئة صحراوية قاسية ينتقلون بماشيتهم بين الجنوب والشمال، وكانوا يغيرون على القوافل التجارية القادمة من الشمال إلى الجنوب أو العابرة إلى الشمال. وقد عانت قبائل التبو كغيرهم من القبائل التشادية من الزحف الاستعماري الفرنسي واحتلاله للأراضي التشادية. كما أنهم قاوموا التدخل الفرنسي في البلاد بكل ما لديهم من قوة وتضامنوا مع الحركة السنوسية في التصدي للزحف الفرنسي، وظلت معاناتهم قائمة بعد الاستقلال بعد تسلم الرئيس تمبلباي لزام الأمور في البلاد في عام 1960م، وهو مسيحي من الجنوب، إذ تعرضت منطقة التبو في عهده لمزيد من العنف والجور والظلم والتهميش، ومارس موظفو الخدمة المدنية من أبناء الجنوب أبشع أنواع التنكيل والاضطهاد في جباية الضرائب والتعامل غير الإنساني مع سكان الشمال من أبناء التبو مما أوقد فيهم شرارة الثورة والتمرد ضد حكم الرئيس تمبلباي، وتزامن ذلك مع نشأة حركة فلولينا التي تضامنت معهم في الانتفاضة في وجه الظلم من قبل حكومة الرئيس تمبلباي وانخرط التبو في هذه الثورة وأنشأ أحد ابنائهم وهو كوغوني وداى الجيش الثاني. وقد سعت فرنسا لضرب حركة فلولينا من الداخل وتغذية الصراع الإثني بين الثوار وعملت على إزاحة الرئيس تمبلباي من السلطة لتمرده عليها، وقد تمكن اثنان من أبناء التبو من الوصول إلى سدة الحكم وهما كوغوني وداى وحسين هبرى الذي يعتبره البعض أنه مدفوع من قبل فرنسا، غير أن التجربة أثبتت أن استخدام الإثنية كوسيلة للسيطرة على الحكم وإقصاء الآخرين وتهميشهم جرّت عواقب وخيمة على الدولة التشادية، وقد أدت سياسة الإقصاء

والتهميش إلى انهيار الدولة وانفلات الأمن في البلاد، فاندلعت الحروب بين أبناء الوطن الواحد وقضت على كافة مقدرات البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وفي ضوء ما سبق تخلص الدراسة إلى النتائج التالية:

- إن قبائل التبو والتيدا من أهم القبائل التشادية التي سكنت منطقة الشمال التشادي منذ القدم ولديهم تداخلات اجتماعية واقتصادية مع منطقة الجنوب الليبي.
- قام التبو بدور مهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي لتشاد بالتضامن مع الحركة السنوسية وبعض القبائل الليبية التي سكنت في شمال تشاد.
- عانت قبائل التبو كغيرها من القبائل التشادية من الاستعمار الفرنسي واستمرت هذه المعاناة بعد الاستقلال أثناء حكم الرئيس فرانسوا تمبلباي الذي استخدم أبشع أنواع الظلم والعدوان في إخضاع قبائل التبو وجمع الضرائب منهم مما ولد الثورة في نفوسهم فانضموا إلى حركة التحرير الوطني التشادية الذي جمع معظم أبناء الشمال التشادي لمقاومة نظام الرئيس تمبلباي.
- تمكن اثنان من أبناء التبو من الوصول إلى سدة الحكم في ظل الصراعات التي سادت البلاد وانهيار حكم الرئيس تمبلباي.
- حكم الرئيس حسين هبري وهو أحد أبناء التبو البلاد حكماً دكتاتورياً معتمداً بشكل كبير على اثنيته مما أدخل تشاد في حالة من الفوضى والغليان والحروب الأهلية التي قضت على حكمه في نهاية الأمر.

التوصيات:

- إن استخدام الإثنية في الحالة التشادية ينبغي أن تكون قوة إنسانية جامعة وأداة للتعارف والتعاون والتآزر بين أبناء الوطن الواحد، كما أنه ينبغي استغلال التباين فيها من أجل خلق وحدة شاملة تعمل على بناء وتنمية وطن واحد يسع الجميع يتمتعون بحقوق متساوية.
- لا بد من العودة إلى مرتكزات الشعوب وفي مقدمتها المعتقدات الدينية والإرث الثقافي واللغوي والعادات والتقاليد المشتركة للأمة هي الحاضنة الأساسية التي يمكن للحكومات أن توجد من خلالها شعباً مصقولاً بالوحدة والانتماء الوطني، التي يمثل فيها التباين الإثني قوة كبيرة تدفع بالبلاد نحو التنمية والاستقرار والتعايش السلمي والتطور والتقدم والرقي.

الهوامش:

- (1) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894 - 1960م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1982م، ص 72.
- (2) المرجع نفسه والصفحة.
- (3) فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م، ص 70.
- (4) المرجع نفسه، ص 70.
- (5) المرجع نفسه والصفحة.
- (6) إبراهيم علي طرخان، إمبراطورية البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975م، ص 29.
- (7) المرجع نفسه والصفحة.
- (8) محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة ذي قار، ليبيا، 1999م، ص 121.
- (9) المرجع نفسه والصفحة.
- (10) المرجع نفسه والصفحة.
- (11) فضل كلود، مرجع سبق ذكره، ص 73.
- (12) المرجع نفسه، ص 73.
- (13) إبراهيم طرخان، مرجع سبق ذكره، ص 29.
- (14) عبد الرحمن الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 195.
- (15) المرجع نفسه، ص 51.
- (16) إبراهيم طرخان، مرجع سبق ذكره، ص 29.
- (17) عبد الرحمن الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 147.
- (18) المرجع نفسه، ص 147.
- (19) المرجع نفسه، ص 147.
- (20) المرجع نفسه، ص 147.
- (21) المرجع نفسه ص 151.
- (22) المرجع نفسه والصفحة.
- (23) محمد زين نور، الحركة السنوسية ودورها الإصلاحي في أفريقيا جنوب الصحراء في الفترة ما بين 1896 - 1920، الرباط، المغرب، ص 63.
- (24) المرجع نفسه، ص 63 - 64.
- (25) المرجع نفسه، ص 64.
- (26) أحمد كباس، العلاقات التركية التشادية (سياسة العثمانيين في وسط أفريقيا)، اسطنبول، 2014م، ص 23.

- (27) محمد زين نور، مرجع سبق ذكره، ص 90.
- (28) عبد الرحمن الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 147.
- (29) محمد زين نور، الاستعمار الفرنسي، ص 91.
- (30) عبد الرحمن عمر الماحي، مرجع سبق ذكره، ص 149.
- (31) المرجع نفسه، ص 149.
- (32) المرجع نفسه، ص 150.
- (33) المرجع نفسه، ص 149.
- (34) أحمد كباس، مرجع سبق ذكره، ص 139.
- (35) جيروم توبيانا وكلاوديو غراسيزي، مشكلة التبو ما بين وجود وغياب الدولة في مثلث تشاد - السودان - ليبيا، إصدار مشترك بين مشروع التقييم الأساسي للأمن البشري في السودان وجنوب السودان التابع لمسح الأسلحة الصغيرة، 2017م، ص 31.
- (36) عبد الرحمن الماحي، ص 151.
- (37) المرجع نفسه والصفحة.
- (38) المرجع نفسه، ص 170.
- (39) جيروم توبيانا وكلاوديو، مرجع سبق ذكره، ص 31.
- (40) علي مزروعي ومايكل تايدي، القومية والدول الجديدة في أفريقيا من 1935 حتى الوقت الحاضر، ج2، 1990م، ص 25.
- (41) لمزيد من التفصيل عن نشأة فرولينا انظر: محمد الهادي عبد الرحيم، فرولينا أحداث 12 فبراير 1979م، الخليفة والآثار.
- (42) عبد الله محمود الحسيني الشهاوي، التدخل الأجنبي في أفريقيا في السبعينيات - دراسة تطبيقية على أنجولا وزائير - رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1987م، ص 119.
- (43) محمد الهادي عبد الرحيم، مرجع سبق ذكره، ص 51.
- (44) آدم توقوي، ذكريات فرولينا - التمزق الداخلي - العلاقات التشادية الليبية من عام 1971 - 2003م، ص 46.
- (45) محمد الهادي عبد الرحيم، مرجع سبق ذكره، ص 51.
- (46) المرجع نفسه، ص 53.
- (47) عباس حامد، مقرر سمنار العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، الناشر: دار الثقافة العربية، ص 627 - 628.
- (48) التقرير الإستراتيجي السنوي للعام 2006م، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأثر الإثني للصراعات في أفريقيا، ص 253.
- (49) المرجع نفسه والصفحة.

اتفاق كامب ديفيد (1978) وأثره على العلاقات المصرية الإسرائيلية (التطبيع)

أستاذ مساعد - كلية العلوم التربوية
جامعة القدس المفتوحة - فلسطين

د. سامي محمد علقم

المستخلص:

على الرغم من الكتب والدراسات الكثيرة التي صدرت عن « مؤتمر كامب ديفيد » الذي عقد في سبتمبر 1978 بين مصر وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة، إلا أن المحللين والمؤرخين سيظلون يولون اهتماماً كبيراً لهذا المؤتمر لما له من آثار كبيرة على واقع الأمة العربية. مؤتمر كامب ديفيد كان واحداً من أهم الإحداث على مسار الصراع العربي- الإسرائيلي والمفاوضات التي أسفر عنها، وردود فعل التي أثارها في مصر والوطن العربي والعالم بأجمعه. إن هذا المؤتمر الذي شارك فيه الرئيس المصري أنور السادات والرئيس الأمريكي جيمس كارتر ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن أسفر عن أول معاهدة سلام عربية إسرائيلية بين أكبر دولة عربية - وهي مصر - وبين إسرائيل وهذه المعاهدة فتحت بدورها الباب أمام تطورات أخرى مثيرة مثل مؤتمر مدريد عام 1991 واتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عام 1993 والمعاهدة الأردنية الإسرائيلية، وتعتبر اتفاقية كامب ديفيد طعنة من الطعنات التي تلقتها خاصرة النظام الإقليمي العربي. وكما هو معروف فإن مؤتمر كامب ديفيد ومن قبله زيارة السادات للقدس المحتلة وبعدها المعاهدة المصرية الإسرائيلية أثارت معارضة شديدة داخل مصر والعالم العربي، وأحدثت شرخاً عميقاً في العلاقات بين الدولة العربية. تأتي أهمية هذا البحث كون مؤتمر كامب ديفيد، ومن قبله زيارة السادات للقدس المحتلة أحدثت شرخاً عميقاً في العلاقات بين مصر والدول العربية، ومعارضة شديدة داخل مصر وفي العالم العربي، وبهذا تتحفظ مصر حتى الآن بالرغم من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل حول مسألة التطبيع. منهجية الدراسة : اتبع الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي . ومن نتائج الدراسة انهت حالة الحرب بين مصر وإسرائيل. تمتعت كلا البلدين بتحسين العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة. فتح الاتفاق وإنهاء حالة الحرب الباب أمام مشاريع لتطوير السياحة، خاصة في سيناء. وتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام 1979 إلى عام 1989 نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية. كلمات مفتاحية: كامب ديفيد . مصر ، إسرائيل . الولايات المتحدة الأمريكية .

Camp David Accords (1978) and its Impact on Egyptian-Israeli Relations “Normalization”

Dr. Sami Mohammed Alqam - Assistant Professor - Al-Quds Open University / College of Educational Sciences / Palestine

Abstract:

Despite the many books and studies that were issued about the “Camp David Conference” that was held in September 1978 between Egypt and Israel under the auspices of the United States, analysts and historians will continue to pay great attention to this conference because of its great effects on the reality of the Arab nation. The Camp David conference was one of the most important events in the course of the Arab-Israeli conflict and the negotiations that resulted from it, and the reactions it raised in Egypt, the Arab world and the world as a whole. This conference, in which Egyptian President Anwar Sadat, US President James Carter and Israeli Prime Minister Menachem Begin participated, resulted in the first Arab-Israeli peace treaty between the largest Arab country - which is Egypt - and Israel. This treaty, in turn, opened the door to other exciting developments such as the Madrid Conference in 1991. The Oslo Accords between the Palestine Liberation Organization and Israel in 1993 and the Jordanian-Israeli Treaty, and the Camp David Accords are a stab at the side of the Arab regional system. As it is well known, the Camp David conference, and before that Sadat's visit to occupied Jerusalem, and after the Egyptian-Israeli treaty, aroused strong opposition within Egypt and the Arab world, and caused a deep rift in the relations between the Arab countries. The importance of this research comes from the fact that the Camp David conference, and before that Sadat's visit to occupied Jerusalem, caused a deep rift in relations between Egypt and the Arab countries, and strong opposition inside Egypt and in the Arab world, and thus Egypt has reservations so far despite the signing of a peace treaty with Israel on the issue of normalization. Study methodology: The researcher followed the historical approach and the descriptive approach. Results: The state

of war between Egypt and Israel ended. Both countries have enjoyed improved diplomatic and economic relations with European countries and the United States. The agreement and ending the state of war opened the door for tourism development projects, especially in Sinai. Egypt's membership in the League of Arab States was suspended from 1979 to 1989 as a result of the signing of this agreement

Keywords: Camp David. Egypt, Israel. United States of America

مقدمة:

على الرغم من الكتب والدراسات الكثيرة التي صدرت عن مؤتمر كامب ديفيد الذي عقد في سبتمبر 1978م بين مصر وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة، فإن المؤرخين والمحللين سيظلون يولون اهتماما كبيرا لهذا المؤتمر لما له من آثار كثيرة على واقع الأمة العربية، فمؤتمر كامب ديفيد كان واحد من أهم الأحداث على مسار الصراع العربي الصهيوني، وبالمفاوضات التي أسفر عنها، وردود الفعل التي أثارها في مصر والوطن العربي والعالم أجمع.

مشكلة الدراسة:

رغم توقيع مصر معاهدة سلام مع إسرائيل (كامب ديفيد) إلا إنها لا تزال تحتفظ حول مسألة التطبيع مع إسرائيل.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذا البحث كون مؤتمر كامب ديفيد، ومن قبله زيارة السادات للقدس المحتلة أحدثت شرخا عميقا في العلاقات بين مصر والدول العربية، ومعارضة شديدة داخل مصر وفي العالم العربي، وبهذا تحتفظ مصر حتى الآن بالرغم من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل حول مسألة التطبيع.

أهداف الدراسة:

1. التعريف باتفاقية كامب ديفيد.
2. معرفة الجوانب الغامضة التي تحيط بهذه الاتفاقية.
3. التعرف على الآثار المترتبة على هذه الاتفاقية.

تمهيد:

منذ أن اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بما يسمى بدولة إسرائيل وما تلاها من هزيمة العرب عسكريا في فلسطين في الحرب العربية الصهيونية عام 1948، صارت السياسة الأمريكية من وجهة نظر العرب عاملاً رئيسياً في قيام دولة إسرائيل وبروز الصراع العربي الصهيوني، وقد نجح الأمريكان في بذل جهود كبيرة للحصول على صداقة العرب والصهاينة والمحافظة على التوازن العسكري واتفاقيات الهدنة وتنفيذها بأشراف منظمة الأمم المتحدة امتنعت في الوقت نفسه عن دعم العرب عسكرياً وعملت على حماية أمن إسرائيل. وبعد وفاة الرئيس المصري جمال

عبد الناصر في عام 1970، خلفه في الرئاسة أنور السادات (1970-1981)، وقد شهدت فترة حكمه تغييرات في السياسة المصرية تجاه الصراع العربي - الإسرائيلي، إذ عمدت مصر إلى الحل الجزئي المنفرد للتوصل إلى تسوية سلام مع إسرائيل فيما يتعلق بقضية فلسطين برعاية الولايات المتحدة، وقد أدرك الرئيس المصري أنور السادات أن الولايات المتحدة بإمكانها الدفاع عن مصالحها ومصالح إسرائيل في المنطقة العربية عن طريق دعم التفوق الإسرائيلي على الدول العربي وإن الصلح مع إسرائيل والاعتراف بوجودها عامل أساسي في تطوير العلاقات المصرية الأمريكية وبخاصة في المجالين العسكري والاقتصادي وإنهاء الحروب الإسرائيلية العربية. وبعد انتهاء حرب تشرين الأول 1973 بين العرب وإسرائيل أدركت الولايات المتحدة أيضاً أن عدم التوصل إلى تسوية شاملة بين العرب وإسرائيل قد يؤدي إلى نشوب حرب جديدة، ولذلك ارتأت إدارة الرئيس الأمريكي جيرالد فورد (1973-1976) ومن بعدها إدارة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر (1977-1981) القيام بمبادرات من أجل عقد تسوية منفردة وعقد صلح بين مصر وإسرائيل بغية عزل الأولى عن دول المواجهة العربية في الصراع العربي الإسرائيلي.

في إدارة الرئيس الأمريكي فورد ارتأت أولاً ضرورة تسوية بين مصر وإسرائيل كمقدمة لانجاز حوار مصري إسرائيلي وتوقيع اتفاقيات بشأن ذلك، ولذلك اندفع هنري كيسنجر إلى معاودة دبلوماسيته الهادئة لتحقيق مفاوضات ولتوقيع اتفاقيات بين مصر وإسرائيل وسوريا كجزء من هذه الحملة اجتمع الرئيس فورد مع الرئيس المصري أنور السادات في النمسا في حزيران عام 1975 أثناء وجوده في أوروبا لحضور مؤتمر حلف شمال الأطلسي، ثم أجرى مناقشات مع رئيس وزراء إسرائيل اسحق شامير أثناء زيارته لواشنطن (1975) وقد اتفقوا على ضرورة التوصل إلى اتفاق يرضي الأطراف المتصارعة بشرط أن تقوم مصر وإسرائيل ببعض التنازلات، وقد نجح هنري كيسنجر في التقرب بين وجهات النظر المصرية الإسرائيلية وتم توقيع اتفاقية في 4 أيلول 1975 تضمنت موافقة إسرائيل على انسحاب قواتها من شبه جزيرة سيناء بشكل تدريجي⁽¹⁾. واستطاع هنري كيسنجر الحصول على موافقة المملكة العربية السعودية لهذه الاتفاقية بعد اجتماع بالأمير سعود الفيصل الوزير السعودي للشؤون الخارجية رغم معارضة العراق وسوريا والاتحاد السوفيتي، وحاولت المملكة العربية السعودية إقناع سوريا لقبول اتفاقية لفك الاشتباك بين القوات مع إسرائيل عن طريق مقايضة المعونة السعودية لسوريا والاعتراف بحقوقها لقيادة قوة ردع عربية في لبنان مقابل الدعم السوري للموقف المصري ووقف إطلاق النار بين سوريا والمسيحيين اللبنانيين⁽²⁾. ولا يخفى أن أبرز أفكار هنري كيسنجر هو الاعتراف بسيادة مصر على سيناء على أن يسمح لإسرائيل في التواجد في المناطق الرئيسة خلال انتقالية طويلة من خلال ترتيبات أمنية ثم الشروع في مفاوضات مباشرة بين مصر وإسرائيل⁽³⁾.

لقد ظهر واضحاً أن الرئيس المصري أنور السادات لم يكتف بالرضوخ للضغوط الأمريكية فقط بقبوله اتفاقية 1975 بل قام بزيارة الولايات المتحدة في تشرين الأول 1975، وقد أكد في مباحثاته مع الرئيس الأمريكي فورد ووزير خارجيته هنري كيسنجر في واشنطن على أهمية الدور

الأمريكي في حل مشكلة الشرق الأوسط بقوله: «أن الولايات المتحدة تمتلك \$99 من أوراق حل أزمة الشرق الأوسط»⁽⁴⁾. ومقابل ذلك أكد الرئيس الأمريكي فوررد على أهمية تحسين العلاقات الأمريكية- المصرية وطلب من الكونغرس الأمريكي على تقديم دعم اقتصادي لمصر بمقدار (750) مليون دولار⁽⁵⁾.

أما بالنسبة لموقف دول الخليج العربي من الاتفاقية فأنها في البداية لم تبد أي معارضة لجهود السلام الأمريكية باستثناء المملكة العربية السعودية فقد أبدت موقفا سلبيا تجاه الاتفاقية واعتبرتها موجة ضد طموحات الشعب الفلسطيني.

خطة السلام الأمريكية عام 1977 وزيارة السادات للقدس:

بعد الانتصار الذي حققه الحزب الديمقراطي الأمريكي في الانتخابات الرئاسية في نهاية عام 1976 توقع الدول العربي أن يعطي الرئيس الأمريكي جيمي كارتر أولوية لحل المشكلة الفلسطينية، وقد تحركت الإدارة الأمريكية فأعلنت عن خطة سلام أمريكية جديدة في حزيران عام 1977 وعقد مؤتمر سلام بعد أن قام وزير الخارجية الأمريكية سايروس فانس بجولة في الشرق الأوسط في شباط 1977 والتقى بؤساء مصر وسوريا والأردن ولبنان وإسرائيل لغرض التوصل إلى تسوية منفردة بين مصر وإسرائيل، وقد تضمنت خطة السلام الأمريكية انسحاب إسرائيل في آخر الأمر إلى حدود عام 1967 فيما عدا تعديلات طفيفة⁽⁶⁾، كما عاود سايروس فانس زيارته للدول العربية لتحقيق تسوية سلمية بين مصر وإسرائيل في تموز 1977، ورافق ذلك تطور مفاجئ إذ قام الرئيس أنور السادات بزيارة إسرائيل بناء على دعوة من حكومتها في 19 تشرين الثاني 1977، وأجرى مفاوضات مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن حول تسوية مصرية إسرائيلية وشدد في خطابه الذي ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلي في 20 تشرين الأول 1977 على: «أن فكرة السلام بينه وبين إسرائيل ليست جديدة وأنه يستهدف السلام الشامل»، واستخدم بعض العبارات العاطفية التي لا تؤثر في المجتمع الإسرائيلي مثل الإشارة إلى إبراهيم هو جد العرب واليهود واقتراح زيارته بعيد الأضحى⁽⁷⁾. وكان السادات قد أخبر وزير خارجيته محمد إبراهيم كامل بالزيارة فرفض هذا الأمر وقال له: «لن نستطيع التقهقر إذا ما ذهبنا إلى القدس بل أننا سنكون في مركز محرج يمنعنا من المناورة» وأضاف «أن سيناء لم ولن تكون في يوم ما مشكلة وأن بذهاب السادات إلى القدس فإنه يلعب بجميع أوراقه دون أن يخشى شيئا وأنه يخسر الدول العربية وأنه سيجبر على تقديم تنازلات أساسية»⁽⁸⁾. وقد وصف أحد الباحثين زيارة السادات لإسرائيل بأنها: «زيارة أسطورية للدولة اليهودية والاتفاق المبدئي الناجم عنها، أحدثت تغييراً دراماتيكياً في الوضع السياسي في الشرق الأوسط»⁽⁹⁾. وكانت قد سبقت زيارة السادات للقدس مجموعة من الاتصالات السرية، إذ تم لقاء سري بين مصر وإسرائيل في المغرب تحت رعاية الملك المغربي الحسن الثاني التقى فيه موشي ديان وزير الخارجية الإسرائيلية وحسن التهامي نائب رئيس الوزراء برئاسة الجمهورية المصرية⁽¹⁰⁾.

كما زار السادات عدداً من الدول ومن بينها رومانيا وتحدث مع رئيسها تشاوشيسكو بشأن مدى جدية مناحيم بيغن ورغبته في السلام فأكد له: «أن بيغن رجل قوي وراغب في تحقيق السلام»⁽¹¹⁾.

لقد اقتنع أنور السادات تماماً بعدم جدوى قرارات الأمم المتحدة بسبب عدم وجود اتفاق كامل لوجهات النظر بينه وبين الموقف الذي اتخذته الرئيس السوري حافظ الأسد الذي رفض مفاوضات إسرائيل مباشرة، كما لاحظ السادات التغييرات السياسية الداخلية في إسرائيل متمثلة بفوز حزب الليكود في الانتخابات الإسرائيلية عام 1977 والذي كان يمثل تياراً أقرب إلى الوسط من منافسه الرئيس حزب العمل الإسرائيلي الذي هيمن على السياسة الإسرائيلية منذ المراحل الأولى لنشوء «دولة إسرائيل»، وكان الليكود لا يعارض فكرة انسحاب إسرائيل من سيناء ولكنه كان يرفض فكرة الانسحاب من الضفة الغربية، كل هذه العوامل بالإضافة إلى تدهور الاقتصاد المصري وعدم ثقة السادات بنوايا الولايات المتحدة بممارسة أية ضغوط ملموسة على إسرائيل مهدت الطريق للسادات للتفكير بأن على مصر أن تركز على مصالحها بدلاً من مصالح مجموعة من الدول العربية وكان يأمل في أن أي اتفاق بين مصر وإسرائيل سوف يؤدي إلى اتفاقات مشابهة للدول العربية الأخرى مع إسرائيل وبالتالي سوف يؤدي إلى حل للقضية الفلسطينية، وفي المقابل انتهز مناحيم بيغن هذه العوامل وأدرك أهمية إجراء مفاوضات مع دولة عربية كبرى واحدة كمصر أفضل من المفاوضات مع مجموعة الدول، أن أي اتفاق سيكون في مصلحة إسرائيل أما عن طريق السلام مع أكبر قوة عسكرية عربية أو عن طريق عزل مصر عن بقية الوطن العربي. وقبيل توقيع الاتفاقية دعا الرئيس المصري أنور السادات رئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن لزيارة مصر وتم عقد مؤتمر في مدينة الإسماعيلية المصرية في 21 شباط 1978 وكان موقف السادات سلبياً أمام بيغن عندما تكلم الأخير عن حق إسرائيل في الاحتفاظ بالأراضي المحتلة وعدوان مصر على إسرائيل وقوله بلهجة شديدة «لقد كان في وسعي أن أبدأ المباحثات بالمطالبات باقتسام سيناء بيننا وبينكم ولكنني لم أفعل»⁽¹²⁾. وبعد اجتماع الإسماعيلية بشهر واحد اجتمعت اللجنة السياسية من وزراء خارجية مصر وإسرائيل والولايات المتحدة في القدس لترتيب عقد مفاوضات أخرى، وفي أثناء انعقاد اللجنة شرعت إسرائيل في بناء مستوطنات جديدة في سناء لاستخدامها كورقة مساومة على مصر كما لم يكن مناحيم بيغن مستعداً لقبول تنازلات، وقال وزير الخارجية الإسرائيلي موشي ديان: «إن من الأفضل لإسرائيل أن تفشل مبادرة السلام عل أن تنقد مقومات أمها»⁽¹³⁾.

كما عرض الإسرائيليون في الوقت ذاته على مصر ترك قطاع غزة للإدارة المصرية مقابل تعهد بعدم اتخاذها منطلقاً لأعمال الفدائية، وكان هدفهم من ذلك عدم إثارة موضوع الضفة الغربية وبذلك تكون إسرائيل قد حققت هدفاً جوهرياً من أهداف المفاوضات وهو التركيز على مسألة الانسحاب من سيناء مما يردى إلى صلح منفرد مع مصر وتوسيع الهوية بين السادات والفلسطينيين. وقد شعر السادات بدوره بأن إسرائيل تماطل في مفاوضاتها فألقى خطاباً في تموز عام 1978 قال فيه: «إن بيغن يرفض إعادة الأراضي التي سرقها إلا إذا استولى على جزء منها كما يفصل لصوص الماشية في مصر»⁽¹⁴⁾.

على الرغم من الكتب والدراسات الكثيرة التي صدرت عن «مؤتمر كامب ديفيد» الذي عقد في سبتمبر 1978 بين مصر وإسرائيل برعاية الولايات المتحدة، فإن المحللين والمؤرخين سيظلون يولون اهتماماً كبيراً لهذا المؤتمر لما له من آثار كثيرة على واقع الأمة العربية.

مؤتمر كامب ديفيد كان واحداً من أهم الأحداث على مسار الصراع العربي- الإسرائيلي والمفاوضات التي أسفر عنها، وردود فعل التي أثارها في مصر والوطن العربي والعالم بأجمعه. أن هذا المؤتمر الذي شارك فيه الرئيس المصري أنور السادات والرئيس الأمريكي جيمس كارتر ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن أسفر عن أول معاهدة سلام عربية إسرائيلية بين أكبر دولة عربية -وهي مصر- وبين إسرائيل وهذه المعاهدة فتحت بدورها الباب أمام تطورات أخرى مثيرة مثل مؤتمر مدريد عام 1991 واتفاق أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل عام 1993 والمعاهدة الأردنية الإسرائيلية، وتعتبر اتفاقية كامب ديفيد طعنة من الطعنات التي تلقتها خاصرة النظام الإقليمي العربي. وكما هو معروف فإن مؤتمر كامب ديفيد ومن قبله زيارة السادات للقدس المحتلة وبعده المعاهدة المصرية الإسرائيلية أثارت معارضة شديدة داخل مصر والعالم العربي، وأحدثت شرخاً عميقاً في العلاقات بين الدولة العربية وهنا يطرح هذا السؤال: لماذا رغم توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل (كامب ديفيد) إلا أنها لا تزال تحفظ حول مسألة التطبيع مع إسرائيل؟

للإجابة على هذا التساؤل لا بد من وجود فرضيات والتي هي أساس البحث وبعض المداخيل الهامة لتغطية البحث أهمها:

- هل هذا التحفظ المصري ناجم عن كون مصر أنها خضعت لضغوطات أمريكية بخصوص توقيعها اتفاق مع إسرائيل؟
- أم أنها مصر لعزلتها العربية (ربما يفسر ذلك).
- هل هذا التحفظ ناتج عن الأضرار الاقتصادية التي تلت التوقيع على الاتفاق مع إسرائيل.

- بناء على هذه الصيغة للفرضية يمكن أن نبدأ بصياغة البحث ونسجه بشكل متكامل.

خلفية عامة عن توقيع الاتفاق من حيث المكان والزمان والأشخاص:

المكان: ضاحية كامب ديفيد المفرد الصيفي لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية يحيطها من عوامل ومقومات الأرض ما لا يستطيع أحد اختراقه بل أن من يدخل كامب ديفيد مهما كانت حركته داخل أسوارها فهي صغيرة إلى حد كبير وداخل هذا المكان المقيد بالمسافات القصيرة والمتلاصقة والضيقة تكثُر الحركة القصيرة بالتبعية وتبدو كثيفة لضيق المكان⁽¹⁵⁾.

الزمان: هو فترة محددة سيف مسلط على الوفود الثلاثة، حيث لا بد أن يقطعوا هذه المفاوضات في زمن محدد، وإلا قطعهم هذا الزمن وبدأ فشلهم أمام العالم أجمع ومن هنا كان التوتر والأعصاب المشدودة واللهفة والإثارة والانفعال⁽¹⁶⁾.

الأشخاص: كان الاجتماع الأول والأخير في بداية المؤتمر بكامب ديفيد بين الوفدين العربي والأمريكي فقد كان التناول ثنائياً بين كل المضار وفد بمفرده وثنائياً من وفدين ثم ثلاثياً بين الوفود كلها وأحاديّاً بين هذا وذاك⁽¹⁷⁾.

توقيع الاتفاق ورفض مصر التطبيع مع إسرائيل

في يوم 9 نوفمبر 1977 وفي خطاب أمام مجلس الشعب المصري أعلن السادات أنه مستعد للذهاب إلى أي مكان في العالم من أجل السلام بل أنه مستعد للذهاب والتكلم أمام البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) بالقدس. وتمت الزيارة التاريخية يوم 19 نوفمبر وتابعتها كل محطات التلفزة العالمية. وتمسك السادات في خطابه بمجموع المواقف العربية ودعا إلى أبرام السلم وتكلم عن حقوق الفلسطينيين غير أنه لم يشير إلى منظمة التحرير الفلسطينية ورد عليه مناحيم بيغن مؤكداً على الحقوق التاريخية وعلى شرعية الصهيونية⁽¹⁸⁾، فكان هذا المؤتمر سيء أو شبه ما يكون باجتماع الكرادلة لانتخاب البابا فلم يكن له إمكانية غير أن يقضي إلى اتفاق وإلى إخفاق تام يضع نهاية لعملية السلام.

بدأت الاتفاقيات الرئيسية بمثابة تسوية شاملة للنزاع العربي الإسرائيلي واتخذ القرار 242 باعتبار جميع أطرافه قاعدة تسوية سليمة بين إسرائيل وجيرانها وكذلك البند 2 في ميثاق الأمم المتحدة، فعلى أساس المعاملة بالمثل يمكن للأطراف روابط خاصة للأمن مثل إقامة مناطق منزوعة السلاح أو محدودة التسليح أو مرابطة قوات دولية أو إجراءات مراقبة متفق عليها هذه البنود تتفق تماماً مع القرار 242⁽¹⁹⁾. وبعد إعلان الاتفاقيات (كامب ديفيد) وبعد اجتماعات مطولة بين الرؤساء كارتر والرئيس السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن، يهمن أن نبين الأسس الرئيسية التي بنيت عليها هذه الاتفاقيات.

لقد حضر اجتماعاتها أطراف ثلاثة لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن يقال عنهم بأنهم يمثلون جوهر الصراع الشرق الأوسطي وهذه المبادرة التي تمت للوصول إلى التقارب المصري الإسرائيلي هي أولاً مبادرة شخصية، فهذه سياسة لا تمثل السياسة القومية المصرية ولا تمثل السياسة العربية سواء كانت المواجهة أو الملتزمة بميثاق جامعة الدول العربية سواء على أساس سياسي أو عسكري وتمثل م.ت.ف هو ليس الشرعية وإنما تنفيذ المخططات الأمريكية الإسرائيلية وبهذا نفذت أمريكا وبالتعاون مع مصر وإسرائيل باتفاق الأطراف جميعها المخططات التي طرحتها ضمن أحلاف الخمسينات والستينات⁽²⁰⁾. وبهذا أصبح السادات ملزماً بحماية أمن إسرائيل وأزله الحواجز السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي خلقت منها جيتو يهودي كبير في الشرق الأوسط.

ثم جاءت السنوات التي تبعت توقيع معاهدة السلام وشهدت تحولاً آخر في الرأي العام المصري، فقد بدأ بعض المصريين أن شروط المعاهدة غير منصفة ووجدت المخاوف طريقها إلى صفوف الجماعات التي أيدت مبادرة السلام للسادات وسجل ضرب العمل الاشتراكي الأحزاب المعارضة تحفظات على المعاهدة وبالرغم من تصويته لصالحها في مجلس الشعب وزادت المخاوف حدة كلما استمرت إسرائيل في بناء المستوطنات الجديدة في الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان دون الالتفات إلى الاحتجاجات المصرية⁽²¹⁾. وبذلك بدأ الجمهور المصري المؤيد للسلام في الازمحلال ونمت المشاعر الصامتة بعدم الرغبة في تطبيع العلاقات الإسرائيلية زد على ذلك أقدام

إسرائيل منفردة بضم القدس وإلى انضمام العمل الاشتراكي إلى صفوف اليساريين والإسلاميين في انتقادهم لعملية السلام برمتها. ومع قدوم صيف عام 1981 تدعمت صفوف المعارضة المنظمة للمعاهدة بقضية شعبية عارمة فقد ساهمت الغارة الجوية الإسرائيلية التي قصفت المفاعل النووي العراقي في شهر يونيو بعد يومين اثنين من لقاء بيجن والسادات في شرم الشيخ في القضاء على جانب كبير من الإيمان الذي ساور المصريين في صدق رغبة إسرائيل في السلام⁽²²⁾. وبالتالي فإن ما وصل إليه النظام الحاكم في مصر من انحطاط سياسي تجلى في زيارة السادات (البهلوانية) إلى القدس مجردة خطوة فردية وهي انعطاف مفاجئ وشكلت دوافع التفاهم الطبيعي وبالتالي الوصول إلى هذا الوضع⁽²³⁾.

فقد شكلت قاعدة هذه الزيارة التحولات في العلاقات الاقتصادية والتبادل التجاري والمتسع تدريجياً بين مصر والولايات المتحدة من ناحية ومن ناحية أخرى بين أمريكا وكل قطر عربي آخر على حدة كما شكلت هذه الزيارة الحد الأدنى للاعتماد على الحلول الاستسلامية أي الحل الأمريكي للمسألة الفلسطينية المتمثل حدة الأعلى في المطالبة بدولة فلسطينية في الضفة والقطاع. ونضيف أنه كان لتعثر الجهود المبذولة فيما بين 1975 و 1977 لتسوية نزاع الشرق الأوسط ومظاهرات العداء عام 1977 كانت بمثابة مؤشرات مبكرة بتحرر مصر من شبح الأوهام الذي خلقته الرابطة الأمريكية الساداتية والحقيقة أن المعونة الأمريكية لمصر استمرت بصورة مباشرة بنتائجها المباشرة⁽²⁴⁾. ثم جاءت مبادرة السادات التاريخية لإسرائيل عام 1977 والتي أيدتها الولايات المتحدة بكل شدة لوضع حد مؤقت لتعلق مصر المتزايد إزاء العلاقة الأمريكية. وبالتالي وعلى حد زعم الكاتب وليم كوانت لقيت جهود الرئيس جيمس كارتر ووساطته في المفاوضات التي أدت إلى اتفاقين كامب ديفيد ومعاهدة السلام تقريراً حقيقياً من غالبية الشعب المصري إذ خاب آمالهم في أن السلام والرفاهية قد يتحققان من غالبية الشعب المصري إذ خابت آمالهم في أن السلام والرفاهية قد يتحققا أخيراً عن طريق الرابطة الأمريكية⁽²⁵⁾. ولكن سرعان ما تبددت هذه الآمال إزاء زيارة الرئيس المصري السادات للولايات المتحدة الأمريكية عام 1980 أقل تفاؤلاً من إمكانيات الدور في تحقيق السلام العادل والشامل في المنطقة العربية وهذا ما حرا بمصر إلى العدم إقامة تطبيع مع إسرائيل. ومع قدوم خريف عام 1981 وجد نظام السادات نفسه تحت ضغوط متزايدة من الداخل والخارج على السواء كانت إسرائيل تخرجه وكانت الولايات المتحدة تخذله وكان المعتدلون العرب قد أداروا له ظهورهم منذ وقت طويل وهذا ما يفسر عزله مصر العربية عن الساحة زد على ذلك اشتداد عدد المعارضة داخل مصر ذاتها فبالتالي كان هناك في المادة الثالثة فقرة (3) في نص الاتفاق تنص على ما يلي:

« يتفق الطرفان على أن العلاقات الطبيعية التي ستقام ستتضمن الاعتراف الكامل والعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء المقاطعة الاقتصادية والحوجز ذات الطابع التمييزي المفروضة ضد حرية انتقال الأفراد والسلع كما تعهد كل طرف بأن يكفل تمتع مواطني الطرف الآخر الخاضعين لاختصاصه القضائي بكافة الضمانات القانونية ويوضع البروتوكول الملحق بهذه

المعاهدة الطريقة التي يتعهد بها الطرفان بمقتضاها بالتوصل إلى إقامة هذه العلاقات وذلك بالتوازي مع تنفيذ الأحكام الأخرى لهذه المعاهدة»⁽²⁶⁾.

نستنتج من ذلك بالرغم من وجود نصوص ثابتة في الاتفاقية إلا أن مصر ترفض عملية التطبيع وتحفظ عليها مع إسرائيل ربما هي المستفيد الأول من عملية التطبيع كما أن غالبية الشعب المصري بطل فئاته وأحزابه ترفض التطبيع وهذا ما سنحلله في الفصل الثاني.

زد على ذلك أن سياسية الكامب ديفيد خلفت سلوكاً جديداً يمتاز بالحذر والتراجع والواقعية والسياسية خصوصاً في صفوف الأقطار العربية المعتدلة من أجل الحفاظ على الوضع الراهن والأمن والاستقرار على حساب عودة تضحيات « تهميش النخب الوطنية، تفجير الكادحين، تأزم الاقتصاد وانتشار البطالة والتضخم وتجميد الأجور، تشويه المجتمع وتخريبه وانتشار الرشوة والمحسوبية، والميز الطبقي، وعدم المراقبة الجوية وتسرب أمراض الغرب وعفونته إلى أرض الوطن العربي والتركيز على التنمية القطرية وسيادة عنصر السيادة»⁽²⁷⁾.

فبالتالي قامت السياسة الكامب ديفيد حقيقة تضرب الأمة العربية في القلب، واعتزلت مصر داخل حدودها الإقليمية الضيقة، ودفعت إلى الاغتراب في الأشكال المختلفة والمتنوعة للأيديولوجيات الانفصالية بكل ما تقتضيه ذلك من ضروريات داخلية منه وما يترتب عليه من علاقات دولية⁽²⁸⁾. وإذا كانت مقاطعة مصر في ذلك الوقت لا يبررها فإن الاستمرار في عزلة مصر الآن ليس له ما يبرره، فإن كامب ديفيد لا زالت قائمة غير أنها لم تعد قائمة في مصر لوحدها ومصر ليس وحدها لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع إسرائيل مع ذلك مصر متحفظة من عملية التطبيع مع إسرائيل وهناك اليوم دول عربية تسارع وتتسابق للتطبيع مع إسرائيل مثل موريتانيا وغيرها من الدول العربية. ومهما قيل في تحليل بنود اتفاقية كامب ديفيد ومهما اجتهد في تفسيرها فإن الصلة بين إسرائيل ومصر يشكل انتصاراً باهراً للأهداف التي قامت إسرائيل من أجلها كما يشكل حالة من الإحباط الشديد في عالم عربي متشرد وممزق تسخر ثرواته وطاقاته لتجديد شباب الامبريالية في زمن تقهقرها. ولا ننسى الأضرار الاقتصادية الناتجة عن توقيع اتفاقية كامب ديفيد فقد قدرت الديون الخارجية المصرية في منتصف عام 1987 بما يقرب عن 44 مليار دولار منها نحو 15 مليارات من الدولارات تخص الولايات المتحدة وبالتالي ينظر المصريون إلى الضغط الأمريكي نظره سلبية إذ يرون بأنه محاولة للسيطرة وفرض الرأي وهذا ما يدفع بالدرجة الأولى عدم إقامة علاقات طبيعية بين مصر ووريثه الولايات المتحدة الأمريكية (إسرائيل)⁽²⁹⁾.

حيث إسرائيل تلقت من المعونات الأمريكية ما تحتاج، هذا يفسر أن المعونات الاقتصادية لكل البلدين من الجانب الأمريكي مصدراً لبعض الاحتكاكات والمشاحنات ناهيك عن ذلك أن المعونة الاقتصادية لن تؤدي إلى إطالة معالجة مصر لمتاعبها الاقتصادية المتباينة. وبهذا نجد الرئيس السادات لم يرفع عن كل هذه التنازلات الرخيصة فأنقاد لها في عنف وقوة وأصبحت معظم خطبه التي تضاغت في الشهور السابقة على اغتياله لا تكاد تخلو من عبارات القذف والتهكم على بعض القادة العرب حتى إنه قام بالتهجم وتجريح العديد منهم.

لقد سطر الانفعال على الرئيس السادات، وبدأت نبرة التوتر تعلو خطبه وتصريحاته وجاءت مواجهاته مع المعارضة الداخلية لتزيد الطين بله وتحول لهجته إلى خليط غريب من التحدي والاستقلال⁽³⁰⁾.

فقد كانت الشهور الأخيرة من حياة الرئيس حرباً كلامية في الخارج ضد العرب وفي الداخل ضد المعارضة التي عارضت اتفاقية كامب ديفيد وطالبت بعدم وجود علاقات طبيعية بين مصر وإسرائيل ورفضت التطبيع رفضاً تاماً.

أن مصطلح التطبيع الشائع لتوصيف العلاقات الجارية مع العدو الصهيوني يأخذ معنى مقلوباً ذلك أن التطبيع يعني إحلال علاقات طبيعية بين طرفين بدلاً للعلاقات غير القائمة بينهم فالمحاولات الجارية تحت اسم التطبيع فإنها تسعى لتمويل هذه العلاقة الطبيعية إلى علاقة غير طبيعية فستظل مثل هذه العلاقات مفتعلة وشاذة ومؤقتة لأنها لا تتسجم مع القوانين والحقائق الموضوعية التي تحكم علاقة النقيضين المتصارعين. والتطبيع بمعناه الكامل يتطلب من أجل تحقيقه مجموعة من المقومات والمهملات التي لا يكتمل بدونها ومن أبرزها:

1. التطبيع السياسي: أو الاعتراف الدبلوماسي والقانوني.
 2. التطبيع الاقتصادي: أي تحكم الطرفين جملة من المصالح المشتركة تقوم على أساسها علاقات متبادلة في مختلف المجالات: تجارة، صناعة، خبرات أيدي عاملة، مواد أولية، رؤوس أموال.
 3. التطبيع النفسي: أي القبول والتسليم بوجود وحقوق الطرق الآخر والتعايش معه ومع ما يتطلب ذلك من فتح الحدود وتبادل الزيارات والسياحة وإقامة مختلف العلاقات والمؤسسات الرسمية والشعبية.
 4. التطبيع الثقافي: وهذا يتطلب إلغاء كل الأفكار والمعتقدات التي يحملها كل طرف تجاه الآخر مع ما يحتاجه ذلك من تغيير في المناهج التعليمية والمطبوعات الفكرية والتاريخية والسياسية والوسائل الإعلامية والأعمال الفنية... الخ⁽³¹⁾.
- ففي ظل هذه المقدمات والأسس فهل هناك إمكانية لتحقيق التطبيع بين مصر والعدو الصهيوني بمعنى آخر هل الإيديولوجية الصهيونية السائدة اليوم بمختلف اتجاهاتها مهياة لمثل هذا التطبيع؟ وإذا كانت الإجابة بالسلبى أو الإيجاب فسئزى معاً دوافع مصر لرفض عملية التطبيع مع إسرائيل.
- لقد جاء الغزو الإسرائيلي الهمجي للبنان ليطيح بكل أحلام وأمال المتعلقين بالسلام مع مصاصي دماء العرب وليعلن بأعلى صوت للواهمين أن حرب أكتوبر لم ولن تكون آخر الحروب كما زعم القائل د. مصطفى كامل السيد وهو من أحد لجان مقاطعة التطبيع في مصر: «أن غزو لبنان ومن قبله اعتداؤها على المفاعل النووي العراقي أثار قطاعات عديدة من الشعب العربي المصري من المثقفين في مصر والسياسيين الحالمين ونبه لأدراك خطورة التطبيع»⁽³²⁾.
- في حين ظهرت العديد من اللجان من كافة القيادات الوطنية وتمكنت تدريجياً بمقاومة التطبيع واندلعت العديد من المظاهرات المنددة بالصهاينة وأمريكا ورافضة رفضاً قطعياً لعملية

التطبيع. وتضيف الكاتبة فتحية العسال وهي كاتبة مصرية أن غزو لبنان كان القشة التي قصمت ظهر التطبيع فالناس سرعان ما استرجعوا لذاكرتهم الصورة القديمة لإسرائيل والغلاء وتفاقم الأزمات الاقتصادية التي تلت توقيع اتفاقية كامب ديفيد فقد ظهرت مقاومة التطبيع وإسقاط القناع عن الوجه الإسرائيلي الأمريكي البشع⁽³³⁾.

نستنتج من ذلك أن غزو لبنان قد دفع الحكومة المصرية للاستجابة إلى حدا ما للشعوب بعدم الحماس الجماهيري تجاه التطبيع فتباطأت الحكومة المصرية في استمرار إجراءات التطبيع وأعلنت تجميده، وبعد أن وصل الخط البياني لمقاومة التطبيع إلى أعلى نقطة بعد الغارة الإسرائيلية على مقر المنظمة بتونس (حمام الشط) وبعد اختطاف المقاتلات الحربية الأمريكية لطائرة مدنية مصرية مما جعل الشارع العربي المصري يتجاوز مجرد رفض التطبيع والشعارات لطرد السفير الإسرائيلي وما إلى ذلك وبصل إلى حالة الرفض التام لأي علاقة مع العدو الإسرائيلي أو الأمريكي وتعلو شعارات في المظاهرات تلقى صدى جماهيرياً أكثر وأوسع مثل إسقاط كامب ديفيد وقطع العلاقات مع إسرائيل وأمريكا⁽³⁴⁾. ومع ارتفاع درجة حرارة الشارع المصري إلى هذا الحد يتبادر إلى الأذهان تساؤل حول مستقبل العمل ضد التطبيع، فالاستجابة لدعوة مقاومة التطبيع تعد بطيئة نسبياً إذا ما قورنت بالجهد الذي تبذله القوى الوطنية فنحن نعرف جيداً إنه ما زالت شركات السياحة والمؤسسات الحكومية وبعض الأفراد يتعاملون مع العدو الصهيوني، فالمسألة صنف في النهاية مسألة كرامة وهذا سيساعد كثيراً في إنهاء العلاقة بإسرائيل وبل التركيز على إسقاط كامب ديفيد. وعلى صعيد دور الجماعات الإسلامية في مصر ودورها في العمل ضد التطبيع فإن موقف التيار الإسلامي موقف أزلّي وهو استمرار لقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قبل 1500 عام بأنهم لا يرفعون عهداً ولا ذمة، والاتجاه الإسلامي تعهد بمقاطعة إسرائيل⁽³⁵⁾.

أن واقع الجماهيري المصرية الآن ساعد على أثر الإعلام الساداتي الذي زيف ووعي الجماهير وحجب الرأي الآخر، فالشارع مهياً لإسقاط شعار كامب ديفيد فهو شعار أقدى وأرقى من شعار التطبيع ومقاومته لكن ليس يعني هذا أن يحدث بين يوم وليلة لأن أدوات الحركة الوطنية لا زالت أقل تأثير إذا قورنت بأدوات النظام الحاكم.

زد على ذلك أيضاً أن التأثير السلبي في ووعي المصري بعمقه العربي ومحاولة بذل بعض الأفكار واستغلال بعض سبل المعاملة الفردية بين بعض المصريين وبعض العرب لتزييف الوعي بالارتباط المصري العربي»، والتأثير في قيم المصريين وبخاصة القيم الدينية والسعي نحو نشر الإيجابية الفردية⁽³⁶⁾. ونضيف على ذلك أن غالبية الشارع المصري لا يثقون بنوايا إسرائيل من السلام ومما عمق فقدان الثقة هذا وجسم الجوانب السلبية في الشخصية الإسرائيلية لممارسات إسرائيل داخل فلسطين المحتلة وكما تحدثنا في جنوب لبنان والاعتداء على المفاعل النووي العراقي واغتيال العالم المصري (يحيى المشد) وغيرها من الممارسات.

أن الإعلام المعارض مريضاً وعريباً، بجانب جهود مصرية وعربية لإبراز آثار التطبيع وأخطاءه المستقبلية ورغم بعض التحفظات عليه قام بدور توعية المواطنين بتاريخ إسرائيل وممارساتها

العدوانية في الوطن العربي⁽³⁷⁾. وهناك تصورات وقيماً في الوجدان المصري ترسبت وتعمقت عبر سنين طويلة تدعم وترفض إسرائيل ومقاومتها وهي تصورات امتزجت فيها القيم الدينية والخبرة المباشرة للمصريين مع إسرائيل بالخبرة التاريخية منذ احتلال فلسطين.

أن معظم ما يتصوره البعض حول إجراءات التطبيع لا يكاد يتجاوز أدوار المسؤولين والموظفين الرسميين الذين فرض عليهم التطبيع فقبلوه شكلاً ونفذوا بعضه موضوعاً وتلك آلية بارزة في تاريخ ممارسات المصري لنقل ما تشاء أو لتتحد الحكومات فيما تريد ولتصدر من القوانين ما تشاء وتوقع من الاتفاقيات ما تريد لكن المواطن المصري ماضٍ في طريقة يجهض ما يريد ويطل مفعوله وان حافظ عليه شكلاً حدث هنا ويحدث في (خلو الرجل) في الإسكان وفي مخالفة الدولة الزراعية وفي مقاطعة صناديق الانتخاب⁽³⁸⁾. واحدة أيضاً من أهم التحفظات التي أدت إلى عدم وجود علاقات وتطبيع مع إسرائيل هي أن الطرف المصري أصبح معزولاً عند الميدان ولم يعد له الثقل المعنوي على الأقل الذي كان يمثل في المجموعة العربية وأخطر ما في ذلك أن دبلوماسية كسنجر وبيجن أصبحت تعي جيداً أن الرئيس السادات أي الرجل المصري وهو الرجل الذي يستطيع وهو سيد الموقف الداخلي في مصر وبين يديه كل أوراق الحل والعقد فالأغلبية تؤيده والبرلمان يرفضه والمعارضة تساند ونقطة بهذه الأهمية من الخطر يمكن تحريرها بلا صعوبات كبيرة خاصة بأن الرئيس قد سار أشواطاً في مبادرته وأصبح من المستحيل عليه أمام قوة الوضع أن يتوقف أو أن يتراجع⁽³⁹⁾.

غير أن الهجوم العربي لم يقتصر على مبادرة الرئيس السادات أو اتفاقية كامب ديفيد، ولكنه كان هجوماً شاملاً تناول كل نظام الرئيس السادات وهذا بحد ذاته زعزع الرأي العام المصري وتحريك الشارع المصري ضد الرئيس السادات وضد الاتفاقية وضد أيه علاقات مع إسرائيل. وقبل شهور من اغتيال السادات كانت أصوات المعارضة في الداخل والخارج أقوى من كل أجهزة الإعلام المصرية فقد كانت كلمات بعض أئمة المساجد وبعض الصحف الصغيرة تعلو على كلمات الصحف الكبرى وخطب المسؤولين لقد كانت هذه الكلمات تلمس عند الجماهير حقيقة حالها وتحرك فيها كل نوازع الرفض للحاضر. ولعل الرفض العربي بالاتفاقية وجعل مصر في صورة عن الواقع الأمة العربية مردده لأمر أهمها: أن مصر أخلت عن مسؤوليتها قبل الأمة العربية رغم أنه لا غنى لمصر عن الأمة العربية ولا غنى للأمة العربية عن مصر.

زد على ذلك أن خروج مصر المفاجئ قد أخرج الأمة العربية وأضعف شوكة الدولة المواجهة ضعفاً خطيراً يعجل باحتمال سقوطها فريسة للضغط الإسرائيلي الأمريكي ناهيك عن ذلك أن ذلك أضعف مصر نفسها في مواجهة القوة الإسرائيلية المدعمة بلا حدود من الولايات المتحدة الأمريكية خاصة وأن الاستعمار الصهيوني يريد فرض سيطرته العسكرية والاقتصادية والسياسية على المنطقة تحت مظلة القوة الأمريكية المتحالف معه⁽⁴⁰⁾. ولا يمكننا أن نتصور مستقبلاً مشرفاً لمصر منفصلة عن الأمة العربية التي تتكامل فيها كل مقومات البشر والأرض والثروة والمصير. ومن التحفظات التي تأخذها مصر بالحسبان هو اشتراط إسرائيل عودة العلاقات الطبيعية بما في ذلك

العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية والثقافية وإنهاء الحواجز أمام حركة السلع والأشخاص والحماية المتبادلة للمواطنين قبل إتمام عملية الانسحاب الكامل من سيناء وقبل تنفيذ الاتفاق الشامل مع باقي الأطراف فيه ضربة شديدة لسيادة مصر ذاتها لأنها أرغمت لها على قبول ما يجوز ألا تقبله أية دولة مستقلة ذات سيادة ما لم تجبر عليه بالقوة⁽⁴¹⁾. ومن المعلوم أن هدف إسرائيل البعيد هو السيطرة الاقتصادية على المنطقة العربية تمهيداً لسيطرتها السياسية، وأن ما ذكر سابقاً أنفاً يحقق لها هذا الهدف علاوة على أنه تسميم ثقافة مصر العربية وتحطيم لاقتصادها الضعيف أمام الغزو الاقتصادي الإسرائيلي الذي تسانده أموال الصهيونية العالمية وأمريكا. ولا تنتاسي الدور الأمريكي في المنطقة ومدى الضغط الذي قامت به الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، كما أن إشارات كامب ديفيد تلك الموقعة في 17/9/1977م ليست بجديدة على ساحة السياسة الأمريكية وإنما هي موضوعة أصلاً في ملفات وزارة الخارجية ومن هنا ظهرت الصورة الواضحة للمفهوم الأمريكي للحل العادل والدائم والشامل في الشرق الأوسط واتهمت مصر بأن الولايات المتحدة استدرجتها للخروج على وحدة الصف العربي وسخر الناقدون العرب والسوفييت بالإضافة إلى المتشككين من الأوروبيين مما أعلنه السادات وكارتر في التسوية الشاملة ففي السنوات التي أعقبت كامب ديفيد قام حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي بدور القيادة في مقاومة التطبيع وإبراز دور الولايات المتحدة وما مارسته ضغوطات على مصر بتوقيع اتفاق كامب ديفيد. حيث برز وورد في حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي في برنامجه الانتخابي عام 1984 في عام 1987م نفس الاعتراضات على كامب ديفيد ويرى الحزب: «أن مصر ظلت حتى رحيل جمال عبد الناصر نموذجاً للتحرر والاستقلال الوطني مثلاً يحتذى به، لكنها تعرضت في السبعينيات في ظل حكم السادات إلى هجمة استعمارية شرسة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية بهدف فرض سيطرتها على مصر وإكمال هيمنتها على الوطن العربي، وقد كانت كامب ديفيد نقطة تحول في أوضاع المنطقة أدت إلى خلل استراتيجي خطيراً فقد أخرجت مصر رسمياً من ساحة الصراع العربي الإسرائيلي»⁽⁴²⁾.

فبعد توقع اتفاقية كامب ديفيد في عام 1979 أقر الكونغرس الأمريكي برنامجاً للتعاون الإقليمي - التطبيع - للشرق الأوسط تمويله الوكالة الأمريكية للتنمية والتي خصصت له 5.8 مليون دولار سنوياً وذلك لاستخدام المعونات الأمريكية كمدخل للتطبيع وأداة منفذه لمخططاته⁽⁴³⁾. نرى في ذلك أن موقف الحزب ومختلف الأحزاب الأخرى في مصر تنبع من التوقف التام عن تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل ومقاومة كل حالة تجعل من اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة الصلح قيلاً على حرية الإرادة الوطنية فقد كان الحكم الساداتي حكم شعوي مطلق ملتصق بالمصالح الأمريكية في المنطقة ومؤتمر بأمريكا فقد جاءت في نصوص الاتفاقية بأن يجري دعوة الولايات المتحدة للاشتراك في المحادثات بشأن موضوعات معلقة وإعداد جدول زمني لتنفيذ تعهدات الأطراف وهذا تحذوه الولايات المتحدة الأمريكية في أيامنا هذه عبر تحسين علاقاتها مع مصر بتقديم المساعدات الأمريكية لمصر والضغط عليها لإقامة علاقات جيدة والتطبيع الاقتصادي مع إسرائيل.

أن إسرائيل هي المستفيد أولاً وأخيراً من خلال توقيعها اتفاقية كامب ديفيد فهي تمتلك مشروعاً كاملاً للمستقبل هذا المشروع هو الذي يشير على هدية المفاوضات متعددة الأطراف في مجال التعاون الاقتصادي الإقليمي وباختصار شديد تمتلك إسرائيل رؤية متكاملة ومشروعاً استراتيجياً واضحاً ومدرساً جيداً ومعقداً جداً منذ توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام 1977م⁽⁴⁴⁾. وفي المقابل فإن العرب على حد القصور لا يملكون حتى الآن مواقف تتراوح بين القبول السطحي والساذج لبعض المقولات التي تجيء في بعض الكتابات الغربية حول المكاسب الناجمة عن السلام أو التوجس والامتناع دون طرح أي بديل واعتقد أن الجامعة العربية لا تمتلك أي وثيقة جادة تطرح فيها رؤية بديلة لمشروع (السوق الشرق أوسطية) الإسرائيلي الأمريكي. ومن الشواهد الحية على أن إسرائيل هي المستفيدة من خلال التوقيع على اتفاقية وإقامة تطبيع مع مصر التقرير الذي نشر على زيارة وفد اتحاد الصناعات المصرية لإسرائيل وقد جاء فيه: « أن هناك تطور اقتصادي سيحدث في المنطقة لا يمكن تجاهله وستلعب فيه كل من (إسرائيل، فلسطين، الأردن، لبنان، سوريا، دوراً هاماً) وأين مصر؟ وهناك مؤشرات تتبنى بأنه خلال فترة (من سنة إلى ثلاث سنوات) ستكون هناك منطقة حرة بين إسرائيل وفلسطين والأردن وأين مصر؟

فإن سعي إسرائيل المتواصل والمطالبة بالتطبيع ما هي إلا مطالبة بالهيمنة على المنطقة العربية فإن إسرائيل تفتح كافة خطوط الاتصال مع كافة الدول العربية في مجالات عديدة منها النفط والطاقة بصفة عامة وتوظيف الدول العربية لتحقيق مصالحها فمثلاً قامت بتوظيف الغاز المصري الإسرائيلي لصالح خطها الأكبر لتكون مركز لتسويق الغاز في المنطقة⁽⁴⁵⁾. وقد شكل اتفاق كامب ديفيد مرحلة جديدة بالمنطقة لكونه أخرج مصر والعالم العربي من الصراع بالوسائل العسكرية إلى عدم الصراع وكذلك ربط مصر بعملية الاقتصاد الرأسمالي ومؤسساته، ورفع يد الدولة عن الاقتصاد وكانت هذه التوجهات هي نفسها ما يحتاجها التطبيع وربط الاقتصاد والغربي بالعالم العربي وترى إسرائيل أن التطبيع يعني أحداث تغيير على الجانب العربي يبدأ من ضرورة قبول إسرائيل بأساسها الأيدولوجي ويميز ذلك التغير إلى قدرات العرب العسكرية ثم ينتهي إلى التعامل الاقتصادي معها وقبولها كجزء لا يتجزأ من المنطقة ويعتبر ذلك شرطاً لتحقيق السلام في المنطقة⁽⁴⁶⁾.

في الوقت الذي تعلن فيه إسرائيل أن مشروعات التطبيع في جميع المجالات سواء الثقافية أو الاقتصادية أو السياسية تعتمد على المصالح المشتركة للطرفين وتوفر عامل الثقة لإيجاد أسس حقيقية في استمرار السلام فإن مشروعاتها تتبنى المصلحة الذاتية الخاصة.

ففي مجال الزراعة والمياه على سبيل المثال لا نجد أي استفادة للجانب العربي من المشروعات المقامة خاصة (مصر، الأردن، فلسطين، سوريا) كما نصور مشاكل استهلاكها الجائر للموارد المائية التي تحقق يدها إلى مصر لتحل مشكلة قطاع غزة 100 مليون متر مكعب سنوياً⁽⁴⁷⁾. كما أدخلت إسرائيل الأمراض للإنسان والحيوان والنبات والنحل كما قامت بسرقة العديد من الجينات الوراثية للنبات والحيوان واستخدمت إسرائيل العمالة العربية أما في مجال التطبيع

القسري(الأراضي الفلسطينية، جنوب لبنان) أو في اتفاقيات انتقال الأفراد في اتفاقيات التطبيع (الأردن، مصر) وقد أدى ذلك إلى ظهور العديد من حالات التجسس لصالح إسرائيل بين تلك العمالة من أمثال عزام عزام الموجود الآن في السجون المصرية⁽⁴⁸⁾. وقد سعت إسرائيل لأن تكون اتفاقيات التطبيع بينها وبين الدول العربية مع كل بلد على حدة وذلك للتعظيم أرباحها من جهة وحتى تصبح مركزاً للاقتصاد بالمنطقة وتصبح كل الدول العربية هي المحيط وهامش اقتصاد المنطقة رغم أن الدول العربية هي صاحبة الموارد وإسرائيل لا تملك أي شيء من هذه الموارد وتعتمد إسرائيل في مخططاتها على ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات الدولية في منح مساعداتها وقروضها الميسرة للدول التي تلتزم بهذه المخططات.

فهذه المخططات هي امتداد للمشاريع الامبريالية ومشروع المتوسطية لأن إسرائيل هي الطرف الرئيس فيه متحالفاً أو كما نقول متأمر مع الامبريالية الأمريكية وبالتالي لا بد أن ننظر للطرف الآخر في شكله ومنظومة إسرائيل الحركة الصهيونية الامبريالية الأمريكية وهي التي تحكم المسألة من بدايتها لنهايتها وهذا الذي يعطي هذا المشروع نوعه الجديد.

الخاتمة:

وفي النهاية فإن اتفاق كامب ديفيد أكثر من اتفاق بين بلدين أحدهما قطر عربي والآخر قطر قومي والسياسية الرسمية العربية كلها اليوم كسياسة كامب ديفيد لأنها تهرب من الحرب والتحرر إلى التسوية والسلام وسياسة إلحاق اقتصادي بالسوق الرأسمالية وإخضاع للجماهير بدلاً من إطلاق طاقاتها.

فمر لا زالت مع ذلك تحتفظ بإقامة علاقة وتطبيع مع العدو الصهيوني لأسباب سلفت في البحث منها: إدراك الشعب المصري أن هذه الاتفاقية (كامب ديفيد) تمثل صالح الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة الأمريكية الرامية إلى التغلغل في الوطن العربي، ولأنها هي التي دفعت بمصر لتوقيع هذه المعاهدة للسيطرة التامة على النفط والأسواق العربية وتريد السلام للكيان الصهيوني كما وتمثل هذه السياسة مصالح الحركة والقيادة الصهيونية التي تستهدف البقاء كقوة استيطانية في المنطقة وفرض شروط الاعتراف والصلح والحدود الآمنة والتطبيع وبالجانب العربي فإن هذه السياسة تمثل مصالح العالم العربي المطعم بالامبريالية والأنظمة الحريصة على البقاء في الحكم ضمن إطار الهيمنة الامبريالية الأمريكية. وقد شكل الاتفاق مرحلة جديدة لكونه قد اخرج مصر وبالتالي عزلتها عن العالم العربي، ناهيك عن الإضرار الاقتصادية التي لحقت بالاقتصاد المصري بعد توقيع الاتفاقية وما تلا ذلك من مساعدات أمريكية لمصر لإقامة التطبيع مع إسرائيل والأهم من ذلك إدراك مصر أن المستفيد الأول والأخير من عمليات التطبيع هي إسرائيل خاصة في مجال التطبيع الاقتصادي والمائي والثقافي وغير ذلك. ولكن يبقى السؤال المطروح على مائدة البحث: هل يوجد هناك سيناريوهات متعددة واستراتيجيات قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى لمقاومة التطبيع مع إسرائيل؟ والأهم من ذلك يجب التفكير ثم التحرك لمواجهة ومقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني.

الهوامش:

- (1) الوثائق الفلسطينية، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1975، بيروت 1976، ص 449-461.
- (2) بينسون جرايسون، العلاقات السعودية الأمريكية، في البدء كان النفط، ترجمة سعد هجرس، القاهرة، ص 125-127.
- (3) الوثائق الفلسطينية، المرجع السابق، ص 451-453.
- (4) جرايسون، المرجع السابق، ص 126.
- (5) المرجع نفسه.
- (6) المرجع نفسه، ص 131.
- (7) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، اتفاقية كامب ديفيد.
- (8) جرايسون، المرجع السابق، ص 135.
- (9) محمد إبراهيم كامل، السلام الضائع، القاهرة، 1987، ص 52.
- (10) المرجع نفسه، ص 62.
- (11) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، المرجع السابق.
- (12) المرجع نفسه
- (13) المرجع نفسه
- (14) المرجع نفسه
- (15) محمد الطويل، لعبة الأمم والسادات، ط1، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1988، ص 420.
- (16) المرجع نفسه، ص 420.
- (17) المرجع نفسه، ص 420.
- (18) وليام كوانت، كامب ديفيد بعد عشر سنوات، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1989، ص 47-48.
- (19) المرجع نفسه، ص 48.
- (20) حاتم صديق أبو غزالة، كامب ديفيد، تسوية أم تصفية، بدون مكان نشر، جمعية عمال المطابع، بدون تاريخ نشر، ص 123.
- (21) هنري لورنس، اللعبة الكبرى المشرق العربي والأطماع الدولية، بدون مكان نشر، دار قرطبة للنشر ولتوثيق الأبحاث، 1992، ص 28.
- (22) المرجع نفسه، ص 428-429.
- (23) عادل سمارة، أزمة الثورة العربية، بدون مكان نشر، دار العامل، بدون سنة نشر، ص 29.
- (24) وليم كونت، ص 45.
- (25) المرجع نفسه، ص 45.
- (26) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، اتفاقية كامب ديفيد وإخطاره، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1978، ص 39.

- (27) مطيع المختار: «عزلة مصر ومسؤولية الدول العربية»، مجلة الوحدة، عدد 84، ملجّد 7، 1991، ص 39.
- (28) المرجع نفسه، ص 39.
- (29) وليم كوانت، ص 203-205.
- (30) إبراهيم أباطة، الخطايا العشر، القاهرة، الزهراء، للإعلام العربي، 1988، ص 80.
- (31) نزيه أبو نضال، كامب ديفيد والتطبيع، مجلة الوحدة، عدد 24، ملجّد 7، 1991، ص 52.
- (32) جمال الجمل، «كامب ديفيد والتطبيع والمقاومة»، حملة الموقف العربي، عدد 7، السنة التاسعة، 1985، ص 66.
- (33) المرجع نفسه، ص 68.
- (34) المرجع نفسه، ص 71.
- (35) المرجع نفسه، ص 72.
- (36) عبد الباسط عبد المعطي، آليات التطبيع والثقافة في الشارع المصري، مجلة الوحدة، عدد 84، ملجّد 7، 1971، ص 208-209.
- (37) المرجع نفسه، ص 209.
- (38) المرجع نفسه، ص 209.
- (39) إبراهيم أباطة، ص 76.
- (40) محمد الطويل، ص 526.
- (41) المرجع نفسه، ص 527.
- (42) وليم كوانت، ص 77.
- (43) حسام رضا، تحرير حلمي شعراوي، الشرق أوسطية، مخطط أمريكي صهيوني، القاهرة، مكتبة مذبولي، 1998، ص 32.
- (44) محمد عبد الفضيل، تحرير حلمي شعراوي، الشرق أوسطية، مخطط أمريكي صهيوني، ص 95.
- (45) احمد إبراهيم، تحرير حلمي شعراوي، الشرق أوسطية، مخطط أمريكي صهيوني، ص 107.
- (46) المرجع نفسه، ص 144.
- (47) المرجع نفسه، ص 144.
- (48) المرجع نفسه، ص 146.

المصادر والمراجع :

الكتب:

- (1) أباطة، إبراهيم. الخطايا العشر القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1988.
- (2) إبراهيم، أحمد. الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني، قطاع الأعمال المصري والتطبيع مع إسرائيل، تحرير حلمي شعراوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998.
- (3) أبو غزالة، حاتم صديق. كامب ديفيد تسوية أم تصفية، بدون مكان نشر، جمعية عمال المطابع، بدون سنة نشر.
- (4) بينسون جرايسون. العلاقات السعودية الأمريكية، في البدء كان النفط، ترجمة سعد هـ+جرس، القاهرة.
- (5) بينسون جرايسون. العلاقات السعودية الأمريكية، في البدء كان النفط، ترجمة سعد هجرس، القاهرة.
- (6) رضا، حسام. الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني، من التطبيع إلى الهيمنة في المياه والزراعة، تحرير حلمي شعراوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998.
- (7) الطويل، محمد. لعبة الأمم والسادات، ط1، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 1988.
- (8) عبد الفضيل، محمود. الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني، حساب المكاسب والمخاسر الإستراتيجية، تحرير حلي شعراوي، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1998.
- (9) كوانت، وليم. كامب ديفيد بعد عشر سنوات، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1989.
- (10) لورنس، هندي. اللعبة الكبرى، المشرق العربي للإطعام الدولية، ك1، بدون مكان نشر، دار قرطبة للنشر وتوثيق الأبحاث، 1992.
- (11) محمد إبراهيم كامل. السلام الضائع، القاهرة، 1987.
- (12) مؤسسة الدراسات الفلسطينية. كامب ديفيد وأخطاره، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1978.
- (13) الوثائق الفلسطينية. الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام 1975، بيروت، 1976.

المجلات:

- (1) أبو نضال، نزيه. كامب ديفيد للتطبيع، مجلة الوحدة، ج7، عدد 84، 1981، ص 52-59.
- (2) الجمال، جمال. كامب ديفيد التطبيع والمقاومة، مجلة الموقف العربي، عدد 67، 1985، ص 64-84.
- (3) عبد المعطي، عبد الباسط. آليات التطبيع والثقافة في الشارع المصري، مجلة الوحدة، مجلد 7، عدد 84، 1991، ص 200-209.
- (4) المختار، مطيع. عزلة مصر ومسؤولية الدول العربية، مجلة الوحدة، مجلد 7، عدد 84، 1991، ص 31-39.

دور الأحزاب السياسية في التحول الديمقراطي في السودان (1945 – 1989م) (حزب الأمة أنموذجاً)

أستاذ مساعد (متعاون) – كلية التربية
جامعة أم درمان الإسلامية

د. علي أحمد عباس محمد

مستخلص:

تناولت هذه الدراسة دور الأحزاب السياسية في التحول الديمقراطي في السودان دراسة الحالة (حزب الأمة) تمثلت مشكلته في دواعي فشل الأحزاب السياسية في إقامة إدارة راشدة ذات ديمقراطية مستدامة فضلاً عن تقييم التجارب الديمقراطية السابقة في الإدارة والحكم بالسودان. تهدف الدراسة إلى عرض تجارب الأحزاب في حكم السودان بصورة عامة، وعرض تجربة حزب الأمة خاصة والوقوف على إيجابيات وسلبيات التجربة، بالإضافة إلى تقييم التجارب الديمقراطية في حكم السودان، ولأغراض هذه الدراسة استخدم المنهج التاريخي التحليلي الوصفي وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها بالتدقيق في الحالة السودانية نجد أن العسكرية السودانية حاضرة في المشهد السياسي للبلاد بقوة وفي كافة التجارب الديمقراطية ويعزي ذلك إلى ضعف البنية التكوينية لهذه التجارب وضعف الخبرة لقياداتها، وهو ما أساء لسمعة الحكومة المنتخبة أمام العامة، وفتح الباب على مصراعيه لتنجيب الجيش السوداني لنفسه حجر زاوية لصناعة السياسة في السودان. وتوصي الدراسة بعودة الحزب للنشاط في الداخل وقد وقع حزب الأمة إتفاقيات مع الحكومة أبرزها برنامج التراضي الوطني، لكنها إنهارت كلها بسبب ما اعتبره حزب الأمة إلتفافاً من المؤتمر الوطني.

الكلمات المفتاحية: دور، الأحزاب، السياسية، التحول، الديمقراطي، حزب، الأمة

The role of political parties in the democratic transition in Sudan 1945 – 1989 AD

(The Ummah party is a model)

Dr. Ali Ahmed Abbas Mohamed

Abstract:

This study dealt with the role of political parties in the democratic transition in Sudan. Case study (the Umma Party) the problem of research was the reasons for the failure of the parties in the Rashid administration in Sudan, the reasons for the failure of the parties to establish a sustainable democracy for the country. In addition to evaluating the democratic experiences in governance in Sudan, the

study aimed to present the experiences of the parties in governing Sudan in general, and to present the experience of the Umma Party in particular, and to identify the pros and cons of the experience, in addition to evaluating the democratic experiences in ruling Sudan. For the purposes of this approach used is the historical, analytical and descriptive approach. The study reached a number of results, the most important of which are by scrutinizing the Sudanese case, we find that the Sudanese military is strongly present in the country's political scene and is on all democratic experience in the country. This is attributed to the weak formative structure of these experiences as well as the weak experience of its leaders , which discredited the elected government in front of the public, which opened the door wide for the Sudanese army to explore itself as a cornerstone of policymaking in Sudan. The study recommends that after the party's return to activity at home, the Umma Party signed agreements with the government, most notably the National Consensus Program, but they all collapsed because of what the Umma Party considered a detour from the National Congress.

Key words: role, political, parties, democratic, transition. Umma, Party

مقدمة:

منذ إستقلال السودان في «يناير من العام 1956م» بعد فترة كفاح ضد المستعمر وبعد تعهدت النخب السياسية للأحزاب في السودان بإقامة نظام ديمقراطي بالبلاد، وبعد رحيل المستعمر تأرجح الحكم ما بين نظام ديمقراطي حيناً وحكماً عسكرياً أحياناً أخرى، وقد مرت على البلاد ثلاث فترات حكم ديمقراطي وابتخاب نخب الأحزاب السياسية، وقد تعرضت الفترات الديمقراطية في البلاد لتأثيرات كثيرة منها مشكلة الجنوب والحروب الناتجة عنها، تم لهزات إقتصادية كثيرة نحن بصدد شرحها وتبيانها خلال هذا البحث. وقد كان حزب الأمة هو الحاكم أبان جميع تلك الديمقراطيات السابقة، وله القدح الأكبر في إتخاذ القرارات في جميع تلك الفترات.⁽¹⁾

وأخذنا لدراسة حزب الأمة إنما هو فقط نموذجاً وعينة ويطبق القول عليه يشمل بقية الأحزاب بإعتبارات الديمقراطية هو إشتراك جميع الأحزاب داخل المكاتب التنفيذية ومواقع متخذي القرار من البرلمان، إذن فقط ركزنا على حزب الأمة ودراستنا هنا له إنما هي فقط أخذه كنموذج وعينة وتكون شاهداً ومجهراً لجميع الأحزاب في تأثيرات ممارسة الأحزاب للسياسة في السودان.⁽²⁾

أسباب اختيار الموضوع:

من أسباب دواعي اختيار هذا الموضوع الفشل المتواصل للأحزاب السيادية في السودان وعدم الإنسجام في كيانها الداخلي أدى لفشل حكم البلاد لتدهور الأوضاع الاقتصادية والإجتماعية فيه.

مشكلة الدراسة:

1. الأحزاب السياسية وفشلها في إدارة راشد في السودان.
2. أسباب فشل الأحزاب في إقامة ديمقراطية مستدامة للبلاد.
3. تقييم التجارب الديمقراطية نظم في إدارة الحكم بالسودان.

أهمية الدراسة:

1. تقييم فترة الديمقراطيات في الحكم بصورة عامة.
2. الوقوف على أسباب الفشل ومعالجته للكسب المستقبلي في الحكم.
3. تقييم الأحزاب في هياكلها الداخلية ومعرفة مدى نجاحها للحكم.

أهداف الدراسة:

1. عرض تجارب الأحزاب في حكم السودان بصورة عامة.
2. عرض تجربة حزب الأمة خاصة والوقوف على إيجابيات وسلبيات التجربة.
3. تقييم التجارب الديمقراطية في حكم السودان.

منهج الدراسة:

المنهج المستخدم هو المنهج التاريخي التحليلي الوصفي.

حدود الدراسة:

- الحدود الزمانية: الأحزاب منذ إستقلال السودان 1956م مروراً بفترات الحكم في السودان (حزب الأمة).

فروض الدراسة:

1. تقديم المصالح الحزبية على القومية من أسباب فشل الأحزاب.
2. فشلت الأحزاب في وضع دستور دائم للبلاد.

الدراسات السابقة:

بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس في قسم التاريخ بعنوان: الأحزاب الاستقلالية في الفترة 1944 - 1956م إعداد الطالبة آثار صلاح عبد الجبار، إشراف بروفييسور امتياز سيد أحمد علي عثمان العقيد، جامعة النيلين كلية الآداب 2021م هدفت الدراسة إلى:

1. معرفة الأحزاب الاستقلالية
2. التعرف على قادة الأحزاب
3. دور هذه الأحزاب في استقلال السودان.

النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

1. كان من أبرز المتغيرات السياسية في السودان بعد الحرب العالمية الثانية هو ظهور أحزاب عقائدية تمثلت في الشيوعي و حركة الاخوان المسلمين.
2. منذ الاستقلال و حتى الآن للمتغيرات المشهد السياسي كثيرا سوى زيادة عدة الأحزاب السياسية وهو امر سيشهد تحولا في المستقبل لجهة دمج الأحزاب وتلاشي بعضها.
3. كان للثقافة المصرية ومن بعدها التحولات و التطورات المصرية الداخلية اثار واضحة على الواقع السياسي في السودان، مما انعكس مباشرة على ولادة الأحزاب السياسية السودانية.

التوصيات التي توصلت إليها الدراسة:

1. التفكير الجاد في الاندماج الطوعي لبعض الأحزاب المتماثلة الرؤى و الاهداف لزيادة فعالية النشاط الحزبي والسياسي المستقطب للجماهير.
2. عقد ورش للحوار الفكري والسياسي وأخرى لمناقشة برامج الأحزاب السياسية لتحسين عملها ودورها في الساحة السياسية.
3. وضع ميثاق شرف سياسي يحرم قيام اي حزب سياسي بانقلاب عسكري او الاستفراد بالسلطة استنادا على عملية عسكرية من قبل المؤسسة العسكرية.

مفهوم الأحزاب السياسية:

نشأة الأحزاب السياسية:

نشأت الأحزاب السياسية كأى مفهوم من مفاهيم العلوم الإجتماعية وقد تعددت التعريفات للأحزاب السياسية، ويمكن أن نشير إلى أن الحزب السياسي هو إتحاد بين مجموعة من الأفراد إتفقت لتعمل معاً بغرض تحقيق مصلحة عامة معينة وفقاً لمبادئ خاصة متفقين عليها، وللأحزاب السياسية هياكل تنظيمية تجمع القادة والأعضاء وله «الحزب السياسي» جهاز إداري معاون ويسعى الحزب لتوسيع دائرة أنصاره بإستقطاب أفراد الشعب، ويعد الحزب السياسي إحدى أدوات التنمية السياسية في العصر الحديث فكما يغير سياسة التصنيع عن مضمون التنمية الإقتصادية الحديثة فإن الحزب يعبر عن درجة التنمية السياسية في النظام السياسي الحديث، ويمكن القول بأن الحزب السياسي هو تنظم مهيكول ومنظم وله أجندة ذاتية ويسعى لبلوغ السلطة في دولته من خلال الترشح في الإنتخابات الدورية للدولة التي يتواجد بها، «لقد ظهرت الأحزاب السياسية وإزدهرت في ظل تطبيقات الوسائل الديمقراطية، حتى أصبحت أحد المؤشرات الرئيسية على وجودها، فلا ديمقراطية بلا أحزاب ولا أحزاب بلا ديمقراطية»⁽³⁾.

- د.حميد حنون «عبارة عن تنظيم يضم مجموعة من الأفراد تربطهم مصالح ومبادئ مشتركة في ظل إطار منظم لغرض الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها لتحقيق أهدافهم خدمة للصالح العام ومن خلال الوسائل الدستورية».
- د.هيثم حنظل «تنظيم سياسي لجمع من الأفراد على أسس فكرية واحدة وأهداف

مشتركة أهمها الوصول للسلطة والمشاركة فيها سواء أكان ذلك عن طريق الانتخابات أم بدونها»، ومن خلال التعريفات السابقة ممكن تعريف الحزب السياسي على أنه مجموعة منظمة من المواطنين تجمعهم أفكار وآراء ومصالح معينة يهدفون من خلالها الوصول للسلطة أو الإشتراك فيها⁽⁴⁾.

عناصر الأحزاب السياسية:

يمكن إجمال أهم عناصر الأحزاب السياسية بالآتي:

1. مجموعة من المواطنين.
 2. لهم أفكار وآراء معينة متفقين عليها وهي مجموعة قيم عليا سياسية أو أخلاقية أو دينية وقومية وغيرها من الرؤى التي يستند إليها الحزب في تكوين مواقف تجاه المشكلات والمواقف السياسية.
 3. له أهداف ومصالح معينة.
 4. تنظيم سياسي مستمر ويعني به حالات الضبط التي تسود تشكيلات الحزب السياسي من هيئات وأشخاص ذوي خبرة ودراية وجاهير ويتوقف نجاحه على قوة تنظيمية ولا يمكن تصور وجود حزب من دون تنظيم سواء أكان مركزياً أو غير ذلك.
 5. هدف الحصول أو الوصول للسلطة والمشاركة فيها من خلال الوسائل الدستورية ليكون قادراً على تنفيذ برامجها بواسطة وسائلها وسياسته المعلنة.
- نشأت الأحزاب السياسية بطريقتين هما من داخل البرلمان ومن خارجه كما يلي⁽⁵⁾:

1/ أحزاب التكوين البرلماني أو الانتخابي:

إذ نشأت الأحزاب السياسية الحديثة نتيجة لإنقسام البرلمان إلى كتل ومجموعات سياسية بسبب التقارب الأيديولوجي أو رغبة في الدفاع عن مصالح مهنية أو إقليمية. لم تظهر أحزاب سياسية حديثة حتى عام 1850م إلا في الولايات المتحدة تقدم برامج لإدارة الدولة وتسعى للوصول للسلطة أو المشاركة فيها، لقد إرتبطت نشأة الأحزاب السياسية بتطور النظام الديمقراطي الذي طبق حق الإقتراع العام، وتكوين المجالس النيابية⁽⁶⁾.

2/ أحزاب التكوين الخارجي:

إذ نشأت الأحزاب السياسية الحديثة نتيجة لجهود الجمعيات الفكرية والنوادي الشعبية والنقابات العمالية وغيرها خارج البرلمان، وهكذا يعني نشوء أحزاب سياسية خارج إطار المجالس النيابية أو البرلمانات وليست مرتبطة بالعمليات الانتخابية إرتباطاً مباشراً لأن الهدف الأساسي لأي حزب سياسي هو الوصول للسلطة أو المشاركة فيها عن طريق الانتخابات، فالأحزاب ذات النشأة تتكون بفضل مؤسسة قائمة ولها نشاط خارج البرلمان وعن العمليات الانتخابية أو بمبادرة من أفراد أو هيئات سياسية أو فكرية، وساهمت جمعيات المحاربين القدامى عقب الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م) في خلف الأحزاب الفاشية في إيطاليا وألمانيا التي كانت وراء نشوب الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945م)، وكذلك كان هنالك دور الشركات والتجمعات الصناعية والتجارية

والمالية في تأسيس أو تدعيم أحزاب تدافع عن مصالحها فقد عملت مؤسسات إقتصادية كبرى على تأسيس أحزاب سياسية كما في دور بنك وسكة حديد مونتريال في تأسيس حزب المحافظين في كندا عام (1854)⁽⁷⁾.

مفهوم الحزب في الفكر السياسي والديني:

يقول الله سبحانه وتعالى: (قطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون)، وفي تعريف الحزب لغة يقول صاحب القاموس المحيط «أ. صفي الرحمن» إن الحزب لغة هو صنف من الناس تجمعهم صفة جامعة أو مصلحة شاملة من رابطة العقيدة والإيمان أو الكفر والعصيان أو الأرض والوطن أو الجنس أو القبيلة وما شاكلها من الروابط والمصالح التي إعتاد الناس عليها ويتكتلوا حولها⁽⁸⁾، بعد التطورات التي حدثت في أنظمة الحكم وإعتمادها على الأسس الديمقراطية عمت إطلاق كلمة حزب على الوحدات السياسية التي تخوض معارك الانتخابات بترشيح الممثلين وبذل الجهود للحصول على الأغلبية للوصول للسلطة في ظل النظام الجمهوري السائد⁽⁹⁾، ومن حيث الأنواع الحزبية يمكن تقسيمها لأربعة أنواع كما يلي⁽¹⁰⁾:

1. **أحزاب الأشخاص:** هو نوع يلتقي فيه المنتخبون حول شخصية زعيم الحزب فهو الذي يوجه نشاط الحزب ويقول إداراته وسياساته ويحدد برامجه حسبما يريد. وقد يرتبط فناء الحزب وبقاءه بوفاة هذا الزعيم.
2. **نظام الحزبيين:** يتميز هذا النظام بوجود حزبين كبيرين ببناء السلطة رغم وجود أحزاب صغيرة متعددة ليست لها أدوار مؤثرة كما في الولايات المتحدة.
3. **نظام الحزب الواحد:** يسود في الدولة الشمولية حيث يتحكم الحزب الواحد في كل مفاصل الدولة (تشريعية - تنفيذية - وقضائية).
4. **نظام تعدد الأحزاب:** وفي هذا النوع من النظم يفترض وجود حرية إنشاء الأحزاب الكثيرة يتميز كل منها ببرامج مستقلة وأيدولوجية خاصة تسعى لتطبيقها ومثال للدولة التي تتبع هذا النظام (فرنسا - لبنان - إسرائيل وأيضاً السودان)⁽¹¹⁾.

نشأة الأحزاب السياسية في السودان وأنواعها:

تناول هذا المبحث الأحزاب السياسية في السودان حيث نبدأ بنشأة الأحزاب التقليدية ثم الراديكالية الحديثة ونشأة الأحزاب الانفصالية⁽¹²⁾.

– نشأة الأحزاب السياسية في السودان بعد الصراع الذي ظهر بين المثقفين داخل مؤتمر الحزبين مما أدى لظهور تيارين نادي الأول بالوحدة مع مصر ونادي الثاني بالإستقلال، كانت بسبب الصراع بين الخريجين المذكورة التي رفعها مؤتمر الخريجين للإدارة البريطانية في العام 3491م والتي جاء بها عدد من المطالب السياسية مما أدى لظهور تشكيلات سياسية. لم يتحقق الإستقلال في السودان نتيجة لمجال مصطلح أو إنتفاضة عامة إنما تحقق نتيجة لعملية تفويض سلطة الدولة على إمتداد عقد من الزمان مما أدى لظهور مجموعة من المؤسسات مثل (المجلس الإستشاري).

– (الجمعية التشريعية – المجلس التنفيذي) ولذلك إجراء الانتخابات لعام 1951م بإشتراك مديريات وأقاليم الجنوب للانتخابات للبرلمان السوداني يتكون من مجلسين مستقلين⁽¹³⁾.

الأحزاب التقليدية:

بعد تصفية التجمعات السياسية الأولى التي ظهرت في العام 1921م – 1924م. تكونت التشكيلات السياسية الكبرى في نهاية الحرب العالمية الثانية، وفي هذه الدراسة تعرفنا بأنها تشكيلات تقليدية بأن التشكيل الإتحادي الذي كان أول من نادى بالحدثة كان قد انضم إلى التيار الذي ضد وجود دستور إسلامي ترأسه زعماء دنيون، كما تقاسمت قيادات هذه الأحزاب سلطة الدولة في فترة الإنتماء إلى الجماعة الذي لا تستند بروابط الدم وإستمر وجود هذه القيادات في صفوف المعارضة حتى أثناء فترة العمل السري وهي تمثل الأسر الكبيرة «البيوتات» التي توجد على رأس مشيخات الطرق الإسلامية، وطلب بتحريرها من داخل العاصمة ومن هنا تبلور دورها بالذكر في السياق التاريخي السياسي لمستقبل السودان، وقد أكد كثير من المؤرخين أن الجمعيات الدينية الإسلامية بعيدة كل البعد عن الإستجابة لتطلعات المجموعات الهامشية لأنها انخرطت في السودان في صفوف الحركة الوطنية في بادئ ظهورها أثناء الحرب العالمية الثانية، كما أنها إنتفضت دائماً بالحركة السياسية التي كانت ترنو لإقامة صرح نظام ديمقراطي في البلاد. أثناء فترة الحكم التركي، تطورت الجماعتان الكبيرتان «الأنصار – الختمية» اللتان كانتا قد إستعانتا وكبرت قاعدتهما لمساعدة القوة الكولونبالية وتعاونها وغطت شمال السودان – جماعة الأنصار التي تتزعمها أسرة المهدي وجماعة الختمية التي تتزعمها أسرة الميرغني⁽¹⁴⁾.

ترتبط هاتان المجموعتان الكبيرتان مع التشكيلات السياسية المتوالدة عن مؤتمر الخريجين، وهي رابطة تشبه رابطات النشاط الخيري أنشأتها الفئة المثقفة الجديدة في جامعة غردون، وتقدمت بمطالبها السياسية الأولى عام 1942م بينما رفضت الإدارة الكولونبالية إعتبار المؤتمر ممثلاً للرأي العام السوداني ووافقت إدارة التعليم الوطني المصري عليها. لذلك تكون بناء وطني راديكالي داخل الإدارة الكولونبالية مجنداً «وحدة وادي النيل» كما الرادكاليون الوطنيون 1943م في حزب الأشقاء الذي تزعمه إسماعيل الأزهرى «الختمية» من هنا جاء إئتلاف هذه الفئة الجديدة المثقفة حول التيار الذي مثل الأغلبية فنجح في إنتخابات مؤتمر الخريجين عام 1945م أما الأقلية التي هزمت في الإنتخابات بعد إنفصلت لتكون حزب الأمة، وإكتسبت شريعتها من المهديّة وكان شعار حزب الأمة «السودان للسودانيين» ويجيز إبقاء الروابط مع بريطانيا العظمى، هنا إندمج حزب الأزهرى في هذا التوقيت 1952م مع مجموعات سياسية أخرى أقل أهمية من أجل إنشاء الحزب الوطني الإتحادي وقد جمع هذه الأحزاب أعضاء من فئة الأروستقراطيين وملاك الأراضي وقوى موقع هذا الحزب لحصوله على دعم النقابات، وظهرت بعد ذلك تشكيلات سياسية أخرى بضغط من الزعماء الدينيين، بوجه خاص ظهر حزب الشعب الديمقراطي الذي إنشق من الحزب الإتحادي الوطني «الختمية» عرضت الأحزاب السياسية التقليدية وجهة نظرها على صفحات جرائدها: صحيفة «الحزب الوطني الإتحادي» وصحيفة النيل «الأمة» وصوت السودان

«الحزب الديمقراطي الشعبي» ولم تعد أسباب الإنشقاقات بينهم أي أسباب أيديولوجية ولم تعكس التجمعات والاندماجات التي حدثت أي موافقة حاسمة. فضلاً عن أن هذه الأحزاب لم تقدم أي برنامج إقتصادي أو إجتماعي. في الواقع لم تتمكن أي من الأحزاب بإستثناء أول مجلس وزراء تحت رئاسة الحزب الوطني الاتحادي. وتعكر الجو السياسي بين تلك الاحزاب التي وضعت الحواجز بين التجمعات المختلفة وبين رؤساء الأحزاب بل وأيضاً بين التيارات المختلفة داخل التشكيل السياسي⁽¹⁵⁾، ورئيس مجلس الوزراء لتحديد من يشمل بمثل السودان في المؤتمرات الدولية والإقليمية بصورة عامة تحدث التغييرات في صالح التيارات التي يزعمها زعماء الطائفتين الكبيرتين، مع الميل لإتخاذ أكثر مواقف رجعية إلا أن التشكيلات السياسية ضغطت في المراكز الحديثة لضغوط مارسيتها مجموعات منظمة ولا سيما المنظمات المهنية والروابط والنقابات⁽¹⁶⁾.

الأحزاب الراديكالية الحديثة:

قامت على النقيض من الأحزاب التقليدية التي فلما إختلفت في أيديولوجيتها الأحزاب الراديكالية الحديثة وهي الحزب الشيوعي السوداني والتنظيم الإسلامي - بتنجيد أعضائها من بين الفئات الحضرية ووقفت ضدها وكانت على طرفي نقيض منها من حيث تقاليدها النضالية وبرامجها السياسية⁽¹⁷⁾.

الأحزاب الانفصالية:

لم تكن الهوية الجنوبية هي العنصر الوحيد الذي برز داخل الكيان السوداني. فلقد ظهرت حركات تطالب بالحكم الذاتي الإقليمي بين البجة الذين يقيمون على الحدود مع أرتريا والبحر الأحمر (الشرق) ودارفور الذين حافظوا على بقاء سلطنتهم في دارفور حتى بعد إنتهاء الفتح الكولونيالي، وأيضاً النوبة في جبال كردفان والنيل الأزرق، وعند إنشاء مؤتمر الخريجين، بل حتى منذ عام 1938م ضمن (الكتلة السوداء) كل حملة الدبلوماسية في النوبة والفور، والفلاته الذين كانوا يسكنون إقليم الخرطوم عام 1954 بعد أن خابت الآمال في السياسة التي سار عليها أول مجلس تأسيسي، إنتشار الإتحاد لجبال النوبة، مجلس (أبناء البجة) بهدف الضغط على التشكيلات السياسية الكبرى، وخضوعها للجنوب 40 مقعداً إشتراك المرشحو أثناء الإنتخابات (1953م) في تشكيل مجموعة واحدة وإستدلوا على جميع المقاعد بوصفهم حزباً ليبرالياً جنوبياً. نشأ عام 1953م وطالب بتحقيق شكل من أشكال الحكم الفيدرالي⁽¹⁸⁾، وقادت هذه الحركة منظمات سياسية عسكرية مزاحمة وإستمر وجودها حتى أبرم أ اتفاق أديس أبابا⁽¹⁹⁾، لن ناقش هذا الجزء مسألة إنفصال الجنوب وما يتعلق بالأحزاب التي إنفصلت تبعاً لإتفاقية الإنفصال بل نشر لبعض الأحزاب أذ أنها تشكلت قبل الإنفصال وهي أحزاب قادت وعملت للإنفصال إذ أنها كانت أحزاب تدعو للإنفصال وقد كان تأسيسها سابقاً لقرار الإنفصال كما أسلفنا منها:

– حزب (سانو) بقيادة ديمق وهذا على سبيل المثال من الأحزاب.

– حزب الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة جون قرنق⁽²⁰⁾.

دور الأحزاب في تفعيل الديمقراطية:

يرى هنجينون أن الديمقراطية الناجحة تعتمد على وجود مؤسسات فعالة أكثر من وجود عدد كبير من الأفراد يؤمنون بضم الديمقراطية الليبرالية ويبحثون عن المشاركة الديمقراطية وتسجل الأحزاب كـ مؤسسات فعالة، حدد هنجينون أنماط التحول الديمقراطي أساس حدوثها هي الأحزاب السياسية خاصة نمطي الإحلال والإجلال التحولي الأول تصاعد نفوذ القوى المعارضة مقابل إنهيار قوة النخبة الحاكمة ما يؤدي لترسيخ الديمقراطية أما الإحلال التحولي فيكون بحدوث توافق على التغيير بين الحكومة والمعارضة لحدوث توازن في القوى بينهما وهذا ما يمكن وحده عند إستقرار التاريخ ورصد ظاهرة الديمقراطية جذورها في الثورتين الفرنسية والأمريكية اللتين سمحنا بظهور فعلي للمؤسسات الديمقراطية وأهمها الأحزاب السياسية التي تبلورت بشكل بارز وشكلت أساساً لمواجهة النخب الحاكمة المستلطة آنذاك⁽²¹⁾.

يؤدي لظهور نخب مختلفة تتميز بها كل حقبة وتؤدي لتشكيل تنظيمات متعددة ومتنوعة قماشياً لنموذج التنمية السائد في المجتمع سواء تنظيمات عمالية أو تجمعات صناعية تعمل لتحقيق مصالحها ومنها تكونت الأحزاب السياسية نتيجة لهذه التكتلات وهو ما أدى لتطور أنواع الديمقراطية⁽²²⁾.

المساهمة العملية للأحزاب السياسية:

إن بداية الأحزاب كانت ذات نشأة برلمانية، وجاءت نتيجة لثورات قادتها الأمم من أجل التعبير عن خياراتها ومشاركاتها في الحكم والتخلص من الإستبداد⁽²³⁾، وكان لكل ثورة أو مرحلة من مراحل تطور المجتمعات، خاصة على المستوى الإقتصادي دور بارز في بلورة التشكيلات السياسية التي عرفت فيما بعد بالأحزاب السياسية، ولكن المنافسة على خدمة الشعب⁽²⁴⁾.

علاقة الأحزاب السياسية بالمجتمع:

نتيجة ما سبق عرضه فإن إنعكاسات الواقع التنظيمي والسلطوي داخل الأحزاب السياسية سينعكس بدوره على العلاقات أو العلاقة بين المجتمع والحزب والتي هي علاقة تحدده وأصبحت تبين على أسس مصلحة وإنتخابية⁽²⁵⁾، وبذلك أصبح إمتداداً للإدارة الحكومية وإمتداد السلطة، مما أفقدها الكثير من المصادقة أما الناخبين والمتعاطفين، هذا يبرز من خلال خروج الأحزاب السياسية وتجاوز الأحداث لها أو عدم قدرتها على الإستجابة للمطالب التي يعبر عنها المواطنون في العديد من المناسبات⁽²⁶⁾.

العمل الحزبي وتفعيل التحول الديمقراطي:

تعتبر الثورة الكونية والوعي التاريخي أن العالم مر ولا زال يمر بثورة مثلثة الجوانب، ولعل أولها يتمثل في الثورة السياسية والتحول من السلطوية والشمولية إلى الديمقراطية والتعددية وإحترام حقوق الإنسان حيث ثبت أن هيمنة الحزب الواحد مضادة للطبيعة الإنسانية وأن التعددية السياسية والثقافية أصل من أصول المجتمع الإنساني، وعلى هذا الأساس فقد أصبحت التعددية السياسية السمة الأولى والأساسية في المجتمعات الإنسانية المتقدمة والنامية على حد السواء⁽²⁷⁾.

فعلى الصعيد المجتمعي والسياسي نجد أن الأحزاب وظائف وأهداف عدة تؤدي في إطار إستراتيجية ديناميكية تصنعها الحياة السياسية والمعركة الانتخابية التي تتخبط فيها الأحزاب وبدرج «قلب برو» هذه الوظائف بشكل دقيق في الآتي:

أولاً: الأحزاب كآلات انتخابية:

ويقدر المظهر الأكثر وضوحاً لنشاط هذه الأحزاب في الأنظمة الديمقراطية التعددية، بحيث تعمل هذه الأحزاب في هذا الإطار على إنتقاء المرشحين للإنتخابات «الوطنية والمحلية» وتعد هذه أهم وظيفة لها، وبشكل الدخول في المعترك الإنتخابي الفصيل بينها وبين جماعات المصالح وتتنوع إجراءات إنتقاء المرشحين بحسب الأنظمة الداخلية للأحزاب التي تعطي للأعضاء حقوقاً متفاوتة الإتساع، إذ تكون تلك الإجراءات محددة بدقة في الأنظمة الداخلية للأحزاب ذات البنية القوية في ين تكون بطرق إختيار لا شكلية تصادق عليها القيادة في أحزاب الأطر ونقابات المنتخبين، وتمثل الوظيفة الثانية في هذا الإطار في «تعبئة الدعم» بغية توفير أفضل الشروط للمعترك الإنتخابي، وهنا تبدو قوة التنظيم الحزبي من حيث التدعيم المادي الخاص بالحزب للمرشح. فضلاً عن الإعانات الإستثنائية التي تجمع أثناء الحملة الإنتخابية، وترويض النشاطات الدعائية كتوزيع المنشورات والصحف والمصقات وغيرها، وتكمن الوظيفة الثالثة في إختيار «القادة الوطنيين» وهي عملية مشروطة للوصول للسلطة⁽²⁸⁾. وتعد ظاهرة التحالف والإئتلاف بغية الوصول للأغلبية الإنتخابية ومن بعدها الأغلبية البرلمانية سمة النظم التعددية الحزبية، وتتأثر إستراتيجيات التحالف بالغرب السياسي وما يفرزه من ثنائية (شركاء، خصوم) وهنا لابد من إمكانية دمج أكبر للأحزاب الأكثر تفادياً سياسياً في المسرح الإنتخابي.

ثانياً: الأحزاب كحلقات للجدل:

تسهم الأحزاب في تكوين الإرادة العامة من خلال التأثير على الرأي العام وتوجيهه بفضل ما تثيره من مجادلات سواء كانت هذه الأخيرة داخلية بحيث تسمح للقاعدة الحزبية بإعلان موقفها من خط الحزب أو داخل المؤسسات البرلمانية حيث تجابه الأغلبية والمعارضة ويكون الرهان المباشر حول مراقبة النشاط الحكومي، كما قد تتجلى أيضاً في المشاهد الإعلانية ومن خلال هذه المجادلات تؤخذ بعض التوقعات التي يشاع إنها صادرة عن المجتمع على عاتق الأحزاب كمطالب صريحة أو إستيئات وآمال عديدة الأشكال وممانعة وغير مصاغة بشكل دقيق لشرائح المجتمع، هذا فضلاً عن الإطلاع بإهتمامات الناخبين حول القانون الإنتخابي والأعضاء والقاعدة... الخ وتؤخذ التوقعات الإجتماعية عموماً من خلال الإعداد الإيديولوجي والمذهبي الهادف إلى إرساء أسس شرعية لمشروع مجتمع واسع، ويعد بمثابة المشروع الذي يقدم الأجوبة الحقيقية على أسباب تلك الإستيئات، وهذا ما يظهر جلياً في الأحزاب الأيديولوجية أكثر من نوعها لإعتمادها على المذهبية والمرجعية النظرية⁽²⁹⁾.

ثالثاً: الأحزاب كأدوات للتكيف الإجتماعي:

إذ يعد المذهب والبرنامج وحتى مواضيع الحملة الانتخابية نقلاً فعلياً لرسائل تستخدم كمرجع مشترك ليس لأعضاء الحزب فحسب، بل لناخبيه والمتعاطفين معه على مختلف شرائحهم

ومستوياتهم ونماذجهم، فالمرآنة على قضايا الحرية وحقوق الإنسان والتضامن تشعر بوجود تضامناً أفقية تتجاوز الفوارق العمرية والطبقية والمحلية والجهوية وتشجع بشكل أكبر التكامل الاجتماعي وهذا ما يجعل دينامية الجدل السياسي بين الأحزاب بمثابة المحرك الذي يستفز المواطنين للدخول في الحياة السياسية، ولأن هذا الجدل لا يمكن أن يكون عملياً إلا في إطار العملية الأغلبية وتعترف بشرعية المنهجين في المجتمع، ولهذا فإن الدعوة العامة للمشاركة في الإقتراع توطد الصورة التي تجعل من المواطن الحر والمسؤول قاعدة البناء الديمقراطي، وعلى ضوء ما سبق نستشفي أن الأحزاب السياسية تعد ميكانيكياً فعلياً في تعبئة الجماهير ورفع مستوى وعيها السياسي، وكذا الإلمام بالمطالب الجماهيرية أيديولوجياً وميدانها من خلال إستراتيجيات تحويل الأفكار إلى ممارسة النظرية أما تطبيق وطبعاً ذلك يرتبط بعدة عوامل كشكل ونوع ودرجة تنظيم كل حزب، وكذا ظروف نشأته التاريخية وبيئته السياسية، وذلك بغية عقلنة تلك المطالب وإخضاعها لما هو نتاج ولما هو ممكن، وبالتالي المساهمة الفعلية في مسار التنمية الوطنية، كما أنه يتأثر بهذه التنمية حيث إن التعددية الحزبية ترقى وتتقدم بما توفره الساحة السياسية من إمكانات للتحرك والعمل الديمقراطي الفعال، الحزب يرتبط ارتباطاً مؤثماً ومؤثراً فهو من ناحية يعد أحد نتائجها وبالتالي يعتبر متغيراً تابعاً لها، وهو من ناحية أخرى يمثل أحد الميكانيزمات الأساسية المؤثرة فيها وهو بذلك متغيراً مستقلاً عنها⁽³⁰⁾ وعموماً سنحاول التعرض لتأثيرات وآثار هذه العلاقة الجدلية وتفعيلها لممارسات التحول الديمقراطي فيما يأتي:

1/ التنشئة الاجتماعية السياسية والثقافة السياسية:

تعد التبعية الاجتماعية العملية الدينامية الأولى التي تستلزمها مقتضيات التحول الديمقراطي وتحقيق التنمية السياسية، وهي عملية توكل بالدرجة الأولى للأحزاب بحيث تقوم الأحزاب عن طريق التنشئة السياسية بتأهيل المواطنين لممارسة العمل السياسي وتجنيد العناصر القيادية اللازمة لقيادة العمل السياسي والتنموي في المجتمع عموماً، ويتم ذلك عبر مختلف مستويات التنظيمية أو من خلال دورات التثقيف السياسي التي نعقدّها، أو من خلال وسائل الإعلام والمدارس، إذ تقوم بتعريف المواطنين بمختلف النظريات والاتجاهات والتيارات الفكرية وبرامجه السياسية وأساليب عمله التنظيمي فضلاً عن تعريفهم بالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وإيجاد حلول لها وإختيارها وتقويمها وتقييمها، وهكذا تتجلى قوة الحزب وفعاليته في بناء الوعي السياسي للمواطنين وتنميته وتزويد من قدرتهم على مباشرة العمل السياسي وتحمل تبعاته والمشاركة بشكل إيجابي وفعال يخدم قضايا المجتمع عامة ويؤثر على عملية التنمية السياسية والتنمية الشاملة، كما يتمثل دوره أيضاً في تعزيز الثقافة السياسية السائدة إن كانت مجدية⁽³¹⁾.

2/ الإتصال السياسي:

يعد الحزب المحرك الأساسي للإتصال السياسي، وما يلاحظ في دول العالم الثالث أنه ينتمي لمحدودية دور وسائل الإعلام وغياها وتخلّفها أو عدم كفايتها وتقضي فاعليتها يصبح دور الإتصال السياسي مناطق أكثر للأحزاب السياسية أكثر مما هو في الدول المتقدمة.

3/ تفعيل المشاركة السياسية للمواطنين:

ويعتبر الحزب أيضاً دوراً رئيسياً في المشاركة السياسية وتفعيلها، بحيث من بين أهداف قيامه تنظيم الحركة السياسية للجماهير، وتيسير مشاركتها في مختلف الأنشطة السياسية بشكل منظم ومشروع وذلك بتمكين الجماهير حق التعبير عن مصالحها ورغباتها ومعتقداتها بأكثر حرية هذا من ناحية، وتهيئتهم للمشاركة في صناعة القرار السياسي وإختيار الحكام بإسلوب مشروع، ويساعد على التجديد المستمر في حركة العمل السياسي في صفوف هؤلاء و صفوف الصفوة الحاكمة على السواء من ناحية أخرى، وبصفة عامة فالمشاركة السياسية التي تنشأ في إطار الأحزاب تأخذ صيغتين.

4/ تشكيل الرأي العام:

حيث تقوم الأحزاب بدورها لإقناع الجماهير ببرامجها السياسية وأيديولوجيتها العامة عن طريق التنشئة الإجتماعية السياسية، وكثر تكوين الآراء الواعية تجاه المشكلات المجتمعية الواقعية بحيث تبلور لديهم إعتقادات معينة حول هذه المشكلات من خلال ما يحتاج لها من وسائل دعائية وإعلامية وكذا من خلال المناقشات العامة.

5/ احترام مبدأ الفصل بين السلطات وممارسة الرقابة الأساسية وتحديد المسؤوليات:

تشارك الأحزاب بإعتبارها سلطة رقابية وضبطية في المجتمع بشكل مستمر على إحترام مبدأ الفصل بين السلطات كما أنها تمارس حقوق المساءلات السياسية وإستجواب المسؤولين الحكوميين خاصة فيما يتعلق بالقضايا العامة التي تهتم الصالح العام، كما تعمل حثيثاً على إحترام الدستور وسيادة القانون في تشكيل السلطات وبناءاتها وأدوارها المختلفة وضرورة إحترام مسؤوليات كل سلطة تجاه الوطن والمجتمع⁽³²⁾.

6/ تحقيق الإستقرار والتضامن الإجتماعي ودعم مبدأ المواطنة:

عموماً يرتبط التكامل الإجتماعي السياسي بالمشاركة السياسية وذلك من خلال التأكيد على قيمة المساواة في الحقوق والواجبات داخل المجتمع، كما أن التوغل الجغرافي يحقق بدرجات كبيرة التكامل الإقليمي الذي يساعد على التكامل الإجتماعي - السياسي سواء في صفوف الجماهير أو بين الإثنين معاً من خلال تطويرها شبكة إتصالية قوية وفعالة تعمل على تعميق الوعي بالهوية الوطنية الموحدة بين مختلف الطبقات والجماعات، وهذا يمثل بحق نشر الروح المواطنة ومبادئها دعماً لمسارات التحول الديمقراطي وتحقيق الديمقراطية⁽³³⁾.

فرع الأحزاب السياسية كآلية للمشاركة في بناء الحكم الرشيد:

تشكل الأحزاب السياسية مؤسسة غير رسمية أساسية في أنظمة الحكم الديمقراطية، نظراً لما يتمتع به من قدرة على التأطير والتنجيد والتمثيل والمراقبة، فالحزب الديمقراطي هو أكثر المؤسسات علاقة بنظام الحكم والدولة الديمقراطية، فهو إما حكومتها أو حكومة الظل فيها، توجد هناك علاقة جدلية بين الحكم الراشد وبين المجتمع المدني ومؤسسات كالأحزاب السياسية التي تعتبر مظهر من مظاهر الحكم الجيد إلى جانب شرعية الحكم والإنتخابات النزيهة والتمتع بالحقوق السياسية والمدنية.

دور الأحزاب في تجسيد مبادئ الحكم الرشيد:

حتى تتمكن الأحزاب من القيام بدورها في تطبيق مبادئ الحكم الرشيد وحماية الديمقراطية وحقوق الإنسان وإقامة أنظمة الحكم الديمقراطية الجيدة لابد لهذه الأحزاب أن تتصف بما يلي:

- 1 - الإستقلالية.
 - 2 - الديمقراطية الداخلية.
 - 3 - العضوية.
- تسعى الأحزاب لتجسيد قيم ومعايير الحكم الرشيد بالآتي⁽³⁴⁾:

1 - التجسيد السياسي:

إعداد القيادات ويشمل القيادة العليا في البرلمان والحكومة وكذلك على مستوى الوظيفة الحزبية.

2 - التنشئة السياسية:

وهي غرس قيم الثقافة المعاصرة وإحترام حقوق الإنسان والإلتزام بفكرة الشرعية.

3 - المسألة:

يعرفها برنامج الأمم المتحدة بأنها الطلب من المسؤولين تقديم التوضيحات اللازمة لأصحاب المصلحة حول كيفية استخدام صلاحياتهم وتصريف واجباتهم والأخذ بالانتقادات التي توجه لهم وتلبية المتطلبات المطلوبة منهم وقبول (بعض) المسؤولية عن الفشل وعدم الكفاءة أو عن الخداع والغش. تمارس الأحزاب السياسية وظيفة المساءلة عن طريق: - وجودها في البرلمان وذلك عن طريق السؤال الشفوي «المساءلة التشريعية البرلمانية»⁽³⁵⁾.

- أو عن طريق وجودها في الحكومة الإئتلافية «المساءلة التنفيذية» وهي مسؤولية الجهاز الحكومي الذاتية في محاسبة نفسه بنفسه عبر مؤسساته الرقابية والمحاسبية.

- المسألة غير السلطة الرابعة «الإعلام» الجرائد والصحف الحزبية.

- المسألة عن طريق المجالس المحلية المنتخبة «التمثيل القاعدي».

4 - الشفافية:

تعني توفر المعلومات في مواقيتها وإفساح المجال أمام الجميع للإطلاع على المعلومات الضرورية والموثقة، مما يساعد على إتخاذ القرارات الصالحة في مجالات السياسات العامة، وهذا الأمر لا يمكن توفيره إلا بإطلاق الحريات العامة وحريات الرأي والتعبير وإفساح المجال لحرية الصحافة خاصة الصحافة الحزبية، وهو ما يسمح للمواطنين بالمراقبة والمساءلة⁽³⁶⁾.

5 - التنافسية السياسية:

يقدم الحزب بإدارة الصراع السياسي في المجتمع وذلك بتنظيم التنافس بين القوى بشكل سلمي ليبعده عن دائرة العنف.

6 - توسيع قاعدة المشاركة:

حيث يشكل الحزب أحد قنوات الإتصال بين المحكومين والحاكم ويفتح المجال للأفراد للإتصال والمساهمة في الحياة العامة.

7 - محاربة الفساد:

إن الحكم الديمقراطي القائمة على التعددية الحزبية وتداول السلطة تحول دون إستقرار حزب سياسي، بالقوة والنفوذ ويجعل الذي في السلطة محل متابعة ورصد ومحاسبة⁽³⁷⁾.

نشأة وتعريف حزب الأمة:

حزب الأمة السوداني:

إن مبادئ جميع الأحزاب السياسية التي قامت بالسودان قبل إعلان إستقلاله كانت تدور حول فكرة واحدة قوامها ماهي العلاقة التي يريدها السودانيون لبلادهم بمصر هل هي الوحدة أو الإتحاد أم الإستقلال؟ لذلك إنقسم الرأي العام السوداني إلى قسمين رئيسيين ينضوي تحت كل قسم منها عدة فروع:

القسم الأول:

فهو الذي يؤتي بضرورة إيجاد وليفة بحد مصر والسودان وإن إختلف أنصاره في مدى قوة هذه الرابطة هل هي إتحاد شخص؟ أم إتحاد فيدرالي؟ أم وحدة وإندماج؟ مما أدى إلى تعداد فروع هذا القسم. ويطلق على هذا القسم الأحزاب الإتحادية.

القسم الثاني:

فهو الذي أدى بإستقلال السودان دون أن تكون له أي رابطة مع مصر إلا الروابط التي تجمع بين الدول كاملة السيادة في المحيط الدولي أو العائلة الدولية ويطلق على هذا القسم الأحزاب الإستقلالية، كما ظهر نوع ثالث من الأحزاب خاصة بعد إستقلال السودان بعضهم يقوم على أساس عقائدي وبعضهم يقوم على أساس قبلي⁽³⁸⁾.

حزب الأمة:

أنشئ حزب الأمة في عام 1945م وكان الغرض الأساسي من إنشائه محاربة الفكرة الإتحادية التي أخذت في الإنتشار في ذلك الوقت وبالتالي القضاء على الحركة الوطنية التي كانت تتزعم الأحزاب الإتحادية، ويشبه السودانيون حزب الأمة السوداني بحزب الأمة المصري الذي أنشأه مرور في مصر لمناهضة الحزب الوطني، وقد أنشأ حزب الأمة راعى طائفة الأنصار ووجه أتباعه بالإهتمام إليه، فكان أن إنضموا جميعاً عليه واضح كل أنصاري ينتمي إلى حزب الأمة وبذلك فهو حزب طائفي في المقام الأول إلا أنه بالإضافة للتبعية الدينية كان يعتمد على تفرد الإدارة الأهلية القبلية التي وجهتها حكومة السودان بالإنضمام إليه مما أدى لزيادة عدد المنضمين إليه عند إنشائه، وفيما عدا ذلك فإن جمهرة المواطنين كانت تنفر من مجرد ذكر حزب الأمة، ويعتبر حزب الأمة أكثر الأحزاب الإستقلالية تطرفاً في عدائه لفكرة إتحاد مصر والسودان⁽³⁹⁾.

إن مبادئ حزب الأمة مشتقة من شعار بسط (السودان للسودانيين) وقد أطلق السودانيون على هذا الشعار عبارة (كلمة حق أريد بها باطل)، حزب الأمة في نشأته ونشاطه كان يهدف لفصل السودان عن مصر، وكان الإنجليز يوجهونه للمضي في هذا الطريق بغرض توجيهه فيما بعد إلى سلوك الطريق المكمل لذلك وهو المطالبة بانقسام السودان إلى مجموعة الشعوب

البريطانية (الكومنولث البريطاني) لذلك فقد كان حزب الأمة (الولد المدلل) لحكومة السودان، وفي ذلك يقول منشئ الحزب وراعيه في مذكراته: (أما الإنجليز فقد تعاوضوا عن الحركة الإستقلالية وعن حزب الأمة إذ كان همهم الأول القضاء على النفوذ المصري) ويضيف داعي الحزب (لم يكن حزب الأمة مبرأ من الأخطاء ومن أخطائه الباردة أنه ذهب في بعض الظروف أكثر مما يجب في مهادلته للحكومة) هذا وقد تعاونت جماهير حزب الأمة قبل قيامه مع الإستعمار الإنجليزي بالسودان وذلك حين إشتكت جماهير الأنصار بتوجيه من راعي طائفة الأنصار في إخراج المجلس الإستشاري لشمال السودان عام 1943م بحجة إستخلاص حقوق البلاد بالطرق السلمية كما إشتراك حزب الأمة في إخراج الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذي عام 1948م كما تعاونت في اللجنة التي شكلها الإنجليز عام 1948م كما تعاون في لجنة شكلها الإنجليز عام 1950م للنظر في تعديل قانون المجلس التنفيذي والجمعية التشريعية.

في ديسمبر عام 1950م تقدم ممثلوا حزب الأمة في الجمعية التشريعية باقتراح يطلبون فيه إن تتقدم الجمعية بتوصية إلى الحاكم العام ليطالب من دولتي الحكم الثنائي منح السودان الحكم الذاتي⁽⁴⁰⁾، ورغم أن الإنجليز لم يقبلوا الفكرة بحجة أنها جاءت مبكرة إلا أن الإقتراح فاز عند التصديق عليه بأغلبية صوت واحد، من المؤكد أن الإنجليز لو أرادوا قتل إقتراح مشروع الحكم الذاتي داخل الجمعية التشريعية ل يتم لهم ذلك، إلا أنهم أرادوا إضفاء مظهر ديمقراطي جدي على الجمعية التشريعية، كما أنهم قدروا إلا غضاضة في إقامة مؤسسات الحكم الذاتي في ذلك الوقت طالما أنها تحت إشرافهم وهي هدفهم البعيد كما يقولون، إلا أن مجرد تجرؤ حزب الأمة على إقتراح إقامة الحكم الذاتي بالسودان لم يدعه الإنجليز يمر بدون أن يلحق حزب الأمة درساً يعيه مستقبلاً ولا يخالف رغباتهم مهما كانت ولذلك عمل الإنجليز على إنشاء حزب إستقلالي جديد هو الحزب الجمهوري الإشراعي، كما أن قادة حزب الأمة يرون أن 70% من سكان المديريات الشمالية الست يؤيدون حزب الأمة إلا أن الإنتخابات البرلمانية الأولى التي أبرمت عام 1953م أثبتت أن أنصاره لا يزيدون عن 20% في السودان كله ومن الأشياء التي تؤخذ على حزب الأمة أيضاً بالإضافة إلى تعاونه مع الإنجليز، قيامه بحوادث أول مارس عام 1954م التي راح ضحيتها عدد كبير من المواطنين وتسليمه للجيش في نوفمبر 1958م وإن كانت مقاومته العنيفة للحكم العسكري فيما بعد قد خففت من أثر فعلته الأولى، يمتاز حزب الأمة بتماسكه ووحدته، إلا أنه تعرض لخلافات أدت إلى إنقسامه إلى جناحين، عرف بجناح الإمام نسبة لإمام طائفة الأنصار، وعرف الثاني بجناح الصادق نسبة للصادق المهدي رئيس الحزب، وإستمر الإنقسام منذ 1966م حتى أبريل عام 1969م حيث توحد مرة ثانية⁽⁴¹⁾.

إذا كان حزب الأمة قد قام على أساس طائفي وإقتصرت عضويته قريباً على الأنصار إلا أنه تبع كذلك بظاهرة أخرى هي قصر المناصب القيادية فيه على أفراد بيت المهدي وليس أدل على ذلك من البيان الذي صدر في أبريل عام 1969م بشأن توحيد الحزب وقد إقتصرت الترشيحات للمناصب السياسية الكبرى في المستقبل في بيت المهدي فهو يجعل من إمام الأنصار السيد الهادي

المهدي المرشح الوحيد لحزب الأمة لرئاسة الجمهورية في ظل الدستور الدائم ويجعل البند الثالث الصادر المهدي رئيس الحزب المرشح لرئاسة الجهاز التنفيذي في أي حكومة يؤلفها حزب الأمة أو يشترك فيها⁽⁴²⁾.

تجربة الأحزاب في حكم السودان:

كلل كفاح ونضال الحركة الوطنية في السودان بالنجاح بعد إفراز الصراع السياسي الحاد الأحزاب السياسية التي حملت رأيه الكفاح من خلال منابرها الواسعة التي شملت كل الشعب السوداني وقاومت غطرسة البريطانيين والمصريين في الإستحواذ على حقوق الشعب في الحرية والإستقلال، وقد أثمر كفاح هذه الأحزاب بعد أن نال السودان الحكم الذاتي في عام 1953م ومن ثم الإستقلال الكامل في نهاية ديسمبر 1955م، سوف نتناول هنا الفترات الديمقراطية بما فيها الحكم الذاتي التي تعتبر اللبنة الأولى في نظام الحكم النيابي في السودان، وسوف نتناول الجوانب المختلفة لهذه الفترات دسماتها⁽⁴³⁾.

فترة الحكم الذاتي (الديموقراطية الأولى 1953 - 1958م):

لا يتفق المؤرخون والسياسيون على بداية الحكم الديمقراطي في السودان لكن الكل يتفق على أن أول مجلس تشريعي تم إفتتاحه في عام 1953م بداية إنطلاق الحكم الذاتي في السودان حيث أرسلت الأحزاب ممثليها إلى البرلمان، جاءت فترة الحكم الذاتي بعد أن أبرمت الحكومة المصرية والمملكة المتحدة إتفاقاً يقضي بأن تبدأ إجراءات تقرير المصير للسودان وذلك بعد أن يصدر البرلمان السوداني قراراً يعرب فيه عن رغبته في إجراءات تقرير المصير⁽⁴⁴⁾.

البرلمان: يتكون البرلمان السوداني من مجلسين هما مجلس الشيوخ ومجلس النواب وهذا النظام جاء وفقاً للتوصية التي قدمها بروفيسور (هازلود) إلى اللجنة التي شكلت لوضع قانون الحكم الذاتي. يتكون مجلس الشيوخ من خمسين عضواً يعين مجلس السيادة عشرين منهم بمحض إختياره وينتخب ثلاثون حسب المادة (44) من دستور 1956م إلا أن دستور 1958م لقد أجريت الإنتخابات والتي إستغرقت العمل التحضيري لها وإجرائها فترة طويلة من أبريل حتى ديسمبر 1953م⁽⁴⁵⁾، إستمر برلمان الحكم الذاتي الذي بدأ في يناير 1954م في العمل لمدة عامين بعد الإستقلال ووفقاً للأحكام الإنتقالية التي تضمنها الدستور العام 1956م، وفيان الحزب الوطني الإتحادي بأغلبية المقاعد وقدم إسماعيل الأزهرى رئيساً للوزراء ومثل الجنوبي الثروة الحيوانية ووزيرين بدون حقائب، وتم إعلان الإستقلال وأجريت إنتخابات جديدة 1958م.

التجربة الديمقراطية الثانية (1964 - 1969م):

أودت السياسة التي إنتهكتها الأحزاب السودانية والزعامات الحزبية التي تسلم العسكريون للسلطة، وقد تم تعطيل العمل بدستور 1956م ويتم حل الأحزاب السياسية وأغلقت الدور الصحفية ومارس النظام العسكري التسلط إلا أن قطاعات الشعب المختلفة من عمال ومزارعين وطلاب ورجال أحزاب قاومت الضرب من الحكم حتى قضت عليه بقيام ثورة الحادي والعشرين من أكتوبر 1964م الشعبية التي أعادت العمل بأحكام الدستور المؤقت بعد أن أدخلت

عليه التعديلات اللازمة، وقد احتفظ بنفس خصائص الدستور 1956م فيما يتعلق ببدء السيادة الشعبية ونظام الدولة الواحدة إختياره للديمقراطية النيابية البرلمانية كأسلوب للحكم وكفالاته للحقوق والحريات العامة هذا الدستور في العمل بدستور السودان المؤقت لعام 1964م⁽⁴⁶⁾.

الانتخابات العامة:

قامت الجمعية التأسيسية في يونيو 1965م لأسباب سياسية في فبراير 1968م وتضمن القرار إصدار من مجلس السيادة بحل الجمعية الدعوة لإجراء انتخابات نيابية لقيام الجمعية الثانية وقد بدأ التسجيل من مجلس السيادة لهذه الانتخابات في فبراير 1968م وبدأ الترشيح في مارس وكان التصويت في أبريل من نفس العام وأعلنت نتائجه في أواخر أبريل 1968م وقد إشتراك في هذه الانتخابات 22 فرداً على مقاعد الجمعية وانحصر توزيع مقاعد الجمعية على الأحزاب الأحد عشر وكانت النتيجة أن نال الحزب الإتحادي الديمقراطي وهو الحزب الذي نتج بعد اندماج حزب الشعب الديمقراطي مع الحزب الوطني الإتحادي فنال هذا الحزب الأغلبية⁽⁴⁷⁾، إنعقدت الجمعية التأسيسية في مايو 1968م وكان الحزب الإتحادي قد إئتلف مع حزب الأمة جناح الصادق المهدي وتم إختيار خمسة من أعضاء الإئتلاف لمجلس السيادة هم (إسماعيل الأزهرى - خضر حمد من الإتحادي الديمقراطي وداؤود الخليفة والفاضل البشرى من الأمة جناح الهادي وجبرفاس من الجنوب، بعد ذلك إنتقلت الجمعية لإختيار رئيس الوزراء وقد تم الإجماع على السيد محمد أحمد المحجوب مرشح الإئتلاف ونال 146 صوتاً بينما حصل السيد الصادق المهدي على 50 صوت وشكل رئيس الوزراء وزارته التي إستمرت حتى حلها عن طريق الانقلابيين في مايو 1969م⁽⁴⁸⁾.

التجربة الديمقراطية الثالثة:

بالنسبة للديموقراطية الثالثة فقد بدأت 1986/5/15م إلى يونيو 1989/29م وقد إتسمت هذه الفترة بالحكومات الإئتلافية والتي يمكن إيجازها على النحو التالي :

الإئتلافية الأولى:

كانت نتيجة إنتخابات الجمعية التأسيسية أن تشكل وزارة إئتلافية من أكثر من حزب حتى يتوفر لتلك الوزارة التأييد المطلوب في الجمعية، مما أدى إلى تكوين أول وزارة في 1986/5/15م على أساس إئتلاف خريجي بين حزب الأمة والإتحادي الديمقراطي وبعض الأحزاب السياسية الجنوبية وقد إستمدت هذه الوزارات بالضعف بسبب تماسك أعضائها بولاء القسم ومصالحهم الحزبية وإتجاهاتهم الفكرية المتباينة، الملاحظ أن هذه الوزارة تكونت من حزبين هما الأمة والإتحادي الديمقراطي وعدد من الأحزاب الجنوبية ولكنها جميعاً كانت في حالة خلاف مستمر فيما بينها وهي في ذات الوقت إتجاهات مصلحة وإقليمية مختلفة تماماً عن إتجاهات الحزبين الكبيرين⁽⁴⁹⁾.

الحكومة الإئتلافية الثانية:

تشكلت هذه الحكومة الإئتلافية في يونيو 1987م حيث بدأت التركيبة الحزبية المكونة من حزب الأمة الإتحادي الديمقراطي وبعض الأحزاب الجنوبية على تعبير بعض وزراء الوزارة

السابقة، ومن هنا يتضح لنا تغيير بعض الوزراء بتقديم المصلحة الحزبية على المصلحة العامة أو القومية، وإن دواعي الائتلاف لم تكن إيجابية إطلاقاً بمعنى أن الائتلاف لم يتم إلا لضرورة عدم وجود إئتلاف بديل ونتيجة للخلافات التي بدأت على الحكومة وسطح الوزارات بصورة واضحة وعدم تجانس الأحزاب المؤتلف، واجهه القضايا المعبرية ثم تقضي الائتلاف بينهم في 20 أغسطس حيث صدر بيان مشترك من حزب الأمة والإتحادي الديمقراطي إتفاقية على إستمرار كل المناصب السياسية الممارسة على مهامها، وأن تستمر كافة السياسات كما هي وذلك حتى موعد أقصاه 7 سبتمبر حتى تجري مشاورات بتشكيل حكومة إئتلافية قومية⁽⁵⁰⁾.

الحكومة الإئتلافية الثالثة:

إزاء كل ما حدث قامت الجمعية التأسيسية في أبريل 1988م بانتخاب الصادق المهدي رئيساً للوزراء وتشكيل حكومة إئتلافية قومية، شارك فيها كل من حزب الأمة القومي الحزب الإتحادي الديمقراطي الجبهة الإسلامية القومية، الحزب القومي السوداني وبعض الأحزاب الجنوبية المعارضة مكونة من أعضاء للحزب الشيوعي السوداني بالإضافة للأعضاء الجنوبيين ولم تستمر تلك الوزارة بسبب أن الحزب الإتحادي الديمقراطي، وهنا نظير النظرة الحزبية الضيقة والمكابدات الحزبية التي كانت سبباً في عدم الإستقرار وعدم إستمرار الجبهة الوطنية في إطار حكومة قومية قادرة على السير بتجربة الديمقراطية في طريقها السابق مما زاد الوضع سوء لتلك المكابدات الحزبية إعلان حركة التمرد في المؤتمر الدستوري بصدور قرار رسمي من مجلس الوزراء للموافقة على إتفاقية السلام المبرمة بينها وبين الحزب الإتحادي الديمقراطي بتقديم خطاب لرئيس الوزراء 1988/2/25م بحظرهم فيها بالإنسحاب من الوزارة والمطالبة بتشكيل حكومة مصالحة وطنية.

الحكومة الإئتلافية الرابعة:

إزاء عدم الإستقرار رأت الوزارات الإئتلافية بدء تشكيل وزارة جديدة بعد إنسحاب الحزب الإتحادي الديمقراطي من الوزارة. وأعلن تشكيل الوزارة الجديدة في الأول من فبراير 1989م وكانت وزارة إئتلافية تكونت برئاسة الصادق المهدي، ومن وزراء حزب الأمة والجبهة الإسلامية والحزب القومي الإسلامي والحزب القومي السوداني بالإضافة لأربعة أحزاب جنوبية وقد تولى الحزب الإتحادي الديمقراطي قيادة المعارضة لأول مرة من خلال التجربة الديمقراطية الثالثة⁽⁵¹⁾.

الحكومة الإئتلافية الخامسة:-

تم تشكيلها في 1989/5/20م برئاسة السيد الصادق المهدي لوزراء من وزراء ينتمون إلى حزب الأمة والإتحادي الديمقراطي وبعض الأحزاب الجنوبية ووزيرين من الحزب الشيوعي السوداني ووزيرين يمثلان النقابات، وتوالت الجبهة الإسلامية برئاسة المعارضة المستمرة للحكومات السابقة عن التصدي للمشكلات التي عانى منها السودان، حيث تدهورت الأوضاع السياسية إلى حد لم تشهده البلاد من قبل، وأسهم في تفاقم الأزمة في أحداث الفياضانات والسيول التي عمت السودان في عام 1988م وإستمرت هذه الحكومة تعاني من ذلك العجز إلى أن حدث إنقلاب ثورة الإنقاذ الوطني 30/يونيو 1989م⁽⁵²⁾.

تقييم تجربة الأحزاب السودانية في الحكم ومقارنتها بأحزاب دولية وإقليمية: تقييم تجربة الأحزاب السودانية في الحكم:

في سياق البحث عن مخرج للسودان من حالة عدم الإستقرار السياسي المزمن وتأسيس حكم ديمقراطي قابل للإستقرار والتطور، ومثل هذا التغيير بالتأكيد سوف يسفر عن منهج جديد في تحليل وتقييم المحطات المعضلية في السودان وفي تاريخه السياسي، حتى يكون العمل للمستقبل مسترشداً بدروس التاريخ، مما يجب البلاد تكرار الأخطاء السابقة ومن ثم إعادة إنتاج الأزمات التي تمثلت في الحروب الأهلية والفشل الإقتصادي والتنموي وإنهيار الخدمات الأساسية وإهدار حقوق الإنسان⁽⁵³⁾.

فالرجوع لإنقلاب مايو كانت البلاد تعيش أزمة سياسية ودستورية لا جدال وكذلك فراغ سياسي مما يجب مساءلة تاريخية للأحزاب التي كانت حاکمة في تلك الفترة، ولابد أن يكون في سياق البحث عن البديل الديمقراطي الناضج والذي لديه القدرة على الإستمرارية ومن ثم النماء والتطور لا يكون في سياق النموذج الانقلابي والبديل الشمولي الذي أورد البلاد موارد الهلاك، لأن هذه سياحة عكس تيار التاريخ يمارسها بعض الدكتاتور من وبعض الذين يجهلون حفيظة أن توطين الديمقراطية في (ظروف التخلف) عملية معقدة وتراكمية تحتاج لعب ومثابرة وجهد فكري ولا يدركون أن عثرات أية تجربة ديمقراطية في بلادنا يجب أن تكون جزءاً لا يتجزأ من رصيد التجربة الديمقراطية الوطنية وتجب الإستفادة منه في إثراء الوعي الديمقراطي لا أن يكون ذريعة لمصادرة الحق الديمقراطي، ننطلق هنا في المدخل الحديث عن فرضيتين:

الفرضية الأولى:

أن الأحزاب السياسية التي تولت الحكم بعد ثورة أكتوبر مثلت شريكاً أساسياً عن ضياع أكتوبر كفرصة تاريخية لتحقيق تحولات ديمقراطية نوعية في المسار الوطني السوداني عبر بلورة إتفاق قومي حول التوجه الكلي للبلاد فيما يتعلق بإنجاز (أهداف ما بعد الإستقلال) ممثلة في تحقيق الوحدة الوطنية عبر توافق وطني يستوعب مكونات السودان المتعددة والمتنافرة وتحقيق التنمية الإقتصادية والإجتماعية والشرط الأساسي لتحقيق هذين الهدفين هو تأسيس النظام السياسي المستقر والذي لديه الكفاءة لتحقيق هذين الهدفين بمعنى ضبط بوصلة البلاد السياسية في الإتجاه المؤدي لتحقيق هذه الأهداف. ممثلة في الدستور وهياكل النظام السياسي والإداري، وإنطلاقاً من هذه الفرضية سوف تقيم دور الأحزاب التي حكمت البلاد في إجهاض التجربة الديمقراطية وذلك بإستعراض أهم أوجه القصور في الأداء السياسي للأحزاب في تلك الحقبة.

الفرضية الثانية:

أن مأزق الديمقراطية في السودان معضلة متعددة الأسباب وهي أسباب لا تنحصر في أن الأحزاب التقليدية ذات القاعدة الشعبية الكبيرة التي لا تأتي بها الإنتخابات للحكم فاقدة إلى حد كبير للتأهيل الديمقراطي وضعيفة الأداء في إدارة الدولة، بل تشمل كذلك غياب الديمقراطية كفلسفة وثقافة سياسية حتى عن المرجعيات الفكرية للأحزاب الحديثة اليسارية والإسلامية، مما يجعل

هذه الأحزاب تتعامل مع الديمقراطية تعاملًا تكتيكيًا ولا تعتبرها من الثوابت الإستراتيجية، وهناك معطيات إقليمية ودولية لها أيضاً تأثير سلبي على إستقرار الخيار الديمقراطي في السودان⁽⁵⁴⁾.

قضية الجنوب:

حينما اندلعت ثورة أكتوبر كانت الحرب ب الجنوب في تصاعد وكان هذا أكبر إخفاق لنظام عبود الذي واجهته حرب الجنوب بالحل العسكري وسياسات القمع والأسلمة والتعريب وبالتالي كان لثورة أكتوبر أهم الأهداف لحل مشكلة الجنوب وأهم قضيتين في هذا الإطار الحكم الإقليمي وقضية علاقة الدين بالدولة في دستور البلاد وبالنسبة لقضية الحكم الإقليمي أو اللامركزي لم تعد في العهد الأكتوبري مجرد مطلب جنوبي بل أصبح الحكم الإقليمي مطلباً في مختلف أقاليم السودان توجد حوله الجنوب وجبال النوبة والشرق (متمثلاً في مؤتمر البجا) والغرب متمثلاً في جبهة نهضة دارفور.

تعامل الأحزاب بعد أكتوبر مع مطلب الحكم الإقليمي:

كان من توصيات لجنة الإثنى عشر التي أعقبت مؤتمر المائدة المستديرة تضمين الحكم الإقليمي في الدستور منه توجد في أحزاب سانو ومؤتمر البجا وإتحاد جبال النوبة حول هذا المطلب، ولكن أغلب المنشغلين بالرأي العام أجمعوا على أنها نزعة عنصرية. ورفضت فكرة الإقليمية وتأسيساً على ذلك أسقطت فكرة الحكم الإقليمي من مشروع الدستور لسنة 1968م.

الأحزاب الحاكمة بعد أكتوبر وعلاقة الدين بالدولة:

لا شك بأن السنوات التي أعقبت ثورة أكتوبر شهدت إستغلالاً للدين في الصراع السياسي بصورة كبيرة وتحديدًا في صراع الأحزاب الحاكمة (الأمة والوطني الإتحادي) مع الشيوعيين وعلى خلفية تنامي جماعة (الأخوان المسلمين) على الأحزاب الحاكمة جاء مشروع الدستور الدائم ينص على (أن جمهورية السودان جمهورية ديمقراطية إشتراكية على هدى الإسلام) وينص في المادة الثالثة على أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي، وكان الدكتور حسن الترابي قد رفع مذكرة للجنة الدستور داعياً فيها إلى ترجيح الإلتزام بالدستور الإسلامي لأن الجمهور في السودان جمهور مسلم. وقد كان الدستور الإسلامي ضربة في الصميم للوحدة الوطنية وتكريساً للمواطنين على أساس ديني، وفي موضوع علاقة الدين بالدولة شهدت أكتوبر تراجعاً كبيراً في موقف (حزب الأمة) الذي يتم في عهد الديمقراطية الأولى بقدر من العقلانية والحرص على الوحدة الوطنية، ففي بدايات عند الإستقلال (1956 - 1958م) لم يستخدم الدين كأداة في الصراع السياسي من قبل الأحزاب ذات الثقل والتأثير (حزب الأمة مثلاً) بل كانت قيادات الأحزاب الكبيرة حريصة على إبقاء الدين بعيداً عن الصراعات السياسية. إلا من قبل مشايخ الدين والطرق الصوفية الذين كانوا يرون تضمين الدين في الدستور ولكن لم تستجب الأحزاب لتلك الدعاوي⁽⁵⁵⁾.

التجربة الديمقراطية الثانية:

كما لابد من إستصحاب الوضع الإقتصادي الذي يمكن أي دولة من الوفاء بإلتزاماتها المالية الأساسية تجاه نفقات وتكلفة أجهزة الدولة المختلفة وتقديم الخدمات الضرورية للمواطنين

(الصحة - التعليم - الماء والغذاء) وتحقيق قدر معقول من المشروعات التنموية والإستثمارية الذي يؤدي لنمو إقتصادي بدرجة مرضية، وكذلك التكوين الإجتماعي للأمة مما يجعل أهدافها القومية متقاربة. وإنتشار وقبول المجتمع للسلوك الديمقراطي وإحترام السلطة والإلتزام بحكم القانون. وتوفر قدر من الوعي السياسي يمكن الناخب من تحديد خياره الإنتخابي ولا تغفل وتجاهل طبيعة تكون الأحزاب وثقافتها السياسية جعلتها ضعيفة الإلتزام بالمنهج الديمقراطي، وبالعودة لعنواننا هنا نشير إلى أسباب فشل الديمقراطيات الثلاثة على مدار حكمها في السودان واضعين في الإعتبار الأسباب التي سقناها آنفاً.

والأسباب نجمها في الآتي:

1. الأصولية والتطرف.
 2. الفقر والآثار المرتدة للديون.
 3. الجهوية العرفية.
 4. العالمية والتكوين الدولي لا تعقل دوره في فشل أو إنجاح أي ديمقراطية في أي بلد ما.
- هنا أيضاً نسوق مقالاً للبروفيسور حسن الساعوري بعنوان (النفاق السياسي) أحد أسباب فشل الديمقراطية حيث أكد في مقاله (أن فشل الديمقراطية في السودان بسبب غياب المنهج التوافقي بين أحزاب الإئتلاف الحاكم، وعدم التجانس في الحكومة وعمل الأحزاب على منع إنتقال السلطة للأغلبية البرلمانية إلى الخصوم بإسلوب غير دستوري، وتقديم المصلحة الحزبية على مصلحة التحالف الحاكم بواسطة الخداع والمناورات السياسية ورفض إسلوب التداول السلمي للسلطة وإستبداله بالقوة المسلحة، وأكد أن هناك أربعة عوامل مشتركة لفشل التجربة الديمقراطية وهي غياب أسلوب التسويات أو المنهج الوفاقي لحسم الخلاف والنفاق السياسي للأحزاب السياسية وغياب الثقة بين القيادات السياسية وداخل كل حزب، وإحتقان الجو السياسي وحول تقييمه للأنظمة العسكرية أكد أن جميعها ترفض مبدأ الإستمرار في السلطة بالقوة، وواجهت التمرد العسكري في الجنوب وحاولت التصدي له بجانب تصديها لمحاولات إنقلاب وأن المبادرة لإستلام السلطة بالقوة جاءت من الأحزاب السياسية، وليس من المؤسسات العسكرية ذاتها، ولفت إلى أن الكيد السياسي أوشك أن يصبح ثقافة وعرفاً عند النشطاء السياسيين في السودان معرباً عن أمله في أن لا يكون عدم الإستقرار مرضاً مستعصياً⁽⁵⁶⁾.

مقارنة تجربة الأحزاب في السودان مع أحزاب إقليمية ودولية:

في هذا المبحث نتناول المقارنة بين أحزاب الدول الفرنكفونية وطريقة عملها بدولها مقارنة بالأحزاب السودانية وعبر تناولنا للدول الفرنكفونية فإننا نعني بها دول إقليمية ودولية بحيث تكون نموذجي لدولتي تونس والمغرب كدول إقليمية وبلجيكا وفرنسا كدول عالمية.

أولاً: التعريف بالفرانكفونية ودولها:

الفرانكفونية هي منظمة دولية للدول الناطقة باللغة الفرنسية وكلفة رسمية أو لغة منتشرة في 57 دولة عضوية و23 دولة برقية مراقب وتأسست هذه المنظمة عام 1970م والتي

يقع مقرها الرئيسي في فرنسا، ومن أهدافها الترويج للغة الفرنسية ومحاولة نشرها وتشجيع المرأة وتفعيل دورها للحياة السياسية والعملية، ومن دول المنظمة قطر، تونس، كندا، جيبوتي، ألبانيا، بلجيكا، كندا، المغرب، وهنا سنتناول المغرب وتونس كدول إقليمية لمحيط السودان وبلجيكا وفرنسا كدول دولية كما أسلفنا⁽⁵⁷⁾.

الأحزاب الإقليمية تونس والمغرب:

أولاً: الأحزاب التونسية:

تتمثل الأحزاب في تونس من أحزاب ما قبل الثورة التونسية مثل حزب التجمع الدستوري الديمقراطي وأحزاب ما بعد الثورة وفي أحزاب معترف بها في البرلمان وأحزاب أخرى غير معترف بها، كان النظام في تونس يندرج ضمن النظام الجمهوري للبلاذ وبعد إستقلالها لسنة 1956م وحتى 2011م كان النظام دكتاتوري وشهد رئيسين فقط هما الحبيب بورقية لمدة ثلاثون عاماً ثم زين العابدين علي 23 عاماً وبعد الثورة في تونس 2011م بدأت مرحلة الانتفال للديمقراطية. حيث تم إقرار الدستور الجديد والقيام بعد الإنتخابات، يتأسس البلاذ حالياً الباجي القائد السياسي ورئيس الحكومة تونس الشاهد السلطة التشريعية القائمة في البلاذ هي مجلس نواب الشعب ويوجد الآن حوالي 218 حزباً في البلاذ.

ثانياً: الأحزاب المغربية:

يتألف المغرب من ما يقارب الـ(13) حزباً لها تواجدها ونشاطها الملموس على واقع الدولة المغربية من أشهرها: حزب العدالة والتنمية وحزب الإستقلال والتجمع الوطني للأحرار وحزب الأصالة والمعاصرة ومعظمها تتألف من كتل تحتها أحزاب فمثلاً الكتلة الديمقراطية تحويل أحزاب الإتحاد الإشتراكي والذي يأتي تحت قائمة الكتلة الديمقراطية يمثلها حزب الإستقلال وتضم الكتلة (حزب التقدم والإشتراكية) (الديمقراطي الشعبي) ...الخ⁽⁵⁸⁾، وكتلة الوفاق وتضم (الحركة الشعبية) (الإتحاد الدستوري) (الوطني الديمقراطي) (الديمقراطية الإجتماعية)...الخ، وكتلة أحزاب الوسط التي تضم التجمع الوطني للأحرار، الحركة الوطنية الشعبية، الأحزاب الإسلامية وتضم حزب العدالة والتنمية، جماعة العدل والإحسان والأحزاب اليسارية جبهة القوى الديمقراطية، حزب الطليعة الديمقراطية والإجتماعية، المنهج الديمقراطي أحزاب أخرى حزب العمل، إتحاد الحريات، الإصلاح والتنمية...الخ. وقد قام الحزب الشيوعي المغربي بتغيير اسمه لحزب التحرير الإشتراكي. كما أصبحت حركة حزب (23 مارس) لحزب منظمة العمل الديمقراطي الشعبي⁽⁵⁹⁾، تعد المملكة المغربية من الدول العربية القليلة التي تبنت قبل وبعد الإستقلال التعددية الحزبية كمكون (البنوي) في المشهد العام السياسي لمواجهة مظاهر القصور والضعف التي يزن المعطي السياسي للدولة الحديثة وبناء مجتمع لمغرب الغد وقد شهدت السياحة السياسية الوطنية حقاً فعالية حزبية بالغة الأهمية في العقود الثلاثة بعد الإستقلال الذي يجب الإشارة إليه بأنه سواء تعلق الأمر بالمساهمة الملموسة في نشر الثقافة السياسية الرفيعة وتكوين المواطنين وتأطيرهم وتوعيتهم بواقعهم والعالم المحيط بهم، أو تعلق الأمر بالدفاع عن الطبقات الشعبية المحرومة والوقوف في

وجه أصحاب القرار ومواجهتهم بقدر كبير من النضال والتضحية ونكران الذات. وكان من المفترض أن يشكل هذا السبق الإستثنائي مهاداً لإرساء تجربة ديمقراطية مثالية ونموذجاً يحتذى به في باقي الأقطار العربية. غير أن كل من ذلك لم يحدث لأسباب يمكن تلخيصها في سببين رئيسيين هما:

1. إقرار المعنيون بالشأن السياسي المغربي وتمكنوا من تحجيم الهياكل الحزبية وتقليل أظافرها وتجريدها من كثير صلاحياتها. وكان ذلك أثناء سنوات الرصاص والتجاوزات السياسية والصراع على تقاسم السلطة وذلك عبر وسائل بالغة الخطورة أقلها أسلوب الترغيب والترهيب والإختراق والإنشقاق بيد أن تراجع الأداء الحزبي في المغرب في العقدين الأخيرين يعود بدرجة أكبر لضعف الهيئات الحزبية نفسها.
2. وفي المقابل هناك حزبين آخرين يعتبران من أبرز الهياكل الحزبية في العالم الثالث هي الإستقلال بالإشارة لما سلف فوجه المقارنة بين أحزاب دولة المغرب والسودان يمكن القول بأنهما بدتية لحركة⁽⁶⁰⁾.

الخاتمة :

بعد قراءة ظهور ومراحل الأحزاب السياسية في السودان وصراعها الطويل ظهرت جماعة المثقفين داخل مؤتمر الخريجين الحزبين الكبيرين حزب الأمة والحزب الاتحادي الديمقراطي، حيث طالب حزب الأمة بالاستقلال (السودان للسودانيين) وطالب الحزب الآخر بالوحدة مع مصر ثم ظهرت بعد ذلك أحزاب راديكالية حديثة مثل الحزب الشيوعي السوداني والتنظيم الإسلامي وأحزاب انفصالية أخرى. وتعتبر فترة الحكم الذاتي في السودان عام 1956م حتى عام 1958م فترة الديمقراطية الأولى وأعقبها الفترة الثانية من 1964م - 1969م أما فترة الديمقراطية الثالثة كانت 1986 - 1989م واتسمت الفترة الثالثة بالحكومة الائتلافية القومية شاركت فيها كل الأحزاب ونتيجة للنظرة الحزبية الضيقة والمكابدات كان ذلك سبباً في عدم الاستقرار السياسي ومما زاد الحالة سوء الفياضانات والسيول عام 1988م أدى لانقلاب ثورة الانقاذ يونيو 1989م.

النتائج:

1. مازال السودان يبحث عن التجربة الديمقراطية الحقيقية التي لم تحقق بعد.
2. وبالتدقيق في الحالة السودانية نجد أن العسكرية السودانية حاضرة في المشهد السياسي للبلاد بقوة وإنها على كافة التجارب الديمقراطية في البلاد.
3. ومن العوامل التي حالت دون تحقيق حكم ديمقراطي مشكلة الجنوب التي أثرت على الحياة السودانية لعقود من الزمن.
4. فلم تكن تجربة السودان الديمقراطية ناجحة بالقدر الكافي ولم تكن التجارب العسكرية ناجحة أيضاً كمحاولات للتغيير، إذ تم إستبدال الحكومة العسكرية بأخرى على مر التاريخ «تاريخ» الانقلابات في السودان.
5. كان من أبرز المتغيرات السياسية في السودان بعد الحرب العالمية الثانية هو ظهور أحزاب عقائدية تمثلت في الشيوعي، حركة الإخوان المسلمين.

6. منذ الاستقلال وحتى الآن نجد متغيرات كثيرة في المشهد السياسي وزيادة في عدد الأحزاب السياسية وهو أمر سيشهد تحولاً في مستقبل الأحزاب إما بدمجها أو تلاشيها.

7. كان للثقافة المصرية ومن بعد التحولات والتطورات المصرية الداخلية آثار واضحة على الواقع السياسي في السودان مما انعكس مباشرة على ولادة الأحزاب السياسية السودانية.

التوصيات:

1. التفكير الجاد في الاندماج الطوعي لبعض الأحزاب المتماثلة الرؤى والأهداف لزيادة فعالية النشاط الحزبي والسياسي المستقطب للجماهير.
2. عقد ورش في الحوار الفكري والسياسي وأخرى لمناقشة برامج الأحزاب السياسية لتحسين عملها ودورها في الساحة السياسية.
3. وضع ميثاق شرف سياسي يحرم قيام أي حزب سياسي بانقلاب عسكري أو الاستفراد بالسلطة استناداً على عملية عسكرية من قبل المؤسسة العسكرية.
4. اشراك جميع الأحزاب في المكاتب التنفيذية ومواقع متخذي القرار لضمان استقرار البلاد.
5. يجب توفر الثقة بين القيادات السياسية داخل كل حزب لضمان استمرارية تجربة الحكم الديمقراطي بالبلاد.

الهوامش:

- (1) إبراهيم أحمد محمد عيسى، الصراعات البينية والداخلية للأحزاب السودانية، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية جامعة الزعيم الأزهرى 2015م، ص 151.
- (2) فيصل عبدالرحمن علي طه، السودان على مشارف الاستقلال الثاني، -1954 156، السودان- امدرمان 2010، مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، الطبعة 2، ص -205 208
- (3) عيسى، إبراهيم أحمد محمد، الصراعات البينية والداخلية للأحزاب السودانية، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية جامعة الزعيم الأزهرى 2015م، ص 151.
- (4) المرجع نفسه، ص 151.
- (5) العيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، القاهرة: دار الشروق، 2000م، ص 116.
- (6) المرجع نفسه، ص 117.
- (7) شبكة جامعة بابل: www.uobalylon.edu.com
- (8) دياب، أحمد إبراهيم، ورقة عمل، جامعة الأحفاد.
- (9) سفيان، أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ط 1، 2006م، ص 22.
- (10) عيسى، إبراهيم أحمد محمد، الصراعات البينية والداخلية للأحزاب السودانية، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية جامعة الزعيم الأزهرى 2015م، ص 44.
- (11) المرجع نفسه، ص 44.
- (12) منصور، بلقيس أحمد، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، مصر: مكتبة مدبولي، 2004م، ص 67.
- (13) المرجع نفسه، ص 68.
- (14) منصور، بلقيس أحمد، مرجع سابق، ص 69.
- (15) المرجع نفسه، ص 70.
- (16) تقرير مؤسسة فريدريش، المجتمع المدني العربي والتحدى الديمقراطي.
- (17) الساعوري، حسن علي، صحيفة الإنتباهة، 2012/9/26م.
- (18) الساعوري، حسن علي، التجربة الديمقراطية الثالثة، الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، 2000م، ص 192.
- (19) المرجع نفسه، ص 192.
- (20) عيسى، إبراهيم أحمد محمد، مرجع سابق، ص 45 - 47.
- (21) المرجع نفسه، ص 48.
- (22) إبراهيم، حيدر علي، الأحزاب السودانية واقع ومستقبل، القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2001م، ص 205.

- (23) إبراهيم، سعد الدين، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي، لبنان: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية 2005م، ص22.
- (24) المرجع السابق، ص23.
- (25) عيسى، إبراهيم أحمد محمد، مرجع سابق، ص49.
- (26) هنتغتون، صمويل، الموجة الثالثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، الكويت: دار سعاد الصباح، ط1 1993م، ص74.
- (27) منصور، بلقيس أحمد، مرجع سابق، ص21.
- (28) سفيان، أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2006م، ص182 - 183.
- (29) سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006م، ص111.
- (30) ثنيو، نور الدين، الأحزاب السياسية في الجزائر والتجربة الديمقراطية، متحصل عليه من موقع التجديد العربي، 2010/6/9م.
- (31) منصور، بلقيس أحمد، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، مصر: مكتبة مدبولي 2004م، ص15 - 16.
- (32) إبراهيم، سعد الدين، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي، (لبنان: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية 2005م)، ص307.
- (33) إبراهيم، سعد الدين، مرجع سابق، ص308.
- (34) يس، السيد، المداخلة الثانية بدون عنوان، تحرير غسان إسماعيل عبد الخالق، ص187.
- (35) العيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤشراتها، القاهرة: دار الشروق 2000م، ص132.
- (36) برو، فيليب، علم الاجتماع السياسي، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ص375.
- (37) تقرير مؤسسة فريدريش، المجتمع المدني العربي والتحدي الديمقراطي، ص60.
- (38) ابن هلال، الصادق، الأحزاب المغربية ودورها في المشهد السياسي مقال، منشورات رياض الرايس، لندن، 1993م، ص270.
- (39) تقرير مؤسسة فريدريش، المجتمع المدني العربي والتحدي الديمقراطي، ص60.
- (40) ابن هلال، الصادق، مرجع سابق، ص271.
- (41) هنتغتون، صمويل، الموجة الثالثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، الكويت: دار سعاد الصباح، ط1، 1993م، ص112.
- (42) صالح، عبد المعظم محمد، الأحزاب السياسية في السودان، عتيق للطباعة، الخرطوم: ط1، 2015م، ص23.
- (43) فايز، سارة، الأحزاب والقوى السياسية في المغرب، منشورات رياض الرايس، لندن، 1990م، ص38.

- (44) المرجع نفسه، ص38.
- (45) فايز، سارة، مرجع سابق، ص39.
- (46) فايز، سارة، مرجع سابق، ص43.
- (47) صالح، عبد المنعم محمد، الأحزاب السياسية في السودان، عتيق للطباعة، الخرطوم: ، 2015م، ص174.
- (48) إبراهيم، حيدر علي، الأحزاب السودانية واقع ومستقبل، القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2001م، ص207.
- (49) صالح، عبد المنعم محمد، مرجع سابق، ص215.
- (50) المرجع نفسه، ص216.
- (51) صالح، محبوب محمد، دور السيد عبد الرحمن المهدي في نشأة وتطور الصحافة السودانية، جامعة الأحفاد، أمدردمان ورقة.
- (52) الساعوري، حسن علي، التجربة الديمقراطية الثالثة، الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم، 2000م، ص86.
- (53) عوض، رشا، ديمقراطيات بلا ديموقراطية، ص112.
- (54) خريف، محمد، الأحزاب السياسية المغربية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، دار الإعتصام، 2001م، ص2.
- (55) خريف، محمد، مرجع سابق، ص4.
- (56) الساعوري، حسن، صحيفة الإنتباهة، 2012/9/26م.
- (57) سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2006م، ص116.
- (58) خريف، محمد، الأحزاب السياسية المغربية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، دار الإعتصام، 2001م، ص152.
- (59) فايز، سارة، الأحزاب والقوى السياسية في المغرب، منشورات رياض الرايس، لندن، 1990م، ص152.
- (60) ابن هلال، الصادق، الأحزاب المغربية ودورها في المشهد السياسي مقال، منشورات رياض الرايس، لندن، 1993م، ص27.

المصادر والمراجع :

- (1) إبراهيم، سعد الدين، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي، (لبنان: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية 2005م).
- (2) إبراهيم، حيدر علي، الأحزاب السودانية واقع ومستقبل، (القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2001م).
- (3) ابن هلال، الصادق، الأحزاب المغربية ودورها في المشهد السياسي (مقال)، منشورات رياض الرايس، لندن، 1993م.
- (4) برو، فيليب، علم الاجتماع السياسي، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر).
- (5) تقرير مؤسسة فريدريش، المجتمع المدني العربي والتحدي الديمقراطي.
- (6) ثنيو، نور الدين، الأحزاب السياسية في الجزائر والتجربة الديمقراطية، (متحصل عليه من موقع التجديد العربي) (9/6/2010م).
- (7) حسن علي الساعوري، التجربة الديمقراطية الثالثة، (الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم 2000م).
- (8) خريف، محمد، الأحزاب السياسية المغربية، المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، دار الإعتصام، 2001م.
- (9) دياب، أحمد إبراهيم، (ورقة عمل)، جامعة الأحفاد.
- (10) الساعوري، حسن، صحيفة الإنتباهة، 26/9/2012م.
- (11) سعدي، محمد، مستقبل العلاقات الدولية ، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 2006م).
- (12) سفيان، أحمد، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، (لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2006م).
- (13) صالح، عبد المنعم محمد، الأحزاب السياسية في السودان، عتيق للطباعة، (الخرطوم: ط1 2015م).
- (14) صالح، محبوب محمد، دور السيد عبد الرحمن المهدي في نشأة وتطور الصحافة السودانية، جامعة الأحفاد، أمدرمان (ورقة).
- (15) عوض، رشا، ديمقراطيات بلا ديموقراطية.
- (16) العيسوي، إبراهيم، التنمية في عالم متغير، دراسة في مفهوم التنمية ومؤثراتها، (القاهرة: دار الشروق 2000م).
- (17) عيسى، إبراهيم أحمد محمد، الصراعات البينية والداخلية للأحزاب السودانية، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية جامعة الزعيم الأزهري 2015م.
- (18) فايز، سارة، الأحزاب والقوى السياسية في المغرب، منشورات رياض الرايس، لندن، 1990م.
- (19) المصدر: الجزيرة نت.
- (20) منصور، بلقيس أحمد، الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي، (مصر: مكتبة مدبولي 2004م).
- (21) هنتغتون، صمويل، الموجة الثالثة، ترجمة عبد الوهاب علوب، (الكويت: دار سعاد الصباح، ط1 1993م).
- (22) يس، السيد، المداخلة الثانية (بدون عنوان)، تحرير غسان إسماعيل عبد الخالق.

التعليم الأهلي في مكة المكرمة في عهد الملك عبد العزيز (1343 - 1373 هـ / 1924 - 1953 م) (دراسة تاريخية)

باحثة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الملك خالد- السعودية

أ. سهام حسن مرعي معشي

المستخلص: يحظى التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية على جميع مستوياته باهتمام بالغ ورعاية كريمة منذ عهد الملك عبدالعزيز وحتى الآن، ويرى بعض الباحثين والمؤرخين أن بدايات التعليم الأهلي كانت في الحجاز وقد كان لمكة المكرمة النصيب الأكبر منها، وتفاوتت عدد الدراسات المتعلقة بالتعليم الأهلي من منطقة لأخرى، حيث لا تتوافر دراسة مستقلة ذات صلة بموضوع الدراسة بالرغم من أهميته، وللتعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية فضل كبير في نهضتها فقد قامت أولوياته في عهد مبكر، وإن أوائل العاملين بالأعمال الحكومية في الدولة السعودية كان معظمهم من خريجي المدارس الأهلية، فمنذ دخول الملك عبدالعزيز للحجاز كان هناك أربع مدارس أهلية هي (الصولتية ، الفخرية، الفلاح) في مكة، وقد شجعهم حتى بلغت أكثر من عشرين مدرسة أهلية في عهده؛ وذلك لتنشيط الحركة التعليمية والثقافية بين أهالي البلاد، وتأتي الدراسة التي بين أيدينا إلى تسليط الضوء على بدايات التعليم الأهلي في مكة من خلال عدة محاور: الحلقات العلمية في المسجد الحرام، بالإضافة إلى الكتابات والمدارس الأهلية المنتشرة في أحياء المنطقة وكيف ساهمت مساهمة فعالة في تطور التعليم في تلك الفترة، وكانت بمثابة النواة الأولى للتعليم، وقد التزمت الدراسة منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر المتعددة للوصول إلى الأهداف والنتائج المرجوة، وتوصلت الباحثة في هذا البحث إلى النتائج التالية: شجعت الدولة التعليم الأهلي في كافة مراحلها، كانت الكتابات القاعدة الأولى في التعليم الأهلي، يعتبر المسجد الحرام مؤسسة تعليمية قائمة بذاتها ويظهر ذلك جلياً من خلال الحلقات التعليمية و دورها فيالنشاط الثقافي والتعليمي الواسع في شتى أنواع العلوم والمعرفة، ساهم مدرسو الحلقات التعليمية في المسجد الحرام في سد الوظائف التعليمية والإدارية بعد ذلك.

الكلمات المفتاحية: التعليم، الأهلي، مكة المكرمة، الكتاب، المدارس.

Private Education in Makkah During the Reign of King Abdulaziz (1924- 1953 /AD – 1343- 1373/ AH) (Historic Study)

A. Seham Hassan Morei Maeshi.

Abstract:

Private education in the Kingdom of Saudi Arabia at all levels has been given generous attention and care since the era of King Abdulaziz until now, and some researchers believe that the beginning of private

education was in the Hijaz, and Makkah had the largest share of it. , and the number of studies in private education varied from one region to another. Where there is no independent study related to the subject of the study despite its importance, and private education in the Kingdom of Saudi Arabia has a great merit in its renaissance, as its priorities were established in an early era, and that the first workers in government work in the Saudi state were most of them graduates of private schools or since the entry of King Abdulaziz, to Hijaz There were four private schools (Al-Sultiyah, Al-Fakhriyyah, Al-Falah) in Makkah, and he encouraged them until they reached more than twenty private schools during his reign, to activate the educational and cultural movement among the people of the country. The study in our hands aims to shed light on the beginnings of private education through several axes: Scientific circles in the Grand Mosque, in addition to the private schools and writers scattered in the neighborhoods of the region and how they contributed effectively to the development of education in that period and served as the first nucleus of education. In this research, the researcher reached the following results: The state encouraged private education in all its stages. Books were the first rule in private education. The Grand Mosque is considered a self-contained educational institution, and this is evident through the educational circles and their role in Wide cultural and educational activity in various types of science and knowledge. The teachers of educational circles in the Grand Mosque contributed to the educational and administrative functions after that.

Keywords: Education- Private-Makkah AI-Mukarramah-AL-Kuttab-Schools.

مقدمة:

تعد منطقة مكة المكرمة⁽¹⁾ من أقدم المناطق السعودية في التعليم، فقد عرفت منذ القدم أمشاطاً كثيرة من الكتاتيب؛ منها ما كان يعنى بتعليم القرآن الكريم، ومنها ما عني بتعليم مبادئ القراءة والكتابة، ومنها ما عني بتعليم اللغة العربية؛ وذلك لانتشار اللغة التركية خصوصاً في المدن.

كما ظهرت كتاتيب لتعليم الذكور، وأخرى لتعليم الفتيات. وقد كانت المدن أكثر حظاً في توافر التعليم بأشكاله وأنواعه كافة من الكتاتيب إلى المدارس النظامية وغير النظامية، وسيتم

التركيز على التعليم التقليدي فقط (الكتاتيب)⁽²⁾. ولما كان التعليم أساس الحضارة، والقاعدة التي يبنى عليها وعي الأمة ومعرفتها، والضيء الذي يضيء آفاق الحياة الإنسانية، فقد نال التعليم أهمية عظيمة في حياة المسلمين، وكانت مكة المكرمة - حرسها الله - منبع هذا النور ومصدر هذا الخير من عهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. فمن المسجد الحرام شاع نور العلم في حلقة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ومن كان معه. وتتابع ذلك في عصر التابعين وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم على مر السنين والقرون. ولقد كان المسجد الحرام هو منتدى للعبادة والعلم. وقد ظهرت في مكة المكرمة مدارس تعليمية منذ العصور الأولى كان لها الأثر العظيم في نشر العلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

فمن المعروف أن مكة المكرمة مقصد المسلمين من كل مكان لتأدية مناسك الحج، وكانت الحلقات التي تعقد في المسجد الحرام مقصداً لأولئك الحجاج ينهلون من معين العلم الصافي. وقد كانت الحلقات تُدرس فيها شتى أنواع العلوم والمعرفة، من تدريس القرآن وتحفيظه وتفسيره، إلى الحديث وحفظه وشرحه، إلى الفقه والنحو والصرف والعقيدة، وغير ذلك من العلوم. وقد استمرت الحركة العلمية النشطة على هذا المنوال، من إقبال الطلاب وتعلمهم ورجوعهم إلى بلدانهم لنشر ذلك العلم الذي أخذوه. واستمرت هذه الحال إلى القرن الرابع عشر الذي نحن بصدد الحديث عنه⁽³⁾. وعند دخول الملك عبد العزيز الحجاز اتجه مباشرة إلى بدء دعوة تعليمية جديدة من خلال اجتماعاته بالعلماء ومن خلال اهتمامه بإعادة تنظيم التدريس في المسجد الحرام وإلى اهتمامه بدعم وتشجيع الكتاتيب والحلقات العلمية القائمة في مكة المكرمة.

المسجد الحرام أخرج من رجال الدين والعلم والصلاح منذ ظهور الإسلام إلى يومنا هذا - يعني القرن الرابع عشر - الشيء الكثير الوفير. وكان لهم من الشأن والبروز ما لو أطلقنا القلم لطال بنا البحث⁽⁴⁾. كانت مناهل العلم في مكة المكرمة من أوائل ما اهتم بها الملك عبد العزيز بالتطوير ولقد كان عهد الملك عبد العزيز عهد ازدهار للحياة العلمية في مكة المكرمة، لما توفّر في مكة المكرمة من مؤهلات ثقافية ساهمت - مع تشجيع الملك عبد العزيز للتعليم - في دفع النهضة التعليمية في البلاد، فقد توافر لمكة المكرمة من مصادر للعلم والثقافة ما لم يتوافر في أي مدينة بالمملكة⁽⁵⁾. والحديث عن الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال القرن الرابع عشر متشعب ومتعدد الجوانب. يقول الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان - حفظه الله -: ((وُجِدَت مكة المكرمة لتكون مركز إشعاع ديني ومعرفي على مدى الأزمان والقرون. وبطبيعة الحال فإن هذا الإشعاع يتأثر بعوامل عديدة يقوّى حين يسود البلاد الأمن والرخاء، ويضعف إذا اختلّ الأمن، وقست المعيشة فيها. كما أن للحالة السياسية والتشجيع من قبل الحكام وولاة الأمر دوراً فاعلاً لا يقل عن أي عامل آخر. والقرن الرابع عشر الهجري يمثل فترة زمنية سادها الأمن والرخاء فأصبح متميزاً بارزاً بين القرون))⁽⁶⁾.

الكتاتيب في مكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز:

أولاً: الكتاتيب الخاصة بالذكور:

كُتَّاب الشيخ عبدالله دهان:

وكان مقره في محلة النقا⁽⁷⁾، بداخل مسجد الأفغان سابقاً، ويدرس به القرآن الكريم والقراءة والكتابة، وكان به عدد من الطلاب يتراوح عددهم بين 25-35 طالب، وتبدأ الدراسة فيه من الصباح وتستمر إلى قبل أذان الظهر بنصف ساعة يصرف خلالها الطلبة الصغار ليذهبوا إلى منازلهم، أما الطلبة الكبار فيقومون لأداء الصلاة جماعة في المسجد، ثم ينصرفون إلى منازلهم لتناول طعام الغداء، ثم يرجعون إلى الكتاب لمواصلة الدراسة والتي تستمر حتى صلاة العصر. وقد استمر كتاب الدهان في أداء دوره حتى عام (1368هـ/1949م)، حيث أقفل نتيجة لتقدم الشيخ في السن، وسوء حالته الصحية وعدم وجود البديل الذي يقوم مكانه⁽⁸⁾.

كُتَّاب الشيخ محمد علي شمعة:

وكان مقره في منزل صاحبه بمحلة السليمانية⁽⁹⁾، ويقدر عدد طلابه بين 20-25 طالباً، ويدرس به القرآن الكريم والقراءة والكتابة، والحساب. والدراسة بالكتاب على فترتين صباحية، وفترة بعد الظهر، ويدرس بالفترة الصباحية عدد من الطلاب الذين لم يلتحقوا بالمدارس الحكومية.

أما فترة ما بعد الظهر فيقوم فيها الشيخ بمراجعة الدروس التي أعطيت للطلبة الملتحقين بالدراسة الحكومية صباحاً، وقد أقفل الكُتَّاب بابه في حوالي عام (1358هـ/1939م؛ نتيجة لمرض صاحبه وعجزه المبكر⁽¹⁰⁾.

كُتَّاب السيد عمر علي عشري:

ومقره في مسجد البدري بمحلة شعب عامر⁽¹¹⁾، وأسس والده السيد علي عشري في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ويدرس فيه القرآن الكريم تلاوة وحفظاً مع التجويد، إضافة إلى القراءة والكتابة وبه عدد من الطلاب يتراوح بين 50-60 طالباً، والدراسة في الكتاب على فترتين: الفترة الأولى من الصباح حتى قرب أذان الظهر ثم ينصرف الطلاب إلى منازلهم لتناول طعام الغداء، ثم يعودون لمواصلة الدراسة والتي تستمر حتى أذان العصر.

وقد تخرج من كُتَّاب العشري عدد كبير من أبناء البيوت المعروفة بمكة، أمثال الشيخ إبراهيم الجفالي، والشيخ أحمد الجفالي، والأستاذ عبدالله بوقس.

كُتَّاب الشيخ سعيد با حميش:

وقد تأسس في أواخر العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري، ويقع بمحلة المعابدة بمدخل حارة بيشة، والكتاب عبارة عن حجرة صغيرة مغطاة بالصفيح، بجوار دكان يبيع فيه علف المواشي، وعدد طلابه ثلاثة عشر طالباً. وقد أقفل الكُتَّاب حوالي عام (1356هـ/1937م).

كُتَّاب الشيخ إبراهيم الخلوصي الحلواني:

ويقع في باب الزيادة⁽¹²⁾ في ديوان كبير لأحد المنازل، وكان الشيخ يعلم فيه الخط والحساب

والإملاء، والدراسة في الكتاب تبدأ من الصباح إلى ما قبل صلاة الظهر يذهب بعدها الطلاب إلى منازلهم لتناول وجبة الغداء، ثم يعودون إلى الكتاب للدراسة إلى ما بعد صلاة العصر. ويبلغ عدد طلاب الكتاب بين 40 - 60 طالباً. وقد استمر الكتاب في وظيفته إلى منتصف الستينات من القرن الهجري⁽¹³⁾.

ثانياً: الكتابيب الخاصة بالفتيات:

كان الإقبال على التعليم ضعيفاً بين الأهالي وغالبية الملتحقين بالمدارس كانوا من غير أهالي البلاد من المقيمين والوافدين وذلك نتيجة لانعدام الحوافز والمشجعات والخضوع للأعراف خاصة في ما يتعلق بتعليم المرأة لأن معظم الأسر ترى أن تعليمها في بيتها ومعرفتها بالواجبات المنزلية تكفي لإعدادها كربة بيت وأم ولا حاجة لخروجها لطلب العلم وبالتالي يمكننا تتبع مراحل تعليم المرأة في السعودية رغم العوائق التي واجهت تعليمها مرحلة التعليم الأولي ويمكننا أن نطلق عليها مسمى بدايات تعليم المرأة في العهد السعودي، حيث بدأت المرأة تعليمها في بيوت أسر خصصت جزءاً من مسكنها ليكون كُتّاباً يستقبل الراغبات في تعلم القرآن الكريم وحفظه مع تعليم مبادئ القراءة. وقد ساهمت مجموعة من النساء المقيمات في مكة في تعليم النساء والفتيات من أهل الحجاز عن طريق فتح كتاب وذلك إما بتخصيص جزء من بيوتهن عبارة عن حجرة وملحقاتها لتكون مقرأً للتلقي ومن هؤلاء النسوة:

صولت النساء^(١٤): امرأة هندية قدمت مكة لأداء فريضة الحج وكانت من النساء المحبات للعلم وقد وهبت مالها في سبيل نشره فساهمت مع الشيخ محمد رحمة الله في بناء مدرسة للبنين وألحقت بها كُتّاباً للبنات والنساء.

السيدة الهزالية: أيضاً أنشأت كُتّاباً في باب الصفا^(١٤). السيدة آشية كان كتابها في حي المروة^(١٥). وهناك فقيهة في كُتّاب الشامية للنساء والبنات ولكن لم تحدد المصادر اسمها.

- الفقيهة فاطمة البغدادي: فتحت كُتّاباً في حي أجياد.
- الفقيهة فاطمة التركية: أيضاً فتحت كُتّاباً في حي أجياد.
- الفقيهة خيرية خوجة: كان لها كُتّاب في منطقة بئر بليلة^(١٦).
- الفقيهة آمنة هانم البورصلية التركية^(١٧): لها كُتّاب في منطقة بئر بليلة.
- الفقيهة منيرة السليمان: بالفلق. أم البنياري في الخندليسة بحي الشبيكة^(١٧).
- الفقيهة عائشة بخش: وتعرف بعيشة حدادة نسبة لعائلة زوجها بحي الشبيكة.
- الفقيهة خديجة: من بيت رضا في الهجلة بالمسقلة^(١٨).

والفقيهة جواهر جمالية: من بيت جمال. والفقيهة حرم الشيخ ياسين صاحب كُتّاب الشامية^(١٩).

عندما تشكل أول مجلس للشورى بمكة كان من أهدافه النظر في شئون التعليم وإصلاح حالة التعليم في المدارس الأهلية والكتاتيب البدائية من خلال زيارة الملك لها، والامر بإصلاحها^(٢٠) وسنتحدث عن بعض هذه الكتاتيب بشيء من التفصيل:

1_ كُتُب السيدة ماضي الدامغ:

وهي سيدة أصلها من عيزة بالقصيم، أنشئت كتابها في بداية النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، وكان مقره ببيتها في بئر الحمام بشعب عامر بمكة، ويختلف كتابها عن غيره بأن التدريس فيه من الفترة الصباحية من الساعة الثامنة، وحتى قبل صلاة الظهر، ويعتبر يوم الجمعة فيه اجازة للطالبات، وعدد الطالبات فيه يصل إلى عشرين طالبة⁽²¹⁾.

2_ كُتُب الاستاذة الهزالية:

كان تأسيسه في أواخر الأربعينات، وموقعه في الكندواني بالصفاء، وعدد طالباته من 30_40 طالبة، وكان يمتاز عن غيره من الكتاتيب بتدريس مبادئ اللغات الأجنبية مثل: الإيطالية والإنجليزية والأوردية، واستمر عدة سنوات ثم أقفل⁽²²⁾.

3- كُتُب الفقيهة رقية سمباوة:

تأسس عام 1348هـ/1929م بمنطقة بئر بليلة بأجياد، عدد طالباته 40-50 طالبة، واستمر هذا الكُتُب أكثر من 40 سنة.

4 - كُتُب فاطمة البغدادية:

تأسس في بداية العهد السعودي، وموقعه في جبل السبع البنات في أجياد، وكان عدد طالباتها يتراوح بين 50-60 طالبة، لا تزيد أعمارهن عن الثانية عشرة⁽²³⁾. وقد كانت للكتاتيب احتفالات معروفة. يقول الأستاذ فيصل مقادمي: «عرفت الكتاتيب نوعين من الاحتفالات الخاصة بتعلم القرآن الكريم وحفظه، وذلك عندما يتخرج الطلاب، وينهون حفظ القرآن، أو عندما يجتازون مرحلة ما في حفظ قدر محدد من سور القرآن. فإذا وصل الطالب إلى هذا الحد أقام أهله احتفالاً بهذه المناسبة، وكانت هذه الاحتفالات تسمى الصرافة و القلابة»⁽²⁴⁾. وقد كانت هناك كتاتيب متخصصة في تعليم الخط العربي مع تعليم بعض المواد الأخرى كالحساب. يقول الأستاذ محمد رفيع: «كما كان من وسائل التثقيف: ما يدعى بالخطاط يقوم بالمسجد الحرام» ويواصل حديثه قائلاً: «يجلس الأستاذ عند الباب، وأمامه صندوق صغير فيه ما يلزمه من أدوات الكتابة وترى التلاميذ منتشرين في الرواق الموالي للباب»⁽²⁵⁾.

ثم عرفت مكة المكرمة التعليم المدرسي فقد أنشئت مدارس لتعليم الطلبة وتدريبهم وقد كانت هذه المدارس ينشئها المحسنون من الأثرياء من بلاد الإسلام، وقد اشتهر من هذه المدارس: المدرسة الصولتية، ومدرسة الفلاح ودار العلوم الدينية، وغيرها من المدارس الأهلية التي أدت دوراً عظيماً في الحركة العلمية في مكة المكرمة.

يقول الأستاذ عمر عبد الجبار: « ولما تخرج الفوج الأول من علماء المدرسة الصولتية، ازدادت حلقات الدروس بالمسجد الحرام إذ عقد المتخرجون حلقاتهم في كل حصوة ورواق»⁽²⁶⁾. وهذه الحلقات كانت تستقبل المتخرجين من الكتاتيب ذات المدرس الواحد الشبيهة بالمدارس النظامية، وكان من أبرز تلك الحلقات: المسجد الحرام، ومسجد ابن عباس بالطائف، وقد كان الدارس في هذه الحلقات يتدرج إلى أن يصل إلى مرتبة العلماء في ذلك العهد. فإذا بلغ الدارس في تلك

المساجد المستوى المطلوب من الدراسة أعطته مشيخة العلماء إجازة التدريس بالمسجد بترشيح من شيخه، ويعد ذلك بمثابة شهادة، وتكون بتوقيع المشيخة وجميع علماء المسجد الكبار⁽²⁷⁾. وفي العهد السعودي المبارك انتشر التعليم في جميع أنحاء البلاد، وقد شهدت المملكة العربية السعودية نشاطاً علمياً عظيماً، فانتشرت المدارس والمعاهد والجامعات، وأصبح التعليم ميسراً للجميع وبالمجان، بل إن الجامعات تعطي الطلاب مكافآت تشجعهم على طلب العلم. وقد أشار الشيخ محمد طاهر الكردي إلى انتشار التعليم قائلاً: ((في العهد السعودي انتشر التعليم في جميع البلاد وكثرت المدارس كثرة فائقة وتطورت أمور التعليم تطوراً عجبياً في جميع مراحل⁽²⁸⁾). وبهذا ظلت مكة المكرمة - حرسها الله - مقصد الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي حيث يدرسون في المعاهد والجامعات. وبهذا يظهر لنا أن الحركة العلمية في مكة المكرمة لم تتوقف، بل استمرت وأخرجت الأجيال العلمية التي كان لها الفضل في انتشار العلم في بلاد المسلمين. وقد أشار إلى هذه الحقيقة الأستاذان محمد سعيد العامودي وأحمد علي بقولهما: ((إن حركة التعليم الديني في أم القرى لم تتوقف أو تضعف في أي عهد من العهود، برغم كل الظروف والأحداث والفتن، وإنما ظلت مستمرة مضيئة منذ القرن الهجري الأول إلى اليوم يعني القرن الرابع عشر وهذا من فضل الله))⁽²⁹⁾.

الحلقات العلمية في المسجد الحرام:

ارتبط التعليم الأهلي في الإسلام بظهور الدين الإسلامي، وكان من الطبيعي أن تكون مكة المكرمة أكثر أجزاء شبه الجزيرة العربية احتفاءً بالعلم، واتصالاً بالثقافات الأخرى⁽³⁰⁾. وذلك من خلال حلقات الدرس التي كانت توجد بالمسجد الحرام . فبعد أن أقرّ النظام العام للتدريس بالمسجد الحرام عام 1345هـ/1926م، والبدء في تنظيم الدروس بالحرم المكي الشريف ووضع الترتيبات النهائية للنظام عام 1347هـ/1928م، بزغت فكرة التعليم المهني الموجّه بإنشاء «مدرسة المطوفين» في 23 محرم 1347هـ/1928م، حينما أرسل الملك عبد العزيز إلى نائبه في مكة الأمير فيصل بن عبد العزيز⁽³¹⁾ يأمر بإنشاء مدرسة للمطوفين وأبنائهم للرفع من مستواهم المعرفي والسلوكي؛ ليكتمل للحرم المكي الشريف جانباه العلمي والتعبدي من حيث التنظيم⁽³²⁾. وقد ظلّت حلقات العلم بالمسجد الحرام خلال العهد السعودي تواصل دورها ونشاطها في خدمة العلم والعلماء ونشر الثقافة الإسلامية القويمة، وتدرّس العلوم الدينية والعربية، إلى جانب إمداد أجهزة الدولة الحديثة بما تحتاجه من موظفين أكفاء في القضاء والتعليم وغيرهما؛ لذلك فإن أكثر رجال الدولة الذين قامت على أكتافهم المهام الأولى للجهاز الإداري كانوا من خريجي حلقات العلم بالمسجد الحرام وقبل منتصف القرن الرابع عشر الهجري حينما دخلت مكة المكرمة تحت الحكم السعودي عام 1343هـ-1925م كان من أولويات المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود الاهتمام بالمسجد الحرام كجامع من خلال توسعته وتجديد بنيانه ، وكجامعة من خلال تنظيم التعليم به من خلال إصدار تنظيم خاص⁽³³⁾.

أما بالنسبة للتدريس والوعظ في الحجاز، فقد أمر الملك عبدالعزيز سنة (1345هـ - 1927م) بتشكيل هيئة علمية تشرف على سير الدروس بالحرمين الشريفين برئاسة سماحة الشيخ عبدالله بن بليهد⁽³⁴⁾ وعضوية مدير المعارف ومدير المعهد الإسلامي السعودي ومدير معهد الفلاح ونائب رئيس القضاء⁽³⁵⁾. وقد كان هذا النوع من التعليم منتشرًا في المملكة في عهد الملك عبدالعزيز وبخاصة في الفترة التي سبقت ظهور التعليم الحديث في منتصف القرن الرابع عشر الهجري. وقد ظهر ذلك في الأمر الملكي الذي أصدره الملك عبد العزيز آل سعود في ١٥ ربيع الآخر من عام 1345هـ/1926م، والذي أقر فيه نظام التدريس العام بالمسجد الحرام⁽³⁶⁾.

بصورة عامة يمكن القول إن لم يكن في الحجاز في مرحلة من المراحل إلا في الحرمين الشريفين أو الكتاتيب يجمع المدرسون طلابهم في حلقات على اختلاف أعمارهم في اروقة المسجد الحرام، ويعطونهم دروسا في علوم الدين واللغة بغير منهاج ثابت، وإذا أكمل الطالب دراسة الكتب التي يشرحها المدرسون تقوم هيئة العلماء بفحص هذا الطالب لمنحه إجازة التدريس⁽³⁷⁾. وقد عنيت الدولة السعودية منذ أوائل عهدها في مكة المكرمة بتنظيم الدروس في المسجد الحرام، فقد شكلت دائرة لرئيس القضاة تولى رئاستها الشيخ عبدالله بن بليهد.

وقد جاء في ذلك الامر ما يأتي:

1. تشكيل لجنة علمية برئاسة سماحة قاضي القضاة الشيخ عبدالله آل بليهد وعضوية كل من: الشيخ محمد كامل القصاب⁽³⁸⁾ مدير المعارف العمومية، والشيخ بهجت البيطار⁽³⁹⁾ مدير المعهد الاسلامي السعودي والشيخ عبدالله حمدوه السناري مدير الفلاح والشيخ امين فودة⁽⁴⁰⁾ نائب رئيس القضاة وتدعى هذه النخبة «الهيئة العلمية».
2. مهمة الهيئة العلمية هو الإشراف على سير الدروس في الحرم المكي؛ فهي التي تختار الكتب النافعة وتعين الاساتذة الأكفاء المشهود لهم بحسن السيرة.
3. تجتمع هذه الهيئة مرة واحدة كل نصف شهر، ولها أن تجتمع عندما تدعو الضرورة لذلك.

4. على المدرسين أن يبينوا أثناء تدريسهم البدع والخرافات التي أدت إلى تأخر المسلمين في الماضي.

5. لايجوز لأي من المدرسين أين يتغيبوا دون عذر شرعي، وإذا ارتكب أي مدرس مخالفه فإن « الهيئة العلمية » تنظر في أمره وتقرر ما تراه مناسباً⁽⁴¹⁾، وكان المدرسون يعينون بأمر ملكي بناء على ترشيح رئيس القضاة تقرر افتتاح مدرسة علمية دينية تدرس فيها العلوم الإسلامية لتخريج طلاب للعلم يصلحون للتدريس والفتيا، وسيتم اختيار أساتذة لهذه المدرسة من العلماء في المذاهب الاربعة، وقد خصص وقت من أوقات أساتذة هذه المدرسة العالية للتدريس في الحرم الشريف⁽⁴²⁾.

لقد ظلت حلقات التعليم في المسجد الحرام نشطة في أداء دورها العلمي والثقافي خلال العصور الإسلامية، ولايزال المسجد الحرام يلعب دوراً فعالاً في نشر العلوم الإسلامية والعربية.

ولقد ظلت الحركة العلمية في المسجد الحرام في العهد العثماني نشطة تؤدي وظيفتها العلمية، فلقد كان المسجد الحرام يزخر بالعلم والعلماء وطلابهم يدرسون فيه العلوم الدينية والأدبية واللغوية والتاريخية⁽⁴³⁾. وفي العهد السعودي الزاهر اهتمت الدولة منذ أوائل عهدها في مكة المكرمة على تنظيم الدروس في المسجد الحرام، وتجد هذه الاهتمام بصدر الأوامر الملكية التي تنظم عملية التدريس في المسجد الحرام⁽⁴⁴⁾. وقد أدت الحلقات العلمية في الحرم المكي الكثير من التطور والنهضة التعليمية التي ساهمت في نشأة التعليم وظهوره في الحرم المكي، والذي كان من أهم المنابر العلمية في عهد الملك عبدالعزيز «رحمه الله». إن الملك عبدالعزيز رغم محدودية المال وقلة الخبرات قد قام بأعمال عظيمة وجبارة في سبيل نشر العلم بين الناس ومن تلك الأعمال التي كان لها نصيب من اهتمامه الحلقات العلمية في الحرمين الشريفين. وقد تم تغيير غمط التعليم في الحرمين الشريفين بعد دخول الملك عبدالعزيز للحجاز. ومن هذا الجانب سيتم التطرق لأهم الحلقات التعليمية في الحرم المكي والحرم النبوي الشريف، وأهم علمائها في ذلك الوقت، والعلوم التي كانت تدرس في تلك الحلقات العلمية، وطرق الدراسة فيها، والدور التربوي لهذه الحلقات في الحرمين الشريفين. وتعتبر الحلقات العلمية هي المرحلة الثانية من التعليم التقليدي الموجود حينذاك، وكانت الكتاتيب هي المرحلة الأولى. وتقوم الحلقات العلمية على تجميع الطلاب حول أحد العلماء في داخل المسجد على شكل حلقات، وتكون الدراسة في هذه المرحلة أكثر تركيزاً على العلم المراد دراسته، سواءً في علوم الشريعة وبخاصة علوم القرآن الكريم أو اللغة العربية. وقد وجدت الحلقات العلمية دعماً وتشجيعاً من الملك عبدالعزيز وكان يحث على طلب العلم فيها في خطبه ورسائله حتى إنه وافق في عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م على رأي بعض العلماء بجعل عقاب على من كان يستطيع طلب العلم ولم يطلبه يتمثل في إبعاده عن محله إلى محل لا يرضاه، كما كان لا يتوانى عن الدعم المادي لجهود بعض العلماء الذين لهم حلقات علمية يكثر طلابها⁽⁴⁵⁾. وأما الحلقات في الحرم المكي الشريف فقد كانت كثيرة وزاخرة بالطلبة، ومن هذه الحلقات والكتاتيب كتاب الشيخ أحمد التيجي شيخ القراء بمكة المكرمة والشيخ المخللاتي والشيخ عيسى رواس والسيد محمد أمين كتبي والشيخ محمد مرداد والسيد محمد مصطفى العلوي الشنقيطي والسيد بكر الحبشي والشيخ محمد بن الماجد والشيخ محمد دردوم والشيخ حسن ولي والشيخ محمد ولي والشيخ محمود قاري، ومن أشهر الكتاتيب كتاب الشيخ عبد الله بن إبراهيم حمدو السناري والذي كان نواة لمدارس الفلاح التي أسسها الشيخ محمد علي زينل في كل من مكة المكرمة وجدة، وهذا دليل على قوة هذا الكتاب ثم انضم لهم كتاب الشيخ مصطفى محمد يغمور، وقد عين الملك عبد العزيز الشيخ عبد الله السناري إماماً للمسجد الحرام أثناء ذلك. وقد كانت العادة في مكة المكرمة إذا حفظ الشاب كامل القرآن الكريم يمنح الإجازة وسط حفل كبير في الحرم يحضره العلماء ويتناولون الزمزم والحلاوة البتاسا والدو واللبنية. وفي المدينة المنورة فقد كان شيخ القراء بها الشيخ حسن الشاعر، ومن الكتاتيب والحلقات المشهورة بها كتاب الشيخ السيد أحمد الفيض آبادي والشيخ أسعد الحسيني والشيخ العريف بن سالم والشيخ مصطفى

فقيه وكانت الجائزة لكل عشرة أجزاء ريال، فيحفظ الطلاب كل يوم لوح عبارة عن صفحة من المصحف ويراجعون ما يسمى بالدرس نصف جزء بالإضافة إلى مدرسة العلوم الشرعية، ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات فهي مدرسة قرآنية بالدرجة الأولى حيث خصصت (4) حصص للتحفيظ وحصتان للقواعد والحساب وغير ذلك. هذا غيض من فيض من الحلقات العامة في الحرمين الشريفين والتي شجعها ودعمها الملك عبد العزيز⁽⁴⁶⁾ وسيتم شرحها بالتفصيل في السطور التالية.

طرق التدريس في حلقات التعليم في المسجد الحرام:

وتسير طريقة التدريس في الحلقات العلمية في عهد الملك عبدالعزيز على الشكل التالي:

حيث يضع أحد التلاميذ وسادة يجلس عليها الشيخ الذي يستقبل القبلية في دروسه، ثم يجلس الطلاب حوله على شكل حلقة، ومن هنا جاءت تسمية هذه الدروس بالحلقات، ثم يبدأ الشيخ دروسه بالبسملة وحمد الله والثناء عليه، والصلاة على نبينا محمد ﷺ، ويختار الشيخ أحد التلاميذ المعروفين بجهارة الصوت، كي يقرأ بصوت مرتفع موجزاً عن الدرس السالف، ثم يبدأ الشيخ بعد ذلك. بشرح الدرس ويعتمد في درسه على كتاب معين، ويركز التلاميذ على الاستماع إلى شرح الشيخ، حيث يقومون بكتابة تعليقات الشيخ على النص في الحاشية، وعند اقتراب الشيخ من نهاية الدرس، يعطي تلاميذه فرصة لطرح الأسئلة⁽⁴⁷⁾. وكانت حلقات الدروس تضم طلاباً كباراً وصغاراً وتعمل في جميع الأوقات نهاراً وليلاً حتى منتصفه وفي تباكير الصباح وعقب كل صلاة. وذلك حسبما يحدده المعلم وكان كل من المعلم والطالب يحرص كل الحرص على أن يمثل الطهارة والنظافة والأناقة والفصاحة والخلق الكريم والتعاون الصادق. وكانت حلقات الدروس في كل مسجد وخاصة الحرمين الشريفين تتألف من عشرين إلى أكثر من مائة ومائتين أحياناً يتوسطها المدرس فوق سجاده وأمامه المقرئ الذي يبدأ بقراءة شيء من القرآن الكريم ومن ثم يتولى المدرس الشرح والتحليل من ذاكرته ثم يناقش طلابه ويرد على استفساراتهم. وكانت الحلقات الدراسية تعقد أيضاً في مجالس العلماء وفي دورهم وكانت عمليات التعليم تتم بين الناس بدون حاجة إلى تنظيم من السلطات أو انتظار لأموال تخصص لها أو صيغة تقتصر عليها أو مستوى تحصر نفسها فيه أو مكان تنعقد فيه دون غيره. وما كان المعلمون يتهالون على الحوافز والمكافآت التشجيعية عندما يقومون بعملهم كما لم يكن التعليم يكلف الكثير من النفقات، وكانوا يعتبرونها حسبة لوجه الله وتبرعاً منهم⁽⁴⁸⁾.

العلوم التي تدرس في حلقات التعليم في المسجد الحرام:

يزخر المسجد الحرام بحلقات علمية منتشرة في أرجائه وأروقته، ويدرس فيها العلوم الدينية كالتفسير والحديث والتوحيد والفقه، على المذاهب الأربعة، وعلوم اللغة العربية من البلاغة، والنحو والصرف⁽⁴⁹⁾. ولم يكن للدراسة في المسجد الحرام منهج محدد، وإنما كان كل مدرس يلقي على طلابه المواد التي برع فيها، وتحصل على شهادة من هيئة العلماء بعد اختبار في التفسير، والحديث، والفقه، وقواعد اللغة العربية⁽⁵⁰⁾.

إن الحلقات العلمية في الحرم المكي كانت مرتبطة بفقهاء المذاهب الأربعة تحديداً، قول جانبه الصواب، فالحلقات العلمية في المسجد الحرام لم تكن يوماً محصورة بتدريس الفقه؛ بل لم تكن محصورة بتدريس علوم الدين أصلاً، إذ كان يُدرّس فيها، إلى جانب الفقه، الكثير من العلوم الدينية المختلفة، مثل: علم القراءات، والتجويد، والتفسير، والحديث. والكثير من العلوم الدنيوية، مثل: علم الفلك، والأدب، والرياضيات، واللغة العربية، والشعر، والخط، والمنطق⁽⁵¹⁾.

أماكن وأوقات التدريس في الحلقات العلمية بالحرم المكي:

كان لمدرسي المسجد الحرام حرية اختيار مكان الحلقة داخل المسجد الحرام، فلم تكن هناك مواقع رسمية للمدرسين تحدد لهم، أما الأوقات فكانت بالنسبة للمدرسين الرسميين محددة حسب التكليف المُسلّم لكل منهم، وتبدأ دروس الحرم عادةً من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، وهو نفس التوقيت الزمني الذي كانت عليه خلال العهدين السابقين: العثماني والهاشمي ، ويلحظ هنا ارتباط الدروس بأوقات الصلوات بالمسجد الحرام ، فهناك درس بعد الفجر وآخر بعد العصر وثالث بين العشاءين وهكذا⁽⁵²⁾. وفي عام 1345هـ/1927م وضع نظام التدريس العام بالمسجد الحرام، وبه انتظمت مسيرة التدريس وعادت الحياة للحلقات العلمية في المسجد الحرام من جديد، لذلك يمكن تقسيم حالة التدريس بالمسجد الحرام في عهد الملك عبد العزيز إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى :

من عام 1343هـ/1925م إلى عام 1345هـ/1927م ، وظل التدريس بالحرم فيها على النظام السابق في العهد الهاشمي .

المرحلة الأخرى :

وتبدأ من عام 1345هـ/1927م التي أصدر فيها الملك عبد العزيز النظام العام للتدريس بالمسجد الحرام؛ والذي كان نتيجة لعدة اجتماعات عقدها الملك عبد العزيز بين علماء نجد وعلماء الحجاز⁽⁵³⁾.

ازدهرت حلقات العلم بالمسجد الحرام في القرن الماضي ازدهاراً عظيماً، جعل علماء الحرم المكي الشريف قبلة طلاب العلم في كل مكان، ومقصد طالبي المعرفة المباركة بشتى أنواعها؛ حيث كانت دروسهم عابقة بأروقة وحصوات المسجد ليلاً ونهاراً، وحلقات طلاب العلم لا تنفك تُعقد بكل ركن وزاوية في مختلف العلوم بمراحلها المتعددة ولشتى الأعمار⁽⁵⁴⁾.

لذلك فقد تميّزت حلقات العلم بالمسجد الحرام بتنوعها الثري على مدار العام، حيث أخذت الدروس فيها عدة أشكال، ولكل نوع منها مادته العلمية وأوقاته الخاصة به كالتالي :

1. حلقات الدروس العامة: وفيها تكون الدروس موجهة لعامة الناس، وللراغبين من طلاب العلم، فيحضرها جميع فئات المجتمع، وزمن هذه الدروس بين العشاءين من بعد صلاة المغرب حتى يحين وقت صلاة العشاء، وتدور مادتها حول الوعظ والإرشاد.
2. حلقات الدروس الخاصة: ويحضرها طلاب العلم الملازمين لمدرسي الحرم، وفيها تكون الدراسة لعلوم معينة، محددة ببرنامج علمي مخصوص.

حلقات الدروس التكميلية:

3. حلقات التعليم الوظيفي: وهي حلقات الدروس التي عقدت في المسجد الحرام؛ لأجل تأهيل العاملين في مجال الطوافة بالمسجد الحرام، وتثقيفهم بالعلوم الشرعية والإدارية التي يحتاجونها في عملهم وتعاملهم مع حجاج بيت الله الحرام ويحصلون بعد إتمام الدراسة في هذه الحلقات على إذن العمل بوظيفة «مطوف بالحرم».
4. حلقات الدروس الموسمية: وترتبط الدروس هنا بموسمي شهر رمضان، وأشهر الحج؛ لأن المسجد الحرام في هذين الموسمين يزدحم بالمعتمرين والحجاج (55).

نماذج من حلقات العلم وعلمائها في المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز:

حلقة الشيخ أحمد ناصرين:

وهو من علماء المسجد الحرام، من مذاهب الشافعية⁽⁵⁶⁾. ولقد تخرج من المدرسة الصولتية، وواصل دراسته بالمسجد الحرام وأخذ العلم عن مشائخه وعقد حلقة دروسه في الحصوة أمام باب الحكمة، وبجانبه حلقة الشيخ سالم شفى⁽⁵⁷⁾. ولقد كانت دروسه في الفقه وتفسير القرآن الكريم⁽⁵⁸⁾.

حلقة الشيخ جمال المالكي:

وينتمي شيخ هذه الحلقة إلى المذهب المالكي⁽⁵⁹⁾ في المسجد الحرام، وتوجد حلقة دروسه أمام باب الداودية، وباب إبراهيم، وأهم الدروس التي تتم في هذه الحلقة دروس الفقه المالكي، والحديث الشريف، والنحو⁽⁶⁰⁾.

حلقة السيد حسين بكرى شطا:

أحد علماء المذهب الشافعي بالمسجد الحرام، ومقر حلقة دروسه في حصوة باب الزيادة مما يلي المطاف، وكان يدرس في حلقة الفقه، والحديث الشريف، والسيرة النبوية، والنحو⁽⁶¹⁾.

حلقة الشيخ حسين عبدالغني 1308-1366هـ:

وهو ينتمي للمذهب الحنفي⁽⁶²⁾. عين في المعهد السعودي بمكة المكرمة وعضو بمجلس المعارف العامة ونائب مجلس المعارف⁽⁶³⁾، وحلقته تعقد بجوار باب العمرة في المسجد الحرام، وقد تخرج على يده الكثير من طلاب العلم، وكان يرحمه الله يدرس في حلقة عدة علوم وهي: تفسير القرآن الكريم، والحديث الشريف، وعلم الفرائض، والنحو⁽⁶⁴⁾.

حلقة عبد الستار الدهلوي (1286-1355هـ):

التحق بالمدرسة الصولتية، فأخذ العلوم المقررة فيها عن جهابذة علمائها ديناً وتقوى، وورعاً وزهداً. فلزم دروسهم واتخذهم نبراساً لحياته العلمية⁽⁶⁵⁾، وكانت حلقة الشيخ تعقد عند باب المحكمة الشرعية بعد صلاة العصر، وكان بعض طلابه يحضرون دروسه في خلوته برباط الداودية في الحرم المكي، فكان يدرسه في التفسير والحديث الشريف⁽⁶⁶⁾. ومن هنا تم معرفة كيف اهتمت المملكة العربية السعودية منذ سنوات تأسيسها الأولى بالتعليم الديني ونشره بين أفراد الشعب خاصة في بلاد الحرمين الشريفين، حيث حرص الملك عبد العزيز منذ اللحظات الأولى

لدخوله مكة المكرمة إلى عقد الاجتماعات بعلمائها ومناقشة مسيرة التعليم والدروس بالحرم المكي الشريف، ونتج عن ذلك عدة أنظمة تعليمية مهمة صدرت في شهور متلاحقة، وضحت المسيرة ورُسخت لمبادئ مهمة في تطوير التعليم ونهضته.

حلقة الشيخ عبد الظاهر أبو السمح:

هو عبد الظاهر بن محمد أبو السمح. إمام وخطيب المسجد الحرام ولد في بلدة تلين بمصر في عام 1300هـ/1882م من أسرة اشتهرت بتحفيظ القرآن الكريم - حفظ القرآن الكريم على يد والده وهو ابن التاسعة من عمره، التحق بالأزهر فقرأ الروايات السبع وحفظ مجموعة من الحديث والتفسير والفقه واللغة وغيرها، ثم طلبه الملك عبدالعزيز آل سعود فقدم إلى المملكة فشملة برعايته وعينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام، ثم أسس رحمه الله مدرسة دار الحديث بمكة - وقد كان الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة عوناً له في بث الدعوة والعناية بهذه الدار التي خرج منها الكثير من طلبة العلم - وما زال رحمه الله إماماً وداعياً إلى الله عز وجل إلى أن توفي بمصر عام 1370هـ/1950م⁽⁶⁷⁾. وكانت له حلقة يقوم بالتدريس فيها بعد صلاة المغرب في المسجد الحرام عند باب علي، في حصوة باب علي خاص بالتفسير والوعظ وخاصة أيام الحج⁽⁶⁸⁾.

حلقة الشيخ محمد سعيد 1281-1351هـ:

من علماء المذهب الشافعي بالمسجد الحرام، ومقر حلقاته في حصوة باب العمرة وكانت دروسه سهلة التناول قريبة إلى مدارك المبتدئين مثل: المقدمة الحضرمية ومتن أبي شجاع، وكانت دروسه تعقد بعد صلاة المغرب وهي لا تختلف عن دروسه بعد صلاة الصبح إلا باختلاف الطلاب⁽⁶⁹⁾، وقد قضى من عمره 30 عاماً في المسجد الحرام بين طلبة العلم ونشره إلى أن توفي عام 1351هـ/1932م⁽⁷⁰⁾.

حلقة الشيخ عبد الله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة المكرمة:

ويتبع المذهب الحنبلي⁽⁷¹⁾ ولد الشيخ عبد الله بمدينة عنيزة عام 1290هـ/1873م، وقد عقد حلقاته في المسجد الحرام بمكة المكرمة، وكانت حلقة درسه في رواق باب الزيادة وفي عام 1326هـ/1908م تولى الافتاء وإمامة المقام الحنبلي فظل رحمه الله في منصب الافتاء وبجانب التدريس والامامة إلى أول عهد الحكومة السعودية، ومن مؤلفاته: شرح مختصر على عقيدة الشيخ محمد السفاريني، رسالة جمع فيها أسماء كتب الحنابلة، وتوفي رحمه الله بالطائف في 31 ذي الحجة عام 1346هـ/1928م⁽⁷²⁾.

فكانت حلقات العلم والتدريس والرباطات والمدارس علامات على ازدهار الحضارة الإسلامية وتوالت اللقاءات بين العلماء في القرون التالية، وتوطدت دعائم حركة علمية وازدهار ثقافي⁽⁷³⁾. وهكذا يتضح الدور الريادي للمسجد الحرام، فكما كان دار عبادة كان صرحاً تربوياً وجامعة إسلامية تُلقى فيها الدروس، وينظم حلقات الدرس بها، طالبوا العلم وراغبوا الاستزادة من ينابيع المعرفة والذين كانوا ومازالوا عوناً في نشر رسالة الإسلام في مختلف بقاع الأرض المعمورة والتزود عنه ضد أعداء الدين وأعداء الله في كل العصور⁽⁷⁴⁾.

علماء المسجد الحرام:

أما التعليم في المسجد المكي الحرام، فالتعليم فيه شبيه بمجلس العلماء في الرياض الذي اهتم به الملك عبدالعزيز، منذ بداية المسيرة في تأسيس الدولة وبناء صرحها ولما دخل الملك عبد العزيز مكة المكرمة سنة 1343هـ/1925م بدأ بالاهتمام بالبيت الحرام⁽⁷⁵⁾. وقد أعقب الأمر الملكي السابق بأمر ملكي آخر صدر في شهر محرم سنة 1347هـ/1928م يعين فيه أسماء هيئة المراقبة والمدرسين بالمسجد الحرام في ما يلي نصه: نحن عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أمرنا بما هو آت: المادة الاولى: تتألف هيئة لمراقبة الدروس والتدريس في الحرم المكي أما المادة الثانية: فتكون هذه الهيئة تابعة لإدارة المعارف والمادة الثالثة: يعين حضرة الاستاذ الشيخ عبدالله بن حسن رئيساً لهذه الهيئة ويعين حضرات المشايخ الأتية اسمائهم أعضاء مراقبين وهم: الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ البيطار، والشيخ عباس صدقة، والشيخ جنان طيب والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ محمد نور هندي. المادة الرابعة: يعين حضرات المشايخ الآتية أسمائهم مدرسين في الحرم المكي حسب النظام الذي وضع وهم: الشيخ محمد علي التركي، والشيخ حسين عبدالغني، والشيخ محمد سياد، والشيخ جمال المالكي والشيخ عباس المالكي والشيخ حسن فلمبان والشيخ عبد الرحمن ابو حجر والشيخ سليمان أباضة وغيرهم الكثير، ثم المادة الخامسة: وفيها العلوم التي تدرس في الحرم وقد تم ذكرها سابقا، المادة السادسة: تعين مرتبات كافية للعلماء وغير الموظفين ومكافآت للموظفين منهم. المادة السابعة: يرتب لكل طالب خمسة ريالاً عربية في كل شهر وتمنح جوائز في آخر السنة للناجحين من الطلبة وذلك حسب النظام الذي تضعه مديرية المعارف المادة الثامنة: على النائب العام تنفيذ أمرنا هذا⁽⁷⁶⁾. ومن أهم هؤلاء العلماء الذين ظهروا في ذلك الوقت وسنقتصر على اربعة من هؤلاء العلماء فمنهم على سبيل المثال لا الحصر:

1 - الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ:

هو عبدالله بن حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ رئيس القضاة وإمام وخطيب المسجد الحرام ولد في الرياض عام 1278هـ/1862م، ونشأ في حجر والده، حفظ القرآن الكريم وهو في سن العاشرة من عمره تردد على حلقات ودروس علماء أجلاء منهم والده والشيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ محمد بن محمود وغيرهم وذلك في علوم التوحيد والتفسير، والحديث والفقه وأصوله، والفرائض والنحو حتى بلغ في ذلك مكانة طيبة، وعينه الملك عبدالعزيز إماماً وواعظاً في مسجد والده ثم عينه إماماً وخطيباً في المسجد الحرام عام 1344هـ/1925م⁽⁷⁷⁾، ثم أسند إليه رئاسة القضاء ورئاسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. كما أسند إليه تعيين واختيار أئمة المساجد ومع ذلك فقد كان يقوم بالتدريس بالمسجد الحرام وأسند إليه الملك زيادة على ذلك الاشراف على الحرمين الشريفين والمدرسين فيهما، وقد توفي سنة 1378هـ/1958م عن واحد وتسعين عاماً امضاهما في نشر العلم وبث الدعوة وخدمة الاسلام ونصرة الدين واستمر في نشر العلم حتى وفاته⁽⁷⁸⁾؛ لذا كان للعلماء المقام الأول عند الملك عبدالعزيز؛ فكان يقدمهم على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه، يصغي إلى آرائهم ويبالغ في إحترامهم⁽⁷⁹⁾.

2 - الشيخ علوي المالكي:

ولد بمكة المكرمة عام 1335هـ/1907م تعلم على يد والده الشيخ /عباس مالكي، فحفظ القرآن الكريم، ودرس في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، وحضر العديد من الحلقات العلمية في المسجد الحرام، وبعد تخرجه من مدرسة الفلاح عين مدرسا بها، كما عين إلى جانب ذلك مدرسا بالمسجد الحرام عام 1347هـ/1928م وظل في خدمة العلم طوال حياته حتى وفاته عام 1391هـ/1971م في عهد الملك فيصل⁽⁸⁰⁾.

3 - عبدالله بن محمد الخليلي:

هو عبدالله بن محمد بن عبدالله الخليلي إمام وخطيب المسجد الحرام ولد في البكيرية عام 1342هـ / 1923م، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ علم القراءات عن الشيخ سعد وقاص واتجه إلى دراسة الفقه والتفسير والحديث والفرائض واللغة العربية على يد العديد من المشايخ، وجمع بين الدراسة الحديثة في مدرسة تحضير البعثات بمكة المكرمة وحلقات العلم وقد حصل على شهادة التدريس في المسجد الحرام من رئاسة القضاء بمكة المكرمة. عين مديراً للمدرسة العزيزية بمكة المكرمة ثم إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام عام 1373هـ/1953م⁽⁸¹⁾، ويعد العلماء الضلع الثاني في إثراء الحركة الثقافية، وقد حفلت مكة المكرمة بمجموعة كبيرة من العلماء الذين أسهموا بدور فعال في تدريس العلوم الشرعية والعربية للطلاب، وكذلك قاموا بتأليف مجموعة كبيرة من الكتب من صنوف المعارف المختلفة⁽⁸²⁾.

4 - محمد عبدالرزاق حمزة المصري 1308-1392هـ:

هو محمد بن عبدالرزاق بن حمزة المصري ثم المكي عالم فاضل ومدرس بالمسجد الحرام ودار الحديث بمكة المكرمة⁽⁸³⁾. ولد بقرية كفر الشيخ عام 1308هـ/1890م بالقليوبية بمصر وحفظ القرآن الكريم ومجموعة من مبادئ العلوم العصرية مثل الحساب والخط والإملاء، ثم التحق بالمدرسة الأميرية، ثم التحق بالأزهر فمكث فيه خمس سنوات درس خلالها على علمائه النحو والصرف، والفقه وعلم المعاني والبيان، ثم قرأ على الشيخ مصطفى القياي في العربية وغيرها. وكان كثير التردد على دار الكتب المصرية، ثم تحول إلى دار الدعوة والإرشاد التي أنشأها السيد رشيد رضا فدرس فيها ما كان مقررا من العلوم ثم لازم السيد محمد رشيد رضا وصار معاوناً له في تصحيح ما يطبع في مطبعة المنار من الكتب العلمية مع ملازمته حضور دروسه. كما لازم الشيخ عبد الظاهر أبو السمع والذو وجهه إلى قراءة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية - وفي عام 1344هـ/1925م قدم مكة للحج وتشرف بلقاء الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله برفقة السيد محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الظاهر أبو السمع، ثم عاد إلى القاهرة وتأهب للعودة إلى مكة المكرمة⁽⁸⁴⁾ فوصلها عام 1345هـ/1926م، حيث تم تعيينه مدرساً بالمسجد الحرام والمعهد السعودي والتقنى بالشيخ ابن السندي أحد علماء الهند فقرأ عليه في الحديث وكتب السنة ثم انتقل إلى المدينة المنورة إماماً وخطيباً بالمسجد النبوي، ثم تحول مرة أخرى إلى مكة المكرمة عام 1348هـ/1929م، حيث تم تعيينه مدرسا بالمسجد الحرام والمعهد السعودي في الحديث والعقائد.

كما عمل بدار الحديث التي شارك في إنشائها وقد توفي رحمه الله عام 1392هـ/1972م. ومن مؤلفاته: (حول ترحيب الكوثري، رسالة في الصلاة، الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال، المقابلة بين الهدى والضلال⁽⁸⁵⁾). وبقي التعليم في مكة المكرمة في العهد السعودي يتلخص في طلب العلم في حلقات الدروس التي ينظمها العلماء في المسجد الحرام أو المدارس الأهلية التي ينشئها المحسنون لإيواء الطلبة أو تدريسهم وفي بعض دور العلماء الذين كانوا يمنحون طلبتهم دروساً خاصة⁽⁸⁶⁾.

كان العلم من أول اهتمامات الملك عبد العزيز حيث أمر بإنشاء مديرية المعارف في غرة رمضان المبارك من عام 1344هـ/1925م، وأُنيط بها الإشراف على التعليم تخطيطاً وتنظيماً وتنفيذاً. ولقد حرصت الحكومة السعودية على أن تشرف على المدارس الأهلية فقد عيّنت مديرية المعارف العمومية بتوحيد مناهج المدارس الأهلية والحكومية وألزمت جميع مدرسي المدارس الأهلية بعدم مزاوله التدريس إلا بعد قيد أسمائهم لديها ومنحهم رخصة بمزاولة المهنة. وفي عام 1349هـ/1930م قد تم عمل جمعية «نهضة الامة» تبين فيها أن الهولنديين تلقوا العلوم الشرعية في الحجاز⁽⁸⁷⁾.

وفي عام 1357هـ/1938م صدر نظام المدارس الأهلية⁽⁸⁸⁾ الذي اشتمل على الأمور التالية:

1. يسعى هذا النظام نظام المدارس الأهلية في المملكة العربية السعودية ويقصد بالمدسة كل مؤسسة أعدت للتعليم والتدريس، وكانت مستوفية للشروط الصحية والأخلاقية.
2. يشترط فيمن يريد فتح مدرسة أهلية أن يكون مسلماً وأن يكون ممن عُرفوا بحسن السيرة والسلوك، وعليه أن يقدم مع طلبه نسخة من المنهج الدراسي الذي ينوي تطبيقه في مدرسته.
3. على مؤسس المدرسة أو مديرها أن يتقيد تقيداً تاماً بما يرد إليه من تعليمات من قبل مديرية المعارف العمومية.
4. يجب أن يكون مدير المدرسة سعودي الجنسية، وهو مسؤول عن تنفيذ جميع التعهدات التي تعهد بها المؤسس لمديرية المعارف.
5. لا يجوز للمؤسس أو المدير تعديل المناهج التي أقرتها مديرية المعارف دون أخذ موافقة مجلس المعارف.
6. على جميع المدارس التي تأخذ من الدولة مساعدات مالية سنوية تطبيق المنهج الدراسي الابتدائي المعمول به في مدارس المديرية عدا الفقه فيباح تعليمه على أي مذهب من المذاهب الأربعة.
7. على مدير أو صاحب كل مدرسة أهلية تقديم تقرير سنوي لمدير المعارف في بداية العام الدراسي الجديد يتضمن عدد المعلمين وشهادة كل منهم، وتقديم تقرير آخر في نهاية العام الدراسي يوضح سير الدراسة خلال ذلك العام⁽⁸⁹⁾. وهذا النظام الخاص بالمدارس الأهلية يدل على اهتمام الدولة السعودية منذ سنواتها الأولى (في عهد مديرية المعارف) بالتعليم الأهلي والحفاظ عليه، وعلى سير نظام الدراسة فيه، فالمدارس التي كانت تُطبق مناهج مدارس مديرية المعارف كانت تتسلم معونة مالية سنوية.

المدارس الأهلية في مكة المكرمة:

حظيت المدارس في الحجاز^(90*) اهتمام الحكومة الحجازية النسبي قياساً على ما كانت عليه في السابق. إذ لم يكن هناك على حد قول الحجازيين اثر واضح للمدارس المتقدمة، عدا بعض المدارس الابتدائية البسيطة التي لم تف بالغرض المطلوب، رغم تأسيس المدرسة الحكومية في المدينة المنورة التي امتازت بنشاطها عن المدارس الأخرى. أما المدارس الأهلية فقد كانت مع قلة عددها لا تتجاوز خمس مدارس خلوها من مناهج التعليم والدراسة⁽⁹¹⁾.

بيد ان الحال تغيرت في المملكة الجديدة، ولعل ذلك يتضح من خلال المدارس التي اسست في هذا العهد والمدرسين والمعلمين المنسبين لها وبالذات في السنوات الاولى من العهد الاخير⁽⁹²⁾. إذ اصبح للتعليم والمعارف وزارة خاصة كما تبين لها مجلس خاص اطلق عليه (مجلس المعارف) للإشراف على مناهج التدريس وتوحيدها الى جانب البرامج الدراسية التي تسير وفقها مدارس المملكة⁽⁹³⁾. وشكلت لجنة عليا لنفس الغرض من اجل تقرير الكتب الدراسية⁽⁹⁴⁾.

تعود المدارس الأهلية في المملكة إلى وقت قديم جداً، وبخاصة في الحجاز، لوجود عدد لا بأس به من العلماء، الذين جعلوا من بيوتهم والمساجد أماكن للدرس، ومنذ دخول الملك عبدالعزيز الحجاز كانت ثمة مدارس أهلية كـ«الصولية»، و«الفخرية»، و«الفلاح»، شجعها الملك المؤسس حتى بلغت نحو 20 مدرسة أهلية في عهده⁽⁹⁵⁾.

نماذج من المدارس الأهلية في مكة المكرمة في عهد الملك عبدالعزيز:

ربما يعود ظهور المدارس الأهلية في مكة المكرمة إلى طبيعة هذه المدينة المقدسة باحتوائها أهم المعالم الدينية لدى المسلمين مما جعلها مصدر يجذب الناس من كل صوب فاستقطنوا الكثير من العلم والمعرفة في مكة المكرمة وقدموا خدمات جليلة وعظيمة في سبيل نشر العلم وتعليم الدين الاسلامي⁽⁹⁶⁾، ومن أشهر المدارس التي نشأت في أواخر العهد العثماني واستمرت إلى العهد السعودي، سنتطرق لها في هذا البحث بحول الله وقوته، وهناك مدارس نشأت في عهد الملك عبدالعزيز بعد إنشاء مديرية المعارف في مكة المكرمة. وتحاول الباحثة إعطاء نبذة موجزة عن أهم المدارس الأهلية التي ظهرت في عهد الملك عبدالعزيز، وهي كالتالي:

1 - المدرسة الصولتية في عهد الملك عبدالعزيز:

وحول تأسيس هذه المدرسة، يذكر أنها تأسست في السبعينيات من القرن التاسع عشر الموافق لعام 1300هـ⁽⁹⁷⁾، والمدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسست على يد العلامة المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي⁽⁹⁸⁾ صاحب كتاب إظهار الحق⁽⁹⁹⁾، وتعد المدرسة «الصولتية»⁽¹⁰⁰⁾ في مكة المكرمة إحدى أقدم المدارس على مستوى السعودية والعالمين العربي والإسلامي؛ حيث تتكون من مجموعة «كتاتيب» تتسم ببساطة فصولها، وحلقات ذكراها، وجلوس طلابها على الأرض، وكان ممن التحق بهذه المدرسة احمد الكاظمي، مع أخويه محمد علي، وعبد الحميد عام 1333هـ/1914م. والهدف الرئيسي من إنشائها نشر العلوم الدينية بين الهنود الذين استقروا بالديار المقدسة بذلك الوقت وقد تأسست المدرسة قبل 146 عاماً من خلال مبادرة شخصية

لمؤسسها الأول الشيخ محمد، وهي تهتم بتحفيظ القرآن، وتجويده وتعليم المبادئ الأولية في كتب الشريعة⁽¹⁰¹⁾. وظل الشيخ- محمد رحمه الله مديراً لها إلى وفاته عام ١٣٠٨ هـ/ 1890م، فخلفه ابنه- محمد سعيد إلى عام ١٣٤٤ هـ/ 1925م، وخلفه ابنه محمد سليم رحمه الله، وموقعها الحالي بحي الكعكية بمكة المكرمة. ولما زارها الملك عبدالعزيز رحمه الله في 28-6-1344 هـ- 13-1-1926م، قال: أن المدرسة الصولتية أزهر بلادي، ومن أقدم المدارس الأهلية التي أنشئت في عهد سابق لقيام الدولة السعودية واستمرت في أداء مهماتها في العهد السعودي المدرسة الصولتية بمكة⁽¹⁰²⁾.

كانت الدراسة إلى عام ١٣٢٥ هـ/ 1907م منذ الصباح حتى أذان العصر، ومدة الدراسة لا تقل عن ساعات، ولم تكن بها فصول دراسية، بل يقرر كل طالب الكتب المناسبة له على ضوء ما لديه من معلومات، وكان يدرس بها العلوم العقلية إضافة للعلوم الشرعية، وفي عام 1325 هـ/ 1907م أحدث نظام الفصول الدراسية، وكان بها القسم التحضيري. ومدة الدراسة به ٤ سنوات، القسم الابتدائي: ومدة الدراسة به ٤ سنوات. القسم الثانوي: ومدة الدراسة ٤ سنوات. القسم العالي: وكان يعرف بالقسم التكميلي. ومدة الدراسة سنتان. ويبدو أن منهج المدرسة الصولتية كان يتأثر بمنهج المدارس الإسلامية بالهند، وكانت المدرسة تهتم بالاختبارات الشهرية، وكان نظامها يتسم بالمرونة بالنسبة للفترة الزمنية التي ينبغي للطالب أن يتم فيها دراسته. وفي عام ١٣٧١ هـ/ 1952م تم دمج المرحلة التحضيرية مع الابتدائية أسوة بالمدارس الحكومية، وحدثت عدة تعديلات على المناهج ومدة الدراسة بالأقسام المتقدمة وكانت تضم عام ١٣٩2 هـ/ 1972م (٢٧١) طالباً⁽¹⁰³⁾.

2 - مدرسة إندونيسيا المكية: (1346هـ/1928م):

أسسها الشيخ جنان محمد طيب من علماء المسجد الحرام بمكة المكرمة، وهو من أصل أندونيسي⁽¹⁰⁴⁾. ولد فيها وتعلم، ثم سافر إلى مصر، وحصل على شهادة العالمية بتفوق، ثم قدم لمكة واستقر فيها، وأسس المدرسة عام 1346 هـ/ 1928م في دار الشيخ محمد نور سالم خالدي بمحلة القرارة بمكة المكرمة. كانت المدرسة تتلقى معونة مالية من رابطة العالم الإسلامي، وقد ذكرها خير الدين الزركلي في كتابه ضمن المدارس الأهلية التي لها الفضل في بداية النهضة التعليمية التي تعيشها المملكة العربية السعودية اليوم، وأن تمويل هذا التعليم يكون من خلال منح الأوقاف المكرسة لهذه الغرض⁽¹⁰⁵⁾.

3 - مدرسة النجاح الليلية: (1350هـ/1931م):

أسسها الأستاذ عبد الله أحمد خوجة، وهو من كبار المربين في الحجاز، ولد في مكة وتعلم في كتابتها ثم أتم تعليمه في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة وبعد تخرجه منها رغب في مهنة التدريس، فدرس في عدد من مدارس مكة الأهلية ونتيجة لحبه مهنة التدريس بالإضافة إلى وجود عدد كبير من الأميين من كبار السن من العمال والباعة والتجار والذين هم في حاجة إلى التعليم ومعرفة القراءة والكتابة بدأ بتأسيس أول مدرسة ليلية في المملكة هدفها مكافحة الأمية. كان مقر المدرسة منذ افتتاحها في نفس مبنى (مدرسة دار الفائزين) بمسيال المسفلة، ثم انتقلت إلى زقاق اللبان بالمدعى ثم إلى أجياد فالصفا واستقر بها المقام أخيراً في شعب علي⁽¹⁰⁶⁾.

4 - مدرسة دار الحديث (1352هـ/1933م):

أسسها بعض علماء المسجد الحرام، وذلك لما رأوه من قلة الاعتناء بالحديث وعلومه في المدارس، وتبنى دراسة هذه الفكرة وإبرازها إلى حيز الوجود الشيخ عبد الظاهر أبو السمح⁽¹⁰⁷⁾. فوضع نظام الدراسة بهذه الدار واللائحة الداخلية التي تنظم الأعمال فيها. بدأت الدراسة في دار الحديث عند افتتاحها في بيت مستأجر بالقشاشية بمكة، ثم انتقلت بعد ذلك في عدة مبان كلها مستأجرة حتى استقر بها المقام أخيراً في أحياء بئر بليلة في مبنى موقوف عليها والآن بحي العوالي الشارع العام الطالع للطائف الهدا. فكر في إنشاء هذه الدار بعض علماء المسجد الحرام، وذلك لما رأوه من قلة الاعتناء بالحديث وعلومه في المدارس، وتبنى دراسة هذه الفكرة وإبرازها إلى حيز الوجود الشيخ عبد الظاهر أبو السمح وهو من أهل مصر، درس في معاهدها، ثم درس فيها وأسس «جماعة أنصار السنة»، ولقد أؤذي في سبيل الدعوة إلى توحيد الله، فصر على الأذى، ثم استدعاه الملك عبد العزيز آل سعود إلى مكة المكرمة، وعينه إماماً وخطيباً ومدرساً بالمسجد الحرام. ثم وضع نظام الدراسة بهذه الدار، واللائحة الداخلية التي تنظم الأعمال فيها⁽¹⁰⁸⁾. وفي يوم الاثنين الموافق 12 ربيع الأول عام 1352هـ/1933م، بدأت الدراسة بدار الحديث في صفين دراسيين: الصف التمهيدي، والصف العالي، وذلك لدراسة كتب الحديث الستة «صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه»، إلى جانب دراسة القرآن الكريم، والتفسير والتوحيد، وأصول الحديث والفقه، وقواعد اللغة العربية. وبدأت الدراسة في دار الحديث عند افتتاحها في بيت مستأجر بالقشاشية⁽¹⁰⁹⁾ بمكة المكرمة ن ثم انتقلت بعد ذلك في عدة مباني كلها مستأجرة حتى استقر بها المقام أخيراً في أحياء بئر بليلة⁽¹¹⁰⁾ في مبنى موقوف عليها، وقد هدم هذا المبنى قريباً وبدئ من عام 1405هـ/1985م ببناء مدرسة ومسجد وسكن للطلاب في نفس المكان على نفقة ومساعدة أهل الخير وأهداف الدار التي أسست من أجلها: إيجاد طلبة علم لهم إلمام ودراية بدراسة علوم القرآن الكريم، والحديث الشريف وعلومه. ونشر الوعي الإسلامي وترسيخ العقيدة الإسلامية بين الطلاب⁽¹¹¹⁾.

5 - مدرسة دار العلوم الدينية (1353هـ/1934م):

أسسها السيد محسن بن علي المساوي، وهو من أصل حضرمي، ولد في مدينة فلمبان في جنوب شرق آسيا عام 1323هـ/1905م، والتحق بالمدرسة الصولتية، فأخذ العلم من علمائها حتى تخرج منها، ثم عين مدرساً فيها بالإضافة إلى أنه كان يلقي دروساً في منزله. كان مقر المدرسة في (شعب علي)⁽¹¹²⁾ بجوار مولد علي كرم الله وجهه.

مدرسة دار العلوم الدينية ذات مراحل متعددة فكانت عند تأسيسها تشمل المراحل التالية:

1. المرحلة التحضيرية: ثلاث سنوات دراسية.
2. المرحلة الابتدائية: أربع سنوات دراسية.
3. المرحلة الثانوية: ثلاث سنوات دراسية.
4. المرحلة العالية: مدة الدراسة بها سنتان. وفي عام 1353هـ/1934م، أسس مدرسة «دار

العلوم الدينية» وكان الدافع لتأسيسها هو تحقيق رغبة معظم جاليات جنوب شرق آسيا، المقيمين في مكة المكرمة والتي كانت المدرسة الصولتية تكتظ بهم، ولتكون لأبناء الأمة الإسلامية داخل وخارج المملكة العربية السعودية، وخاصة أبناء شعوب جنوب شرق آسيا⁽¹¹³⁾. وهناك خطاب صادر من المفوضية الهولندية بجدة حول التعليم في مكة المكرمة، ولاسيما المؤسسات التعليمية الإندونيسية، والتي تعنى بالعلوم الشرعية في مكة المكرمة وقد انتشرت الجاليات الإندونيسية في مكة من عام 1929م حتى عام 1939م⁽¹¹⁴⁾. وفي عام 1362هـ/1943م ألغيت المرحلة التحضيرية، وأدمجت في المرحلة الابتدائية التي أصبحت مدة الدراسة بها ست سنوات وبقيت مدة الدراسة في كل من المرحلتين الثانوية والعالية على ما كانت عليه، ولكن أصبحت تسبق المرحلة الثانوية سنة واحدة أطلق عليها السنة الإعدادية أو التجهيزي. وكان هدفها منذ إنشائها العمل على نشر تعاليم الدين الإسلامي، وعقيدة السلف الصالح، فهي تعني بغرس حب القيام بالواجبات الدينية في قلوب طلابها، وقد اقيم حفل في هذه المدرسة في عام 1373هـ/1935م⁽¹¹⁵⁾.

6 - مدرسة دار الأيتام: (1355هـ/1936م):

وقام بتأسيس «دار الأيتام» مهدي المصلح مدير الأمن العام سابقاً، وساعده في تأسيس هذه الدار العقيد علي جميل⁽¹¹⁶⁾، وكان ذلك عام 1355هـ/1936م أنشئت هذه الدار في إحدى البنايات المستأجرة، ثم بنى لها بناية في أجياد مكونة من ثلاثة أدوار التحق بها في سنتها الأولى ما يقرب من خمسين طفلاً، وتتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والثانية عشرة، وكان الهدف من إنشاء هذه الدار رعاية الأيتام والاهتمام بأمورهم، وقد افتتحها الملك عبدالعزيز «رحمه الله» بعد حج عام 1357هـ/1938م، وكانت في بداية أمرها مكونة من دورين، ثم بنى بعد ذلك دور ثالث وافتتحه الملك عام 1359هـ/1940م⁽¹¹⁷⁾.

شروط قبول الطلاب في الدار:

1. أن يكون الطالب فقيراً ويتيم الأب.
 2. ألا يقل سنه عن سبع سنوات ، ولا يزيد ع خمس عشرة سنة.
 3. أن يكون سعودي الجنسية.
 4. أن يكون سالماً من الأمراض المعدية.
 5. على ولي أمره أن يوقع لدى التحاق الطالب بالدار على ما يفيد اطلاعه وقبوله للشروط الآتية:
- عدم خروج اليتيم لزيارة ولي أمره أو أقاربه إلا مرة واحدة في الأسبوع.
 - يدرس اليتيم في الدار حتى يتم دروسه .
 - لا يمكن خروجه قبل إكمال الدراسة، وإذا خرج فولي أمره يتولى دفع النفقات التي صرفت عليه.
 - دار الأيتام ليست مسئولة عن قرار اليتيم.

ومن هذه الشروط يظهر اهتمام الدار بتربية وتعليم الطفل اليتيم فتوفر له السكن والإعاشة والتعليم مجاناً⁽¹¹⁸⁾.

7 - مدرسة دار السلام الأهلية (1365هـ):

مؤسس هذه المدرسة، هو الشيخ محمد سلامة الله، وهو من مواليد دكا عام (1325هـ/1907م) درس بالمسجد الحرام، ثم التحق بمهنة التدريس فأسس عام (1365هـ/1946م) مدرسة دار السلام الأهلية بحي المسفلة، وبقي مؤسس المدرسة مديراً لها حتى وفاته (1383هـ/1963م) فخلفه في إدارة المدرسة ابنه محمد صديق سلامة الله⁽¹¹⁹⁾. بدأت المدرسة منذ افتتاحها بالصف الأول الابتدائي فقط وتسير المدرسة منذ إنشائها وفق مناهج المدارس الحكومية، ولقد واجهت المدرسة عدة مشاكل منها: ضيق المبنى، ونقص الأثاث⁽¹²⁰⁾. ولقد حظي التعليم الأهلي بنصيب في سياسة التعليم في عهد الدولة السعودية الثالثة، وهذا ما لاحظناه في سطور هذا البحث من اهتمام الملك عبدالعزيز بالمدارس الاهلية ونشأتها وتطورها، ولم يكن الحرم الشريف وحده ملتقى العلم بل هناك أماكن أخرى يمكن اعتبارها مؤسسات علمية أدت دورها في الحركة الفكرية العلمية، ومنها المدارس الاهلية السابق ذكرها⁽¹²¹⁾. وقد كان الملك عبد العزيز يؤكد على العلماء الاهتمام بالتعليم، إضافة الى دعمه المادي والمعنوي، فأمر بتوفير الكتب الدينية وطباعتها على حسابه الخاص⁽¹²²⁾، وتوزيعها على طلاب العلم في جميع المناطق، ورتب المخصصات للعلماء والمدرسين، والوعاظ، والمرشدين، ومنح المكافآت لطلاب العلم، فكان لهذا كله أثره الكبير على السكان الذين اندفعوا بكل عزيمة وجد واجتهاد؛ لينهلوا من منابع العلم والمعرفة. وفي الحجاز كان التعليم يتشكل من ثلاثة عناصر رئيسة هي:

1. التعليم في الحرمين الشريفين.

2. المدارس الحكومية.

3. النشاط الأهلي المتمثل في الكتاتيب. مع ملاحظة أن هذه المدارس لم تكن راقية في مستواها العلمي؛ حيث كانت أشبه بالكتاتيب أما بالنسبة لمدارس تعليم البنات، فقد أفادت المصادر أن أول مدرسة نظامية حديثة للبنات فتحت في شبه الجزيرة العربية هي مدرسة البنات الأهلية بمكة المكرمة عام 1362هـ/1943م، وكانت هذه المدرسة تتلقى من وزارة المعارف - قبل إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات - إعانات مالية، وبعض الأثاث المدرسي إلى جانب الرسوم الدراسية التي تدفعها الطالبات، ثم أسست مدرسة الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي بمكة المكرمة عام 1367هـ/1947م، وسارت حسب مناهج مديرية المعارف ثم وزارة المعارف مع تعديل طفيف؛ إذ استبدلت مادة الرياضة البدنية بمادة التربية المنزلية. وأسست مدارس أهلية أخرى لتعليم البنات في أنحاء المملكة، منها مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بالرياض عام 1370هـ/1950م، ومؤسسة الثقافة الشعبية بجدة عام 1371هـ/1952م. وقد خضع تعليم الفتاة قبل إنشاء الرئاسة العامة لتعليم البنات وإشراف الدولة المباشر على تعليم البنات، لاجتهادات بعض الاهالي أفرادا وجماعات⁽¹²³⁾ وسيتم التحدث عنها بالتفصيل في السطور التالية.

دور المدارس الأهلية في التجديد التربوي:

المملكة منذ توحيدها على يد المؤسس الملك عبد العزيز «رحمه الله» حرصت على أن تأخذ مبدءاً توفير التعليم للجميع لكي يتسنى للبلاد اللحاق بركب الحضارة المتقدم، فأنشأت المدارس، وجودت المناهج والبرامج، وأحكمت النظم والسياسات، ونتيجة لذلك شهد قطاع التعليم تطوراً كبيراً، وتوسعا عظيماً في مختلف مراحل ومجالاته، وحرصت المسؤولين أن يحقق التعليم التنمية البشرية الفاعلة، وهذا ما شاهدناه في المصادر التي تحدثت عن التعليم الاهلي في المملكة⁽¹²⁴⁾.

المدارس الاهلية للبنات في مكة المكرمة:

أمر الإسلام بتكريم المرأة، حتى أصبحت تستفتى في أمور الدين، فتحدثت فيما تعتقد أنه الصواب. وشاركت في تحمل مسؤوليات المجتمع، وشاركت في نشاطات مجتمعتها المختلفة. وقد تبوأ مرتبة عالية بشهادة عدد كبير من مصادرنا الاسلامية والتاريخية وقد أطلقت على كثير من نساء هذا العصر ألقاب منها: الشيخة، الفاضلة، الفقيهة، الخيرة. وقد مر تعليم الفتاة بثلاث مراحل: مرحلة الكتاتيب، مرحلة المدارس الاهلية، قيام الرئاسة العامة لتعليم البنات⁽¹²⁵⁾. ومن أهم المدارس الاهلية للبنات في مكة المكرمة:

1 - مدرسة البنات الابتدائية الأهلية بمكة المكرمة:

تأسست في شهر ربيع الاول من عام 1362هـ/1943م قبل تأسيس الرئاسة العامة لتعليم البنات بثمانية عشر عاماً. وأما مؤسسوها فهم المشرفون على مدرسة دار العلوم الدينية للبنين، وتضم هذه المدرسة صفوف المرحلة الابتدائية ابتداء من الصف الأول الابتدائي وحتى نصف السادس الابتدائي وكانت تسير وفق مناهج البنين الحكومية مع إجراء بعض التعديلات، حيث اضيف الى ذلك المنهاج الثقافة المنزلية مثل التدبير المنزلي والخياطة والتطريز ورعاية الطفل واستمرت هذه المدرسة حتى تأسست الرئاسة العامة للبنات⁽¹²⁶⁾.

2 - مدرسة الفتاة الأهلية بمكة المكرمة:

تقع في حي القرارة بمكة المكرمة في بناية مستأجرة حيث أسست بإسم مدرسة «الفتاة للثقافة والتدبير المنزلي» وهي من أوائل مدارس البنات بمكة المكرمة من حيث القدم حيث أسسها الشيخ حسين عبدالغني فلمبان عام 1367هـ/1947م⁽¹²⁷⁾.

3 - المدرسة الهزازية بمكة المكرمة:

وهي أول مدرسة تأسست بمكة المكرمة في أواخر الأربعينيات، واستمرت بضع سنوات ثم أقفلت. وتقع في سوق الليل بمكة المكرمة، ونسبت الى مؤسسها فاطمة الهزازي وتدرس البنات بهذه المدرسة القرآن الكريم تلاوةً وحفظاً، والاملاء والحساب والسيرة النبوية ومبادئ الدين والفقه والتوحيد والتفصيل والاعمال اليدوية والمنزلية ومبادئ اللغة الإيطالية ومبادئ اللغة الإيطالية والانجليزية والاوردية⁽¹²⁸⁾.

(4) المدرسة الخيرية العارفية:

وقد تأسست هذه المدرسة بمكة المكرمة 1358هـ / 1939م، وقد سميت هذه المدرسة بهذا الاسم نسبة إلى محمد عارف مؤسس المدارس العارفية⁽¹²⁹⁾. وقد جاء التطور في تعليم المملكة كمظهر من مظاهر النهضة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الشاملة التي شهدتها المملكة العربية السعودية منذ أن أسسها الملك عبدالعزيز⁽¹³⁰⁾، فسار هؤلاء بتعليم البنات وفق السياسة التي رسمتها الدولة التي رأت إتاحة الفرصة كاملة أمام الفتاة السعودية لكي تنهل من ينابيع العلم والثقافة وتعيش حياة كريمة، قوامها العلم والاخلاق، والتمسك بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف⁽¹³¹⁾. ومن خلال حديثنا عن المدارس الأهلية للبنين والبنات، يتبين لنا عدم قدرة الكتاتيب وحلقات التدريس في المساجد على نشر التعليم بين جميع المواطنين لإمكاناتها المحدودة، فكان ذلك خير دافع لإنشاء المدارس الأهلية (السابقة الذكر) وخاصة بمنطقة مكة المكرمة⁽¹³²⁾.

من خلال السطور السابقة يتبين لنا أن التعليم الأهلي ذو أهمية كبيرة لأنه يعد رافداً أساسياً ومسانداً للتعليم الحكومي في جميع مستوياته، ويساهم بدور إيجابي في تنمية القوى التربوية في المجتمع، ويقوم بدور مثالي في دعم البنية الاجتماعية والاقتصادية، وذلك لدوره الكبير في إعداد وتدريب القوى البشرية⁽¹³³⁾، كما أن بدايات التعليم الأهلي ارتبطت بالجهود الفردية والأعمال التطوعية وذلك منذ فترة طويلة جداً، وكان للمؤسس الملك عبدالعزيز دور كبير في دعم المدارس الأهلية قبل بداية المؤسسات التعليمية الحكومية وذلك بزيارته إلى مدارس أهلية منها مدارس الفلاح والمدرسة الفخرية، وتقديم المساعدات المالية والعينية الداعمة لعملها⁽¹³⁴⁾.

– وجود الحلقات العلمية في المسجد الحرام في عهد الملك المؤسس، واهتمامه بتلك الحلقات منذ دخوله الحجاز حيث أصدر القرار بالعبادة بها عام 1431هـ/ 6291م في جريدة أم القرى.

– أن أول عمل تنظيمي قام به الملك عبدالعزيز عند دخوله الحجاز وبالتحديد مكة المكرمة هو الدعوة إلى اجتماع تعليمي حث فيه العلماء على نشر العلم و التعليم و التوسع فيه، وأمر من خلاله بالاهتمام بالكتاتيب والحلقات التعليمية في المساجد وانشاء المدارس الأهلية.

– ازدهرت حلقات الدروس العلمية بالمسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز أكثر مما كانت عليه في العهود السابقة .

– في الحجاز كانت الكتاتيب القاعدة الأولى للتعليم الأهلي في مكة المكرمة و كانت منتشرة في أحيائها.

الهوامش:

- (1) مكة المكرمة: تقع على خط طول 83-03، وعرض 12-03 تقريباً، وفي الجنوب من الحجاز على 064 كيلوا جنوب المدينة و37 كيلوا شرق جدة، و89 كيلوا غرب الطائف، البلادي، عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، ط1، مكة: دار مكة للنشر والتوزيع، 2041هـ-2891م، ص4561.
- (2) موسوعة المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، «منطقة مكة المكرمة»، (د.ط)، الرياض، 8241هـ/7002م، مج3، ج2، ص736.
- (3) السنوسي، رضا بن محمد صفى الدين، دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 5241هـ/4002م، ج1، ص4، 5.
- (4) الكردي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة المكرمة، ط1، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر، 0241هـ/0002م، ج5، ص125.
- (5) جريدة المدينة، ٣١ رمضان، (4141 هـ-3991م). عدد ٨٢١١، ص11.
- (6) ابو سليمان، عبدالوهاب إبراهيم، الحرم الشريف الجامع والجامعة، الطبعة الاولى، مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي نادي مكة الثقافي، 7141هـ/7991م، ص9: السنوسي، مرجع سابق، ص5.
- (7) النقا: بفتح النون والقاف، حي بمكة يقع على طرف الفلق الشمالي الشرقي، البلادي، عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، ط1، مكة: دار مكة للنشر والتوزيع، 2041هـ-2891م، ج9، ص0671.
- (8) فيزو، حمزة عبدالقادر حسين، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة 4431-3731هـ (د.ط)، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 0241هـ-0002م، ص991.
- (9) السليمانية: حي من أحياء مكة، يعتقد أنها منسوبة للشيخ محمد بن سليمان المغربي، الذي بنى مقبرة المعلا، له دور في حوادث مكة في أواخر القرن الحادي عشر الهجري، البلادي، معجم معالم الحجاز، مرجع سابق، ص538.
- (10) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة 4431-3731هـ مرجع سابق، ص002.
- (11) شعب عامر: شعب بمكة عليه حي من أشهر أحيائها يجاور شعب علي من الشمال، يصب من الخدمة في الغزة، وقد ذكر في الخدمة، والصواب شعب ابن عامر وقيل بني عامر ذلك أنه كان منازل بني عامر بن لؤي القرشيين، البلادي، معجم معالم الحجاز، مرجع سابق، ج5، ص719، 819.
- (12) باب الزيادة: وكان يطلق عليه باب دار الندوة، وهو أحد ابواب المسجد الحرام، في عهد الازرقى، مقابل باب بني هاشم، الفاكهي، أي عبدالله محمد بن اسحاق، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبدالملك عبدالله بن دهيش، ط2، بيروت: دار

- خضر للطباعة والنشر، 4141هـ-4991م، ج2، ص791، والبلادي، معجم معالم الحجاز، مرجع سابق، ص061.
- (13) فيزو، مرجع سابق، ص102.
- صولت النساء: سيدة هندية قدمت إلى مكة المكرمة سنة 9821هـ، وساهمت في إنشاء المدرسة الصولتية على نفقتها ومالها الخاص عام 1921هـ، الجفري، محمد علي، الصولتية أولى المدارس في أم القرى، مجلة الفيصل، ع512، جمادي الأولى 5141هـ/أكتوبر-نوفمبر 4991م، ص01
- الفقيهة أمينة البورصلية: من أصل تركي من بلدة بورصة بتركيا، ابن دهبش، عبداللطيف، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 6041هـ-6891م، ص63.
- (14) باب الصفا: وهو مفتاح على خمسة أبواب، وكان قديماً يعرف بباب بني مخزوم، وهو أكبر أبواب المسجد، باشا، إبراهيم رفعت، مرآة الحرمين الشريفين، ط1، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1344هـ-1925م، ج1، ص231.
- (15) حي المروة: واحدة المرو: وهو جبل بمكة يعطف على الصفا، البلادي، معجم معالم الحجاز، مرجع سابق، ج8، ص1565.
- (16) بئر بليلة: كان يسمى بالسابق أحياد الكبير وأحياد الصغير، وهو موضع بمكة يلي الصفا، المرجع السابق، ج1، ص60.
- (17) حي الشبيكة: حي من أحياء مكة يمتد من المسجد الحرام غرباً إلى ريع الحفائر وشمالاً إلى حارة الباب وأزيل سنة 1429هـ، البلادي، معجم معالم الحجاز، مرجع سابق، ص883.
- (18) المسفلة: حي في مكة يمتد من المسجد الحرام جنوباً وغرباً إلى ما وراء بركة ماجل ينحدر فيها سيل وادي إبراهيم، المرجع السابق، ج8، ص1593.
- (19) العمري، سعاد بنت أحمد بن محمد، (1428هـ-2007م)، تعليم المرأة في السعودية بين تشجيع الدولة ورفض المجتمع ((ورقة عمل للمشاركة في المؤتمر العالمي بماليزيا عن قضايا المرأة المسلمة في المجتمعات المعاصرة آفاق وحقائق))، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص7.
- (20) الخياط، عبدالله عبد الغني، التاريخ يتكلم (الإصلاح الديني في عهد الإمام عبد العزيز آل سعود «طيب الله ثراه»، مجلة النشرة التربوية، السعودية، ع5، 1390هـ/1970م، ص26.
- (21) الظهار، نجاح بنت أحمد عبدالكريم، تعليم المرأة في المملكة العربية السعودية

- وأزدهاره في عهد الملك فهد(بمناسبة مرور عشرين عاماً على بيعة خادم الحرمين الشريفين)، الطبعة الأولى، جدة: دار المحمدي للنشر والتوزيع، 1424هـ/2003م، ص171.
- (22) المرجع السابق، ص171.
- (23) المرجع السابق، ص171.
- (24) مقادمي، فيصل عبدالله، التعليم الأهلي في مكة المكرمة تنظيمه والإشراف عليه، ط1، مكة المكرمة: نادي مكة الثقافي، 1404هـ/1984م، ص 91.
- (25) رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، مكة المكرمة: منشورات نادي مكة الثقافي، ط1، 1401هـ/1981م، ص 310.
- (26) عبد الجبار، عمر، دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام، ط1، القاهرة: دار ممفيس، 1379هـ/1959م، ص 17.
- (27) السالمي، حماد بن حامد، قبيلة ثقيف: حياتها وفنونها وألعابها الشعبية، ط1، الرياض: دار أمية للنشر والتوزيع، 1410هـ/1989م، ص18.
- (28) الكردي المكي، محمد طاهر، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق د. عبد الملك بن دهيش، الطبعة الأولى، دار خضر 1420هـ/2000م، ج6، ص 27؛ السنوسي، مرجع سابق، ص8.
- (29) أبو الخير، الشيخ عبد الله مرداد، المختصر من نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة، اختصار محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، طبعة عالم المعرفة، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م، ص10؛ السنوسي، مرجع سابق، ص8.
- (30) حكيم، عبد الحميد بن عبد المجيد، نظام التعليم وسياسته، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة إيتراك، (1433هـ/2012م)، ص14.
- (31) فيصل بن عبد العزيز: الأمير فيصل بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، الابن الثالث للملك عبد العزيز، ولد بالرياض سنة 1324هـ/1906م شارك في عدة معارك، وتولى الكثير من المناصب منها: نيابة وزارة الخارجية، رئاسة مجلس الوكلاء وتولى عرش المملكة سنة 1382/1964م، توفي في سنة 1395هـ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 1423هـ/2002م، ج5، ص 166، 167.
- (32) شعيب، حسن محمد، مدرسة المطوفين، لمحات من تاريخ التعليم بالبلد الأمين، مجلة «الأهلة»، عدد 13، شهر شعبان/سنة 1430هـ/2010م، ص1.
- (33) شعيب، حسن محمد حسن، الدور التربوي لحلقات العلم بالمسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، رسالة ماجستير(منشورة)، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، 1429هـ/2008م، ص 20-21.

- (34) ولد الشيخ عبدالله في قرية «القرعاء» بالقصيم عام 1294هـ/1877م، تلقى مبادئ العلوم عن والده، وبعد ذلك رحل الى بريدة ليتلقى العلم على يد الشيخ محمد بن سليم، في عام 1344هـ/1925م، نقله الملك عبدالعزيز الى مكة ليكون أول رئيس للقضاة، من أشهر مؤلفاته: جامع المسالك في أحكام المناسك، توفي عام 1359هـ/1940م. المقرن، محمد بن عبدالله، من أعلام القضاء، مجلة العدل، السعودية، مج5، ع20، 1424هـ/2003م، ص ص 194، 195، 196، 197، 200، 201.
- (35) الشثري، محمد بن ناصر بن عبدالعزيز، الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، عام 1415هـ - 1995م، ص 367.
- (36) جريدة أم القرى، عدد: 97، 15 ربيع الآخر، 1345هـ، ص ص 1-2.
- (37) ابن قزاز، اهل الحجاز بعقبهم التاريخي، مصدر سابق، ص 186.
- (38) محمد كامل أحمد عبدالقادر القصاب ولد في دمشق عام 1290هـ برع في علوم العربية والقرآن، وأنشأ المدرسة الكاملية في دمشق، التقى بالملك عبدالعزيز فولاه إدارة المعارف في الحجاز فأقام قليلاً ثم أعفي، توفي سنة 1372هـ/1952م. منسي، عبدالله سراج، محمد كامل القصاب وعلاقته بالمملكة العربية السعودية، مجلة الدارة، السعودية، مج27، ع1، 1422هـ/2001م، ص ص 137، 138.
- (39) محمد بهجة محمد بهاء الدين بيطار، العالم الفقيه، والمصلح الاديبي، والمؤرخ الخطيب، ولد بدمشق نشأ في حجر والده تلقى مبادئ علوم الدين واللغة، ومن أهم أعماله: مدير المعهد العلمي السعودي، ومدرس في المسجد الحرام بمكة، عضو مجلس المعارف بالمملكة، ولاء الملك عبدالعزيز القضاء بالمدينة المقدسة، توفي سنة 1396هـ في دمشق. هيئة التحرير، الشيخ محمد بهجة البيطار «يرحمه الله»، مجلة الوعي الاسلامي، وزارة الاوقاف، الكويت، ع551، 1432هـ/2011م، ص 83.
- (40) محمد أمين إبراهيم فودة، ولد عام 1307هـ تقلد أهم وظائف الدولة السعودية منها: وكيل رئيس القضاء، ومدير عام المعارف، ورئيس محكمة الطائف، وتوفي عام 1365هـ عبد الجبار، عمر، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، ط3، جدة: تهامة، 1403هـ-1982م، ص ص 278، 279.
- (41) عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص 42-43.
- (42) جريدة ام القرى، عدد 91، سنة 1345هـ/1926م، ص 2.
- (43) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص 202.
- (44) فيزو، مرجع سابق، ص 205.

- (45) السلطان، عناية الملك عبدالعزيز بعلوم القرآن، مرجع سابق، ص9.
- (46) بصفر، عبدالله علي، «جهود المملكة العربية السعودية في رعاية تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين في الخارج»، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1421هـ/2000م، ص6.
- (47) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص207.
- (48) السنوسي، رضا بن محمد صفي الدين، دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، مرجع سابق، ص8.
- (49) الكردي، التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، مصدر سابق، ص522.
- (50) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص208.
- (51) صحيفة الحياة، (25-10-1433هـ)، الحلقات العلمية في الحرمين الشريفين، السعودية، العدد18057.
- (52) شعيب، الدور التربوي لحلقات العلم في المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص124.
- (53) المرجع السابق، ص85.
- (54) شعيب، حسن محمد، حلقات العلم بالمسجد الحرام، مجلة الأهلة، بالعدد 14 - لشهر ذي القعدة - عام 1430هـ/2009م، ص2.
- (55) شعيب، الدور التربوي لحلقات المسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ص 100، 101، 102، 104.
- (56) المذهب الشافعي: ينسب هذا المذهب الى الامام محمد بن ادريس الشافعي(150-204هـ)، وكان اول ظهور له في مصر، ثم ظهر بالعراق ثم انتشر في بلاد خراسان، والشام واليمن وبلاد فارس والهند والحجاز. باشا، أحمد تيمور، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة، تقديم محمد ابو زهرة، ط1، بيروت: دار القادري، 1419هـ-1990م، ص ص 70-71.
- (57) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص209.
- (58) عبد الجبار، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، مصدر سابق، ص47.
- (59) المذهب المالكي: ينسب هذا المذهب الى الامام مالك بن انس الاصبحي رضي الله عنه المولود سنة 93هـ والمتوفي بالمدينة سنة 179هـ وهو ثاني المذاهب الاربعة ونشأ بالمدينة ثم انتشر بالحجاز. باشا، مصدر سابق، ص61.

- (60) عبد الجبار، المصدر السابق، ص90.
- (61) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص209
- (62) المذهب الحنفي: ينسب هذا المذهب إلى الإمام أبي حذيفة النعمان (80هـ-ت:150هـ)، وهو أقدم المذاهب الاربعة ويعد هذا المذهب من المذاهب الرسمية للدولة العثمانية ومنشأ هذا المذهب بالكوفة. باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة، مصدر سابق، ص50.
- (63) عبد الجبار، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، مصدر سابق، ص96.
- (64) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص209.
- (65) عبد الجبار، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، مصدر سابق، ص196
- (66) المصدر السابق، ص198.
- (67) الرئاسة العامة للمسجد الحرام والمسجد النبوي، الإمامة و الأئمة في المسجد الحرام، مكة المكرمة، (د.ت)، ص4.
- (68) جريدة البلاد، السبت 5-11-1403هـ/13-8-1983، (د.ع).
- (69) فيزو، جهود مديرية المعارف العامة في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص211.
- (70) عبد الجبار، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة، مصدر سابق، ص266.
- (71) المذهب الحنبلي: مذهب وفقه الامام احمد بن حنبل (164_241/780_855م) وهو احد الائمة الاربعة، وهو مذهب معروف بتمسكه بأحكام الكتاب السنة النبوية، الخطيب، مصطفى عبدالكريم، معجم المصطلحات والالقاء، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1416هـ-1996م، ص152.
- (72) عبد الجبار، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري، مصدر سابق، ص200، 201.
- (73) بو درع، عبدالرحمن بن محمد، نماذج من اتجاهات العلماء في بيان مكة المكرمة، مجلة الدارة، السعودية، مج31، ع4، 1426هـ/2005م، ص309، 310.
- (74) الجهني، الدور التربوي للمسجد النبوي، مرجع سابق، ص192.
- (75) الشويعر، محمد بن سعد، نافذة على اولويات التعليم في المملكة، التوباد، السعودية، عدد22، ربيع الاخر 1423هـ/2002م، ص61؛ السبيل، محمد بن عبد الله، ذكريات في المسجد الحرام، مجلة الدارة، السعودية، مج29، ع3، 1424هـ/2004م، ص210.
- (76) الأنصاري، خالد بن محمد بن صالح، ملامح تاريخية عن التعليم بالمسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، مجلة الحرمين الشريفين، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ع4، سنة 1438هـ/2017م، ص161، 162، 163.

(77) الزهراني، عبدالله سعيد، أئمة المسجد الحرام ومؤذنه في العهد السعودي، ط4، مكة المكرمة : دار الطرفين، 1426هـ / 2005م، ص33.

(78) المرجع السابق، ص33؛ وعبدالجبار، سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر الهجري، مصدر سابق، ص178؛ آل الشيخ، عبدالرحمن عبد اللطيف، الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، مجلة الدارة، مج4، ع1، السعودية، ربيع الثاني 1398هـ / 1978م، ص ص 14، 15.

(79) أبا الخيل، سليمان بن عبدالله، قبسات مضيئة من حياة الإمام الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ط1، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1431هـ/2010م، ص47.

(80) السلوم، لطيفة عبدالعزيز، التطورات السياسية الحضارية في الدولة السعودية المعاصرة، 1344هـ/1926م-1351هـ/1932م دراسة تاريخية وثائقية، ط1، 11416هـ/1995م، ص165؛ خياط، عبدالرحمن، مكة المكرمة بوصفها نصاً، مج9، ج20، النادي الادبي الثقافي بجدة، السعودية، ربيع الآخر/يونيو 2005م، ص18؛ جمال، أحمد محمد، ماذا في الحجاز، الطبعة الأولى، المجلد الأول، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1424هـ/2003م، مج1، ص37.

(81) الزهراني، أئمة المسجد الحرام ومؤذنه في العهد السعودي، مرجع سابق، ص42.

(82) الساعاتي، يحيى محمود، الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر ميلادي، مجلة الدرية، الرياض، العددان الرابع والخامس والثلاثون، السنة التاسعة، جمادي الآخر-رمضان 1427هـ/يوليو-أكتوبر 2006م، ص451.

(83) الزهراني، أئمة المسجد الحرام ومؤذنه في العهد السعودي، مرجع سابق، ص36.

(84) المرجع السابق، ص36.

(85) المرجع السابق، ص36، 37.

(86) السباعي، احمد، تاريخ مكة، ط2، مكة المكرمة: دار قريش، 1382هـ/1962م، ج2، ص201.

(87) جريدة أم القرى، 18 محرم 1347هـ ص2؛ تقرير حول جمعية نهضة الامة، 2730، 30-1-1931م، داره الملك عبدالعزيز: الرياض؛ الخطيب، محمد بن شحات، التعليم والأمن الوطني في المملكة العربية السعودية، مجلة جامعة الملك سعود، م13، العلوم التربوية والدراسات الاسلامية، الرياض، 1421هـ/2001م، ص168.

(88) العقلا، عبدالعزيز، علي، ملامح عن التعليم في مكة المكرمة، مكة المكرمة: (د.ن)، 1425هـ/2004م، ص171.

(89) عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص88.

(90) (*) يتألف إقليم الحجاز من مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وما إليها من مدن وقرى ممتدة من ساحل البحر الأحمر وبين هذه المدن الكبرى وطول الاقليم حوالي 700 ميل يمتد على طول السهل الساحلي أعلى البحر الأحمر إلى أن

- يصل الى خليج العقبة ويتراوح عرضه بين عشرة واربعين ميلا، ولإقليم الحجاز قداسته المعروفة في مدينتيه مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد اصبحت مدينة جدة من ارقى المدن اتساعاً وعمراً وتجاراً واقتصاداً، المختار، صلاح الدين ، تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها، ط1، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1376هـ/1957م، ج1، ص24.
- (91) وهيم، طالب محمد، مملكة الحجاز (1916-1925م)- دراسة في الأوضاع السياسية، ط1، جامعة البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، 1402هـ-1982م، ص83.
- (92) القبلة، العدد -30 غرة صفر 1335هـ - تشرين الثاني 1916.
- (93) القبلة، العدد -274 نيسان 1919م.
- (94) القبلة، العدد 105-2 العقد 1335هـ - آب 1917.
- (95) عبدالواسع، عبدالوهاب أحمد، التعليم في المملكة العربية السعودية، ط2، جدة: تهامة، 1403هـ-1983م، ص25.
- (96) قدسي، عبير زاهد إبراهيم، المدارس الأهلية في مكة المكرمة قبل تأسيس مدارس الرئاسة العامة لتعليم البنات من عام 1356_1380هـ رسالة ماجستير(منشورة)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، كلية التربية، 1419هـ/1999م، ص3.
- (97) تقرير حول المدرسة الصولتية الهندية بمكة، 80-173، 8-9-1934م الرياض: دار الملك عبدالعزيز.
- (98) رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني (1233هـ-1308--1818-1891م) الهندي الحنفي، ولد في كيرانة بالهند وتوفي بمكة المكرمة، وهو باحث وعالم بالدين والمناظرة، الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، ج3، ص18.
- (99) حكيم، نظام التعليم وسياسته، المرجع السابق، ص108
- (100) وتعتبر المدرسة الصولتية أول مدرسة أهلية أنشئت في مكة المكرمة، فرج، عبداللطيف بن حسين، نظام التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية، ط1، عمان: دار وائل للنشر، 1429هـ/2008م، ص23.
- (101) عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص91؛ الزيد، عبدالله، محمد، التعليم في المملكة العربية السعودية أنموذج مختلف، ط4، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1411هـ/1990م، ص ص10، 11.
- (102) عبدالله، تاريخ التعليم في مكة، مرجع سابق، ص91؛ عبدالغني، أحمد بن محمد إلياس، تاريخ مكة المكرمة المصور، ط1، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، 1432هـ/2011م، ص136؛ الغامدي، سراج محسن، وعسيري، محمد بن سعيد، دور المدارس الاهلية في التعليم، المجلة التربوية، الكويت، مج7، ع25، 1413هـ/1992م، ص ص221، 222.
- (103) حكيم، نظام التعليم وسياسته، مرجع سابق، ص110، 111
- (104) فيزو، جهود مديرية المعارف، مرجع سابق، ص166.

- (105) مقادمي، مرجع سابق، ص150؛ تقرير نائب القنصل الهولندي بجدة حول التعليم الديني للطلاب الإندونيسيين بمكة، 2294، 8-2-1945م، دار الملك عبدالعزيز، الرياض.
- (106) مقادمي، التعليم الأهلي في مكة، مرجع سابق، ص151.
- (107) حكيم، نظام التعليم وسياسته، مرجع سابق، ص108.
- (108) عرض الشيخان محمد عبدالرزاق حمزة وعبد الظاهر ابو السمع فكرة إنشاء المدرسة على الملك عبدالعزيز «رحمه الله» والذي أذن لهم لتنفيذ الفكرة، السبيعي، عادل بن محمد، الجهود العلمية في خدمة السنة النبوية في الحرمين الشريفين في العهد السعودي، مجلة الدرعية، السعودية، مج9، ع34، 35، السنة التاسعة جمادي الآخر/رمضان 1427هـ يوليو-أكتوبر 2006م، ص ص78، 127، 128.
- (109) القشاشية: منسوبة الى الشيخ القشاشي وكان يسكن مكة في القرن الحادي عشر، مغربي، اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر، مرجع سابق، ص49.
- (110) أجياد بئر: احياد: جمع جواد، يطلق على شعبين كبيرين من شعاب مكة، وقد أصبها اليوم مأهولين بأحياء عديدة من احياء مكة اشهرها حي جياك وبئر بليلة، البلادي، عاتق غيث، معالم مكة التاريخية والاثريّة، ط1، مكة: دار مكة للنشر والتوزيع، 1400هـ-1980م، ص14
- (111) مقادمي، التعليم الاهلي في مكة، مرجع سابق، ص155، 156.
- (112) شعب علي: وهو الشعب الذي يسيل بطرف أبي قبيس من الشمال بينه وبين الخندمة، فيه مولد رسول الله وصار هذا الشعب حياً من أحياء مكة وقد أزيل سنة 1401هـ البلادي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج5، ص914.
- (113) مقادمي، التعليم الأهلي في مكة، مرجع سابق، ص159-160.
- (114) التعليم في مكة، خطاب حول المؤسسات التعليمية الدينية في مكة، 941، 30-11-1935م، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، مجموعة تقارير حول الجالية الإندونيسية في مكة من عام 1929م حتى عام 1939م، 2779، 10/12/1934م، دار الملك عبدالعزيز، الرياض.
- (115) مقادمي، التعليم الأهلي في مكة، مرجع سابق، ص160؛ تقرير نائب القنصل الهولندي بمكة حول مدرسة دار العلوم الدينية، 2772، 24-11-1935م، دار الملك عبدالعزيز، الرياض.
- (116) عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص123.
- (117) عبدالله، المرجع السابق، ص ص123، 124.
- (118) مقادمي، التعليم الأهلي في مكة، المرجع السابق، ص ص165-166.
- (119) فيزو، مرجع سابق، ص182؛ الخطيب، محمد بن شحات، التعليم في العهد السعودي مع التركيز على المسجد الحرام، المدينة المنورة: جامعة طيبة، 1436هـ/2015م، ص7.

- (120) عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، مرجع سابق، ص 130.
- (121) عنقاوي، فؤاد، (الحركة الفكرية والعلمية في مكة المكرمة)، مجلة الحج والعمرة، مكة المكرمة-العدد العاشر في شوال 1426هـ-نوفمبر ديسمبر 2005م، ص 13.
- (122) الرفاعي، عبدالعزيز أحمد، عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب، مجلة دار الملك عبدالعزيز، الرياض، مج 11، ع 4، مارس - رجب 1406هـ/مارس 1986م، ص 62، 63، 64؛ الحقييل، عبدالله بن حمد، عناية الملك عبدالعزيز بالعلم واهتمامه بالعلماء، مجلة الدارة، مج 13، ع 2، محرم 1408هـ/أغسطس 1987م، ص 196.
- (123) الرشيد، منصور عبدالعزيز، تجربة المملكة العربية السعودية حول النفقات على التعليم بالرئاسة العامة للبنات، مؤتمر وقائع لقاء المختصين بشأن تحديد استراتيجيات الاستفادة من الموارد المالية المتاحة للتعليم، الرياض، 15_16 شوال 1416هـ/4_5 مارس 1996م، ص 2.
- (124) الكثيري، راشد بن حمد، دور التعليم الاهلي في التجديد التربوي، من كتاب المملكة العربية السعودية في مئة عام: دراسات وبحوث، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، 1428هـ/2007م، ص 432.
- (125) عدوان، أحمد بن محمد، المكانة العلمية للمرأة في أرض الحرمين الشريفين، مجلة دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ع 3، السنة السابعة والعشرون، رجب 1422هـ/2001م، ص 12؛ عتمة، وليد نذير، موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية في مائة عام، مجلة الدرعية، السعودية، مج 4، ع 13، السنة الرابعة، محرم 1422هـ/ابريل 2001م، ص 250
- (126) الرشيد، منصور عبد العزيز، ودهيش، خالد بن عبدالله، بدايات التعليم الاهلي للبنات، اللقاء السنوي السابع للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية «التعليم الاهلي في السعودية حاضره ومستقبله» الرياض، جامعة الملك سعود والجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، 1418هـ /1997م، ص 7، ص 8.
- (127) المرجع السابق، ص 9.
- (128) الرشيد، وابن دهيش، مرجع سابق، ص 7
- (129) المرجع السابق، ص 7
- (130) الخياط، محمد أبو الفتوح، فيصل والتعليم، مجلة الدارة، السعودية، مج 1، ع 3، سبتمبر/شعبان، 1975م، ص 164.
- (131) بن دهيش، تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص 8.
- (132) المنيع، منيع بن عبدالعزيز، التعليم الأهلي في المملكة العربية السعودية تطوره، واقعه، عوامل النهوض به، ط 1، الرياض: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، 1414هـ-1993م، ص 122.

- (133) الحامد وآخرون، التعليم في المملكة العربية السعودية رؤية الحاضر واستشراف المستقبل، مرجع سابق، ص 209.
- (134) القحطاني، محمد سعيد عبدالله، الاستثمارات المستقبلية للقطاع الخاص في التعليم العام في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة أم القرى، كلية التربية، 1429هـ - 2008م، ص 105.

البادية ودورها الأمني والعسكري بمنطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز (1338 - 1373 هـ / 1920 - 1953 م)

باحث - جامعة الملك عبد العزيز
المملكة العربية السعودية

أ. سعيد بن عبد الله بن علي جفشر

مستخلص:

تهدف الدراسة للتعرف على البادية في منطقة عسير ودورها الأمني والعسكري في عهد الملك عبد العزيز (1338 - 1373 هـ / 1920 - 1953 م)، تنبع أهمية الدراسة من كونها تناقش واحد من الموضوعات المهمة، وهو الدور المهم الذي قامت به البادية من الناحية الأمنية والعسكرية في عهد الملك عبد العزيز، وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي وهو من انسب المناهج لمثل هذه الدراسات بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: الدور المهم والفاعل للبادية وأهلها في عهد الملك عبد العزيز، قيام أهل البادية بالعديد من الأدوار الأمنية والعسكرية في عهد الملك عبد العزيز.

الكلمات المفتاحية: البادية، الدور الأمني والعسكري، الملك عبد العزيز ، عسير.

The Badia and its security and military role in the Asir region the reign of King Abdulaziz (1338 - 1373 AH / 1920 - 1953 AD)

Saeed Abdullah Ali Jafsher

Abstract:

The study aims to identify the Badia in the Asir region and its security and military role during the reign of King Abdul Aziz (1338-1373 AH / 1920- 1953 AD). King Abdul Aziz, the study followed the methodThe historical descriptive analytical method is one of the most suitable approaches for such studies in order to reach results, the most important of which are: the important and effective role of the Badia and its people during the reign of King Abdul Aziz, the people of the Badia in many security and military roles during the reign of King Abdul Aziz.

Keywords: Badia, security and military role, King Abdul Aziz, Asir

المقدمة:

البادوة بمفهومها العربي هو الذي يشير إلى رعاة الإبل وأهلها الذين يعيشون حياة الحل والترحال ويتوغلون في البعيد والقفار، إلا أن هناك من يرى أن البادوة تهتم بالأمور الضرورية، في حين أن أهل الحضرة من سكان القرى والمدن يهتمون بالأمور الكمالية.

فالبدو أصل المدن والحضر⁽¹⁾؛ وتحديد البدوي من غير البدوي المعيار فيه مبني على أساس مادي بين الغنى والفقر، والحاجة والترف؛ وهو نمط الحياة المتسمة بالتنقل وعدم الاستقرار - وأيضًا- بالوحدة الاجتماعية الواحدة المرتبطة بأصول سلالية واحدة⁽²⁾. ونحن في هذا البحث نسعى إلى تسليط الضوء على دور أبناء البادية الأمنية والعسكري في عهد الملك عبدالعزيز في منطقة عسير والأدوار التي قاموا بها لتوطيد الحكم السعودي فيها متبعين في البحث الطرائق التالية: الاسترداد والتحليل والمقارنة والجمع ومن الأهداف لهذا البحث إبراهيم أهمية البادية وأهلها وأدوارهم الأمنية والعسكرية ودورهم الإيجابي فيها معتمدين في ذلك على المصادر والمراجع المختلفة من كتب ومقالات ووثائق ومرويات.

منطقة عسير الموقع الجغرافي والدور التاريخي والحضاري والثقافي:

أولاً: موقع منطقة عسير ومحافظةاتها:

تقع منطقة عسير جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وهي من المناطق الحدودية مع اليمن، ولديها أعلى الجبال، وتتلقى هطول الأمطار أكثر من أي منطقة أخرى في البلاد. الموقع الفلكي لمنطقة عسير: تقع بين خطي عرض 17.5 و 19.50 شمالاً، وخطي طول 50.00 و 41.50 شرقاً⁽³⁾. وتقدر مساحتها بنحو 81 ألف كيلو متر مربع؛ هذه المساحة الجغرافية تضم العديد من الجبال شاهقة الارتفاع، مثل: قمة جبل السودة التي يصل ارتفاعها إلى نحو 3015م⁽⁴⁾؛ وكذلك تضم عدداً من الجبال والمخاريط البركانية: كجبل فرواع في حرة السراة الذي يبلغ ارتفاعه 3004م وجبل ظلم -أيضاً- في حرة السراة الذي يبلغ ارتفاعه 2575م⁽⁵⁾. وتضم منطقة عسير (18) محافظة؛ منها⁽⁶⁾ محافظات من الفئة (أ) و (14) محافظة من الفئة (ب)، وفيما يلي ذكر لهذه المحافظات، وعاصمتها الإدارية مدينة أبها.

ومنطقة عسير تنقسم حضارياً وثقافياً وجغرافياً وتاريخياً إلى ثلاثة أقسام وهي⁽⁷⁾:

1. الجزء الغربي: ويضم السهل الساحلي ثم منطقة الأصدار المقصود بها السفوح الغربية لسلسلة جبال السروات.
2. الجزء الأوسط: وهو الجزء الأعلى لقمم جبال منطقة عسير، وتضم المدن الأعلى في المملكة، وتبدأ من الجنوب باتجاه الشمال.
3. الجزء الشرقي: وهي منطقة تضم مراكز (الحمداء، النقصاء، الغيل، رشاد، ملاح)، التابعة لمحافظة ظهران الجنوب ومراكز العرقين وجوف آل معمر التابعة لمحافظة سراة عبيدة، وسكان هذه المراكز في هذه الجهة الشرقية.

ثم تأتي مراكز الحفائر ويعري وخير الجنوب والصفية التابعة لمحافظة خميس مشيط، ثم كلاً من محافظة الأمواه ومحافظة طريب ومحافظة تثليث وبكامل أجزائها⁽⁸⁾، وهذا الجزء الأخير يُعرف باسم هضبة منطقة عسير الشرقية ومناخها أقرب الوصف المناخي الشبه القاري⁽⁹⁾.

ثانياً: منطقة عسير حضارياً وثقافياً وجغرافياً وتاريخياً:

أما عن سكان منطقة عسير، وعسير استوطنها الإنسان منذ القدم إلا أنها في تاريخها القديم والإسلامي عُرفت باسم جرش، وكان مركز المنطقة في ذلك التاريخ هو مدينة جرش التي ما زالت آثارها شاهدة على التاريخ في محافظة أحد ريفية، وبذلك فإن إقليم عسير في أدواره السابقة كان يُعرف بمخلاف جرش، وذلك يوضح أهميتها كمركز حضاري واقتصادي وزراعي وصناعي ذي تأثير بالغ⁽¹⁰⁾. وتنقسم جرش التاريخية إلى ثلاث سروات تاريخية أيضاً: سرة جنب تضم الآن محافظة الحرجة، وسرة عبيدة، وسرة عنز وتضم الآن محافظة أحد ريفية وخميس مشيط وأبها وسرة رجال الحجر أو الأزد وتضم أجزاء من محافظة أبها ومحافظة تنومة ومحافظة النماص⁽¹¹⁾. وقبائل هذه المنطقة أغلبها لها جذور تاريخية قديمة في هذه الأرض منطقة عسير، وقد ورد أغلبها بنفس هذه الأسماء المعاصرة لدى عدد من الرحالة ومن أشهرهم وأولهم الهمداني في صفة الجزيرة وهو المتوفي بعد 336هـ تقريباً⁽¹²⁾، وهذا أمر يحتاج إلى تفصيل وتوسع ربما سنحت الفرصة في الإيضاح لها في دراسة مستقلة مستقبلاً، وفيما يلي نذكر القبائل المعاصرة في منطقة عسير، وهي:

أولاً: قبائل عسير في تهامة والسراة.

ثانياً: قبائل قحطان⁽¹³⁾، وهم:

- قبائل سنحان.

- قبائل جنب⁽¹⁴⁾⁽¹⁵⁾.

- قبائل ريفية⁽¹⁶⁾.

ثالثاً: قبائل وادعة في محافظة ظهران الجنوب⁽¹⁷⁾.

رابعاً: قبائل شهران⁽¹⁸⁾.

خامساً: قبائل رجال الحجر، وهم بلحمر وبلسر وبني شهر وبني عمرو وهم من الأزد⁽¹⁹⁾.

سادساً: قبائل بلقرن، وقبائل شمران، وقبائل عليان، قبائل خثعم، وقبائل بيشة⁽²⁰⁾.

وهذه القبائل جميعها تسكن منطقة عسير في الأجزاء التهامية والأجزاء الجبلية السروية، الهضاب الشرقية⁽²¹⁾.

منطقة عسير في التاريخ الحديث:

— أولاً: ظهور عسير ككيان سياسي.

— ثانياً: ضم عسير لحكم الملك عبدالعزيز.

أولاً: ظهور عسير ككيان سياسي:

ظهرت منطقة عسير على مسرح السياسة بشكل قوي إلا بعد انضمام هذه المنطقة وقبائلها إلى حكم الدولة السعودية الأولى في بداية القرن الثالث عشر الهجري؛ حيث توحدت

أجزاءها وقبائلها وقادتها تحت قيادة محلية تستمد قوتها وقيادتها الشرعية من قادة الدولة السعودية الأولى⁽²²⁾، بعد ذلك تولى أمراء من أبناء المنطقة الحكم فيها، وقد شملت هذه البلاد كلاً من بلاد رجال الحجر شمالاً حتى بلاد قحطان فبنى شعبه جنوباً وغرباً ما بين سواحل القحمة على البحر الأحمر حتى بلاد شهران وبيشة وتثليث شرقاً، ولم تنشأ بها سلطة تستطيع توحيد قبائلها ومناطقها إلا في ظل حكم الدولة السعودية الأولى في بداية القرن الثالث عشر الهجري حيث انجذبت قبائل هذه المناطق الجنوبية الغربية إلى الدعوة الإصلاحية وقادتها أئمة الدولة السعودية الأولى⁽²³⁾، وأصبحت المنطقة وحدة جغرافية بشرية متوحدة تحت ظل راية واحدة وإمام واحد وأمير واحد عُيِّن من قبل الإمام عبدالعزيز بن سعود هذا الأمر كان البداية الحقيقية لاشتهار الإقليم ووجوده في معتك الأحداث السياسية والعسكرية التي عصفت بالجزيرة العربية بسبب الغازي الأجنبي المتمثل في القوات العثمانية بقيادة محمد علي باشا وقادته الذي قضى على حكم الدولة السعودية الأولى، ثم سيطر على أجزاء المدينة في شبه الجزيرة العربية ومن ضمنها عسير إلا أن قبائل هذه المنطقة وقادتها ناهضوا الجيوش العثمانية ولم يذعنوا لها⁽²⁴⁾. ورغم الصعوبات المالية والسياسية، والنزاعات الداخلية فقد استمر أهالي منطقة عسير في مقاومة المحتل الغازي العثماني قبل سقوط الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى منذ أن انضمت منطقة عسير إلى الدولة السعودية عام 1211هـ وبعد سقوطها 1233هـ حتى عام 1289هـ تولى فيها العديد من الأمراء المحليون القيادة، ورفعوا راية الجهاز والنضال ضد المحتل العثماني حتى عام 1289هـ، وهي السنة التي قُتل فيها محمد بن عائض وخمسون من رجاله غدرًا في صفر 1289هـ/ 1872م⁽²⁵⁾. وممقلته في عام 1289هـ بدأ الحكم الأجنبي مُمثلاً في الاحتلال العثماني، والذي استمر ما يقارب خمسين عامًا⁽²⁶⁾، وأصبح مركز منطقة عسير هو أبها ويتبعها ستة أفضية⁽²⁷⁾.

استمرت معاناة أهالي عسير من هذا الحكم الأجنبي المحتل فابن المنطقة يسعى إلى الحرية والتحرر من المحتل الأجنبي، والمحتل الأجنبي يسعى لقمع أي ثورة أو مقاومة بكل عنف وقسوة في سبيل السعي لاستقرار الدولة العثمانية في منطقة عسير، ورضوخ المنطقة وأهلها للمحتل واستمرت عسير رازحة تحت نير المحتل العثماني حتى هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى فصدرت الأوامر بتوقف القتال في الميادين الحربية كافة، وتسليم حامياتها في الحجار وعسير واليمن وسوريا والعراق إلى أقرب قائد من قادة الحلفاء كما جاء في المادة (16) من الهدنة فتلقى متصرف عسير محيي الدين باشا أمر حكومته في شهر ربيع الأول عام 1337هـ⁽²⁸⁾، فانسحب من عسير وأنهى الاحتلال العثماني

ثانياً: ضم عسير إلى حكم الملك عبدالعزيز:

بإخلاء العثمانيين لعسير وبذلك تصدر الموقف حسن بن علي آل عائض المشهد السياسي إلا أن الإدريسي قد بايعه جل قبائل المنطقة من قحطان وشهران وعسير ورجال ألمع⁽²⁹⁾، فاضطر إلى مبايعته وعُيِّن مساعدًا له على عسير السراة، وهو ما يُعرف تاريخيًا باتفاقية صيба⁽³⁰⁾، ولكن فجأة وصل وفد أسرة آل عائض الذي كان يرأسه محمد بن عبدالرحمن ابن عائض⁽³¹⁾، وعضوية كل من

عبدالله بن عبدالرحمن وسعد بن عبدالرحمن ومحمد بن ناصر آل عايض، وبرفقتهم جملة من رؤساء ومشائخ القبائل ذهبوا لتأدية فريضة الحج ومبايعة الشريف حسين⁽³²⁾، وعقد معه اتفاقية تجعل اعتماد عسير على الملك حسين ومشمولة بالحماية الهاشمية، وكان الوفد يحمل الأموال التي تستطيع وحدها تعويض السيادة الإدريسية على عسير، مما جعل حسن بن علي بن عائض ينقلب على الاتفاقية، إلا أن تصرفات حسن بن عائض القاسية مع قبائل المنطقة أوجدت صدمات عسكرية مع عدد من القبائل منها قبيلة قحطان⁽³³⁾، وهذه الصدمات التي جعلت العديد من قبائل المنطقة -وخاصة قحطان وشهران- يرسلون الملك عبدالعزيز ويبايعونه وربما أرسلوا موفداً منهم⁽³⁴⁾؛ إلا أن هذه المبايعة واللجوء لم يكن وليد اللحظة أو ردة فعل، بل انتماء وولاء ومبايعة يُعود تاريخها إلى عام 1336هـ حيث وُجدت عدد من الوثائق لعدد من قبائل المنطقة وكبارها يعطون البيعة، ومن خلال هذه الوثيقة كان الشيخ عبدالله بن راشد⁽³⁵⁾ هو مندوب الإمام المعظم كما وُصف بذلك، وعام 1336هـ عام مبكر في العلاقة بين قبائل منطقة عسير والملك عبدالعزيز، فكان لجؤهم له مدفوعاً بالولاء والإبقاء بعهدهم له، فسير الملك عبدالعزيز آل سعود قواته إلى عسير، بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد آل سعود⁽³⁶⁾، في شعبان 1338هـ/ 1920م. وكانت هذه الحملة بعد رفض وتعنت ابن عائض ورفضه لتوسط العلماء بل رد على وفد الملك عبدالعزيز بقوله: «إذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير، فسندمشي إلى بيشة النخل ونستولي عليها؛ حيث إنها كانت تابعة لأجدادي في الماضي»⁽³⁷⁾.

سارت حملة بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي لتوطيد الأمن في عسير وإنهاء الفوضى الضاربة في بلاد عسير.

كان سير الحملة في شهر شعبان 1338هـ الموافق مايو 1920م من رنية إلى بيشة، ثم استمرت في سيرها القاعة⁽³⁸⁾، وهي قاعة ناهس أرض منبسطة تقع شرق بلاد شهران وبالقرب من بلاد قحطان، وهناك عسكرت الحملة، وانضمت إليها العديد من قبائل قحطان⁽³⁹⁾ وشهران. وأرسلت الرسائل هذه الرسائل الدعوة إلى النفير العام، وعدم قبول عذر أي معتمر أو متأخر محبباً لهم في السلام والأمان وتطبيق الشريعة واتحاد الكلمة، وقد كانت الردود مكتوبة أم مشاهدة بحضور وفود القبائل المبايعة بسلاحهم وخيلهم وإبلهم ودعم حملة الأمير عبدالعزيز عسكرياً ومالياً⁽⁴⁰⁾، وفي نفس الأثناء أرسل ابن جلوس خطاب من الملك عبدالعزيز وخطاب منه شخصياً مع وفد من كبار قادة الجيش برئاسة القاضي عبدالله بن راشد ومحمد بن سلطان وفيصل بن حشر وآخرين معهم⁽⁴¹⁾، وكان مضمون رسالة الملك عبدالعزيز هي دعوة أمير عسير إلى اجتماع الكلمة والتعاقد على كلمة الله لتكون هي العليا، وأنه ليس له قصد في الأذى أو التعدي على أمر من أمور الدنيا غير راحة المسلمين؛ إلا أن تعنت ابن عائض أدى إلى وقوع معركة حجلة⁽⁴²⁾، التي انتهت بهزيمته وانتصار الجيش السعودية وأصبح عام 1338هـ⁽⁴³⁾، هو عام انضمام عسير إلى حكم الملك عبدالعزيز وبداية حقبة تاريخية جديدة للمنطقة. وتوالت الأحداث بين من يسعى لإثارة الفتنة والفرقة وبين أنصار الدولة السعودية الحديثة هذا الكيان الوحدوي العظيم، وأطفت نيران الفتنة وتولى الأمير

عبدالعزیز بن إبراهيم أميراً لعسير في أول يوم من شهر رجب عام 1341هـ الذي في إمارته وصله آل عائض بعد أن تخلى عنهم الشريف حسين، فقام بإكرامهم، وبعد ذلك تم نقلهم إلى الرياض⁽⁴⁴⁾، وبذلك ترسخ الحكم السعودي في عسير الذي يُعتبر بداية حقبة تاريخية زاهرة مجيدة للمنطقة. وقد تولى على إمارة منطقة عسير من عام 1338هـ إلى وفاة الملك عبدالعزيز عام 1373هـ عددٌ من الأمراء وهم:

- شويش بن ضويحي 9331هـ عدة أشهر⁽⁴⁵⁾
- عبدالله بن سويلم 9331 - 0431هـ⁽⁴⁶⁾
- فهد بن عبدالكريم العقيلي 0431 - 1431هـ⁽⁴⁷⁾
- سعد بن عفيصان من 1431 إلى نهايتها⁽⁴⁸⁾
- عبدالعزيز بن إبراهيم من بداية 2431هـ إلى منتصفها⁽⁴⁹⁾
- عبدالله بن إبراهيم العسكر من منتصف 2431هـ إلى منتصف 1531هـ⁽⁵⁰⁾
- عبدالعزيز بن عبدالله العسكر من منتصف 1531هـ إلى 2531هـ⁽⁵¹⁾
- تركي بن أحمد السديري من 2531هـ إلى نهاية 4531هـ⁽⁵²⁾
- خالد بن أحمد السديري سنة 5531 - 6531هـ
- تركي بن أحمد السديري سنة 6531هـ - 1731هـ
- ثم تركي بن محمد الماضي عام 1731هـ وهو آخر أمير تولى إمارة منطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز⁽⁵³⁾

تأثيرات الدولة على النواحي الأمنية والعسكرية:

أولاً: أثر الدولة في النواحي الأمنية:

اهتمت الدولة منذ وقت مبكر بحفظ الأمن، وتوجيه مشائخ وأعيان البادية وقبائلها بما يحفظ الأمن حتى أصبح هذا الأمر ليس مصدره أوامر وتوجيهات ولاة الأمر فقط، بل وجدنا الكثير من الوثائق التي تبادر بها القبائل وهي تؤكد على إعطاء الحقوق الشرعية والتساوي والعدل، وكل هذه أمور تدل على استشعار المسؤولية عند أفراد المجتمع مما جعل الأمن يعم منطقة عسير باديتها وحاضرتها، وبما كانت البادية أكثر لما عانوه من ثارات وغزو⁽⁵⁴⁾. وفي الكثير من الوثائق يتضح أثر الدولة التي قام بتوحيدها الملك عبدالعزيز وأسسها وجعل الشريعة الإسلامية دستوراً، وسعى إلى نشر العلم والتعليم، ونشر التعاليم الدينية مما جعل لهذه السياسة التي اتخذها اتجاه أهل البادية من جعلهم في هجر يستقرون بها، ونشر التعليم بينهم وحثهم عليه وانتداب المعلمين لهم.

إن الأمن الذي سعى لإيجاده الملك عبدالعزيز لشعبه ليس الأمن الذي ضد الخوف فقط، بل سعى إلى توفير الأمن الفكري في وقت مبكر فجعل المشائخ والوعاظ يحثون البادية والحاضرة على حد سواء وخاصة البادية منهم على نبذ العصبية القبلية⁽⁵⁵⁾، وحث الناس على طاعة ولاة الأمر وأن طاعتهم من واجبات الدين وسلامة الدنيا، وحرصت الدولة في عهد الملك عبدالعزيز على ذلك كل الحرص وظهرت في خطابات الأمراء الذين يبعثهم والقادة⁽⁵⁶⁾.

لقد فطن الملك عبدالعزيز لمحبة البدوي للغزو فقام باستغلال هذه المحبة والاعتزاز بها ووجهها التوجيه الحسن نحو الأهداف السامية التي جاءت بها التعاليم الدينية بجعله جهاداً في سبيل الله لإيجاد كيان سياسي منظم يوحد هذه القبائل المتناحرة ويجعل عصبيتهم هي للدين وولائهم للإمام⁽⁵⁷⁾، الذي سعى إلى العدالة بينهم في الغنائم التي توزع على جميع المحاربين، وتوزع أيضاً على المحتاجين من الفقراء والمساكين، وهذا أوجد تكافلاً اجتماعياً لدى أهل البادية بخلاف توزيع كسب الحروب السابقة كان أن المستفيد منه هم عليّة القبيلة فقط؛ وقد وجدت وثائق جاء فيها الاهتمام بموارد البادية الاقتصادية ودعمهم مالياً وتعويضاً لهم عما كان يستحصلونه من «الخاوة والضمة» التي كانت تشكل مورداً مالياً جيداً للبدو. وحيث إن الملك عبدالعزيز قد قام بمنع هذه الضرائب إلا أنه قام بالاهتمام بتعويضهم المجزئ، من خلال الهبات والعطايا⁽⁵⁸⁾.

من خلال هذه الوثيقة يتضح اهتمام القيادة بالبادية وبأمورهم الاقتصادية، ولكن بشكل يشملهم، ويساوي بينهم ويسد حاجاتهم، ويوفر عليهم مشقة السفر لقد ساعدت هذه الأعطيات على استقرار الأمن والقضاء على ظواهر السرقة وقطع الطريق والغزو، وربما أخذت التعهدات على زعماء القبائل بعدم القيام ما من شأنه تعكير صفو الأمن، وربما كلفوا وكلفت قبائلهم بحماية الطرق وتحمل مسؤولية تأمينها وحمايتها، وهذا التنظيم عم جميع القبائل البادية التي تمر بها طرق الحج وقوافل المسافرين أو التوجه إلى الأسواق أو غير ذلك. وفي وثيقة مؤرخة في عام 1353هـ جاء فيها ما يعالج الناحية الأمنية، وتم أخذ التعهدات على القبائل وتوضيح حدودها وحدود مسؤولياتها.

حيث ورد ما نصه: «عقدت الهيئة جلساتها وصار درس ومطالعة حدود القبائل المواجهة لخط الطريق.. وتقرر إلزام مشائخ هذه القبائل وعقلائها بمسؤولية وقوع أي حادث في هذا الطريق مما يخل بالأمن العام أو بالمصلحة العامة، وحيث قد أحضرنا جميع مشائخ القبائل وعقلائها الموضحة أسماؤهم بالوجه الثاني من هذه الصحيفة، وتعهد بالمحافظة على سلامة الطريق والأمن فيه جرى تصديقه على أن تعطى صورة للأمراء لمراقبة العمل بموجبه»⁽⁵⁹⁾. وفي وثيقة أخرى تعالج النواحي الأمنية ورد ما نصه: «حضر عقال وأعيان.... وتقابلوا على أمان السبل وجلب العصا كبيراً أو صغيراً...»⁽⁶⁰⁾. ووجدت في وثيقة تغريم قبيلة نكالا لحدوث سرقة ونهب في طريق يمر بها حيث ورد فيها ما نصه: «فأنتم يا مشايخ أقرب ما يكون في السبل من غيركم ومن تعدي على السبل المذكور فما له مدخل أو مخرج إلا من بلادكم ولأجل هذا حملناكم قيمة المال المنهوب...»⁽⁶¹⁾. ومن هذه الوثائق يتضح أن وظائف البدو التي كانت في فترة من الفترات من مصادر اعتزازهم وفخرهم ومن أسباب مداخلة الاقتصاد أصبحت أصبحوا هم رجال الأمن المحافظين على أمن وسلامة الطرق والمستفيدين لها، وحملت المسؤوليات الأمنية والاقتصادية لهذه المهام. وفي المقابل فقد حرصت الدولة على التكافل الاجتماعي والسعي إلى الصرف على البادية ودعمهم مالياً؛ هذا التكامل الذي كان عاملاً من عوامل الاستقرار وشيوع الأمن في المجتمع؛ لأن أغلب أعمال السلب والنهب والغزو كان واقعها في السابق الفقر والفاقة⁽⁶²⁾. ومن ثم فقد اهتمت الدولة

بالصدقات والإكثار منها، وكان شهر رمضان من المواسم التي يستبشر بها المحتاجون والفقراء⁽⁶³⁾. لقد كانت هذه الأعمال الخيرية من أسباب حفظ الأمن واستتبابه ومعاقبة المتعدين على الأنفس والأموال. وكان القضاء يقف موقفاً رادعاً لهؤلاء العابثين وكانت الأحكام صارمة وعاجلة وهذا أمر اتسمت في أحكام القضاة وأعمالهم في منطقة عسير باديتها، وكانت الأحكام الشرعية تستقبل بالترحيب والرضا والقناعة⁽⁶⁴⁾، ولم يحدث أن استؤنف الحكم أو تمت معارضته على أقل تقدير خلال العشرين سنة الأولى من فترة الدراسة في عسير؛ حيث كانت الأحكام تنفذ حرفياً، ولا يقبل التأجيل أو التأخير أو التمييز⁽⁶⁵⁾؛ علماً بأن هناك هيئة تميز الأحكام الشرعية في عسير شكلت بأمر ملكي للنظر في أحكام الشريعة في قضايا منطقة عسير، وجاء في نص هذا الأمر: «حضرة المكرم أمير أبها، حيث قد صدرت الأرادة السنية بالموافقة على تعيين الأشخاص الذين قام أهل طرفكم باختيارهم لهيئة التمييز التي نص عليها المرسوم الملكي الكريم رقم (1555/3/5) بتاريخ 1360/6/27 هـ/ 1941/7/22 م لإبلاغ الأشخاص⁽⁶⁶⁾ المذكورين بمباشرة أعمالهم، المنوه عليها حالاً. والقيام بالمهمة التي أوكلت إليهم، حسبما نص عليه الكتاب الكريم...»⁽⁶⁷⁾. ويكون التنفيذ بعد اكتساب الحكم القطعي أو تمييزه، إلا أن الأحكام كانت تكتسب القطعية بمجرد نطق القاضي بها شفهيًا، والخصمان يتقبلان الحكم بكل رضا⁽⁶⁸⁾ إلا ما استوجب القوة في تنفيذ الأحكام، حيث كان القاضي يخاطب أمير البلد لإرسال ما يعرف بوالي التنفيذ للإشراف على تنفيذ الأحكام⁽⁶⁹⁾؛ والتنفيذ يشمل أطراف الدعوى، وتنفيذ الأحكام القضائية المشكلة دون إثارة إشكاليات أو ماطلات، إلا أننا وجدنا في قضية معينة وجود ماطلة دافعها العصية القبلية، فما كان من أمير المنطقة، إلا أن أمر بالتنفيذ، وأشرف عليه هو، وأهل الخبرة من أعيان المنطقة⁽⁷⁰⁾. ويظهر معنا أن الملك عبدالعزيز في أثناء إنشائه لدولته وتعامله مع البداية في منطقة عسير اتخذ أساليب الترغيب والإقناع والدعم المالي وكان للمخالفين العقوبة الصارمة من قبل قضاء عادل حازم، وكان الملك عبدالعزيز أثناء مسيرته لتوحيد أجزاء المملكة العربية السعودية ملتزمًا بأنه عندما يقوم بتعيين أمير لأي بلد أو جهة يتم ضمها إلى مملكته الناشئة يقوم بتعيين قاض لإقامة الأحكام الشرعية⁽⁷¹⁾.

كانت سنة (1338 هـ)⁽⁷²⁾ تمثل تاريخ نشأة القضاء في عسير في عهد الملك عبدالعزيز، حيث كان الشيخ عبدالله بن راشد⁽⁷³⁾ قاضي الحملة لا يقتصر دوره على الحكم في المخاصمات، وتطبيق الأحكام الشرعية، وتوجيه الجسد، وزجرهم عن الظلم والتعدي، بل مارس بعض الأدوار السياسية المهمة⁽⁷⁴⁾؛ وعين الشيخ عبدالله بن مرعي⁽⁷⁵⁾ قاضي ربيعة ورفيدة قاضيًا لأبها بعد إخراجها من سجن ابن عائض بأبها، وهو أول قاض لأبها يعين بعد القاضي عبدالله بن راشد، ثم خلفه الشيخ ناصر بن عبدالعزيز بن حصام⁽⁷⁶⁾ فالشيخ محمد بن إسماعيل، الذي كان مرافقًا للأمير شويش بن الضويحي⁽⁷⁷⁾ ثم جاء بعده الشيخ محمد عبداللطيف آل الشيخ⁽⁷⁸⁾ الذي خرج مغاضبًا للأمير عبدالله بن سويلم⁽⁷⁹⁾، فالشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ⁽⁸⁰⁾، الذي رافق الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود⁽⁸¹⁾ أثناء حملته لإخماد تمرد آل عائض في منطقة عسير⁽⁸²⁾،

وقد توالى التنظيمات القضائية في عسير غيرها من مناطق المملكة، إلا أن التطبيق في عسير ظهر بشكل جلي في توحيد مرجعية القضاء في الحكم، حيث أصبح المذهب الحنبلي⁽⁸³⁾ مرجعاً للقضاة في عسير، عندما صدر في عام (1346هـ / 1927م) أمر الملك عبدالعزيز بالتزام المذهب الحنبلي في القضاء، وفي حالة الخروج عن المذهب، يلزم تعليل ذلك بالدليل الشرعي.

كان هؤلاء القضاة كعيسى بن رشود، وشعوان بن مشبب في شرق منطقة عسير مرجعاً للأحكام عند البادية وعند غيرهم، بل كانوا سيف عدالة يضرب بقسوة على يد العاشرين والساعين بالفتنة أو السرقة أو النهب. ويتضح في العديد من الوثائق الصادرة حرص الدولة على استتباب الأمن والاستقرار وحفظ الحقوق التي للدولة والتي للناس وإيقاف الفتنة ومثيرها والحرص على مراقبة الأمراء والمسؤولين مثل مراقبتهم للشعب وأفراد المجتمع، وفي وثيقة صادرة من الملك عبدالعزيز تتعلق بتعيين تركي السديري أميراً على عسير⁽⁸⁴⁾ وملاحقاتها صدرت توجيهات الملك عبدالعزيز إلى تكوين لجنة استشارية مع الأمير تركي السديري هذه اللجنة التي رأى الملك عبدالعزيز تكوينها بناءً على رأيه والاستشارة ورد فيها ما نصه: «حبينا سد الغائب والنظر في المقبل فبموجب استشارة بعض كبار المسلمين ورأيي أرسلنا لكم تركي السديري الذي هو مقام حدا أولادي، وأمرته بما يلزم ولا بد أنه مبين لكم بعض أوامري الي أنا أمرته بها»⁽⁸⁵⁾، يلي أمر اختيار تركي السديري أميراً حيث أمر بتكوين مجلس استشاري اختار هو أعضائه وهو مكون من مشائخ القبائل ومشائخ العلم والقضاة، ومنهم مشائخ الحاضرة ومشائخ البادية ويمثلون جميع فئات مجتمع منطقة عسير موضعاً أسماءهم حيث ورد في نص الوثيقة: «اخترنا أن يكون بن مشيط وبن دليم والشيخ فيصل بن مبارك... الخ، وأهل مجلس أبها، أما الأمور اليسيرة يسديها الحاضرون المذكورون والأمور الكبيرة يجتمعون فيها كلهم وهم وترك...»⁽⁸⁶⁾.

إن هذه الإجراءات تدل على حرص الدولة على استتباب الأمن والتثبيت من إجراءات الأمراء والمسؤولين: فمن قضاء حازم عادل، ومن أعطيات مالية متنوعة إلى إيجاد مجلس استشاري ورقابي فيما يخص الحرص على سلامة أفراد المجتمع واستتباب الأمن والحرص عليه وتثبيت دعائمه.

ثانياً: تأثيرات الدولة العسكرية على البادية:

كان الغزو مصدر من المصادر الاقتصادية به عند أهل البادية وقد سعت الدولة إلى إيجاد بدائل اقتصادية مالية أو عينية استفاد منها أمراء ومشائخ ونواب القبائل، وأيضاً عمت بخيراتها على جميع أفراد المجتمع بدون استثناء الكبير والصغير والأنثى والذكر، ولكن الدولة استفادت من المهارات القتالية لأبناء البادية خاصة ولولا أنهم العميق والمبكر للملك عبدالعزيز فكانوا عماد جيوش الملك عبدالعزيز في توطيد الحكم في عسير، وشكلوا هم وأبناء عموماتهم من الحاضرة تكاملاً عسكرياً ساعد على حفظ حدود المنطقة وعلى إطفاء نيران الفتنة وتوطيد الحكم، وأصبح مصطلح الغزو مقروناً بالشوكة⁽⁸⁷⁾، وهي تعني الجيوش المتطوعة التي كانت تتكون من أبناء القبائل بتنظيمات وترتيبات معينة يقومون على اختيار الغزاة وتحديد أعدادهم حسب كبر القبيلة وحسب عدد أفرادها وحسب وضعها المادي واستطلاعهم لتجهيز الغزاة، وفي وثيقة توزيع الغزاة

لقبائل من البادية والحاضرة واختلافات بينهم في تحديد أعداد سبق وتحدثنا عن الغزو وآدابه وقوانينه عند البادية وعرفنا أن الغزاة حيث ورد في هذه الوثيقة ما نصه: «سبب تحرير هذه القاعدة بأننا يا أمراء ونواب وعقال قحطان ووادة حضر وبادية المحررين أسماءنا وحقوقنا أدناه إلى مقام ولي أمرنا هو الأمير الأفخم تركي بن أحمد السديري -حفظه الله- نطلب في السواء في الجهاد المقرر علينا بسبب الزود والنقص والقوة والضعف الحاصل... فلما سمع شكوانا أجاب علينا نجتمع ونتشاور في ذلك وما رأينا الأصلح والأوفق فيما يخصنا أيضاً وأجراه...»⁽⁸⁸⁾ .

ثم يشير المجتمعون أنهم خلصوا إلى رأي واحد وهو أنهم اختاروا أبناء من العقلاء والأخيار من البادية والحاضرة وهم كل من:

1. حسين بن صمان بن سالم⁽⁸⁹⁾ .
2. حسين بن سلطان ابن الحسنية⁽⁹⁰⁾ .
3. محمد بن حية⁽⁹¹⁾ .
4. حامد بن علي بن زهرة⁽⁹²⁾ .
5. ملفي بن سفر⁽⁹³⁾ .
6. سعد بن فرحان بن الحمري⁽⁹⁴⁾ .

ثم يذكرون أنهم راضون بما سيقروونه وورد ما نصه: «يعنون النظر في ذلك وما اقتضاه رأيهم من قرار نقبله ونرضاه».

ثم نجد وثيقة ملحقة بهذه الوثيقة فيها ما نصه: «بيان تفريق غزو قحطان بموجب الأمناء الذين تراضوا عليها الأمراء والنواب والعقال.. جملة الجميع سبعمائة غاز...»⁽⁹⁵⁾ .

ثم في موضع آخر من الوثيقة جاء ما نصه: «السبعمائة غاز المحرر أعلاه قبيلة بقبيلة قد صار تفريقها بمعرفتنا يا أمناء قحطان ليكون معلوماً وبالله الاعتماد في 20 ذي القعدة 1355هـ»⁽⁹⁶⁾ .

ثم جاء مصادقة المشايخ حيث ورد ما نصه: «قد رضينا ما قرروه وقدره أماناؤنا الذي ارتضاهم قحطان للسواء ما هو محرر أعلاه وهذه أسماؤنا وختمونا شاهدة على ذلك وبالله الاعتماد في 21 ذي القعدة 1355هـ»⁽⁹⁷⁾ . وفي ختام الوثيقة جاء اعتماد أمير عسير وملحقاتها مدموغةً بختمه وختم رئيس مالية أبها، حيث ورد فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من قبل تراضي قبائل قحطان المذكور أعلاه بخصوص توزيع جهادهم فقد جرى باطلاعنا فيكون العمل بموجبه ولذا حرر 21 ذي القعدة 1355هـ أمير عسير وملحقاتها ورئيس مالية أبها»⁽⁹⁸⁾ .

إلا أننا نجد في إحدى الوثائق لإحدى قبائل البادية ذكر أنهم قاموا بإعطاء الغزاة المقرر عليهم من قبل الدولة، ولكنهم زادوا العدد بناء على طلب الدولة بما يعرف باسم «النفور» أي النفير وهو عدد مضاف لإعداد الغزاة المقررين وذلك لأسباب تتعلق بأهمية المهمة أو خطورتها وما يتعلق بها حيث ورد في إحدى الوثائق المرفوعة من إحدى قبائل البادية لأحد الأمراء التابعين لأمير عسير وملحقها ما يلي:

«موجبها نخبركم بعدد شوكتنا في الجهاد التي مقررة علينا، وسوف نزيد عليهم من قبل طلبكم أشخاصًا كثيرة ونفره المقررين ونسردهم ونفرد النفور ونسردهم طي الورقة وكل ملزوم في من تبعة ومسؤول عنهم، ونسأل الله الهداية والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»⁽⁹⁹⁾. ثم يرد في الوثيقة أعداد الشوكة المقررين وهو 140 لا غير ثم يشيرون لأعداد الزيادة والذين ميزوا باسم النفير أو النفور حيث بلغ عددهم 172 لا غير أي أن مجموع المشاركين من هذه القبيلة 312 غازي بين شوكة مقررة ونفير زيد تلبيةً لطلب الدولة..

لقد كانت تنظيمات الدولة في ذلك الحين تقضي بأن القبيلة هي المسؤولة على تجهيز الغازي بالسلاح والراحلة (الذلول) والمؤنة والطعام والكساء وكل ما يحتاجه الغازي إلا الذخيرة؛ فقد كانت الدولة تتعهد بتوزيعه وتعد بيانات في ذلك لتوضيح أنواع الذخيرة وأعدادها ومستلزماتها من مشائخ أو من مناديبهم الذين يقومون باستلام الذخائر بالنيابة عنهم، وفي إحدى الوثائق المتعلقة بالغزو وجد خطاب صادر من أمير عسير وملحقاتها عبدالعزيز العسكر إلى أحد المشائخ حيث ورد فيها ما نصه: «وبعد أوجب الحال أنا نمشي في سرية من طرفنا تنزل وتصلح جميع التهم التابعين للسراة فيلزمكم حال وصول الخط إليكم تنظمون لنا ثمانية رجال من الطيبين بسلاح كامل، ومعهم زاد شهر وجمال لذهابهم وخيمة ما لكم عنها عذر والحذر تكاسلون عما ذكرنا فإن نقص منه شيء فأنت المسؤول فيه..»⁽¹⁰⁰⁾. وفي وثيقة أخرى لقبيلة من قبائل البادية صادرة من الإمارة تنص هذه الوثيقة أن الأثاث والأرزاق مسؤولية الشيخ والقبيلة مشيرين إلى أن هذا الأمر أسوة بغيرهم من القبائل حيث ورد فيها ما نصه: «وقبائلكم يذهبون أنفسهم أسوة بالقبائل سنعطي عندما نجتمع بكم»⁽¹⁰¹⁾، وربما وجدت إشكاليات تتعلق بمن يتم اختياره للغزو أو بعض التبعات المالية فيكون صارمًا ويحمل وعيدًا للمخالف، وهذا الوعيد يعطي مجالاً لصاحب الحق في الترافع لدى القضاء، ومن ذلك ما ورد في نص إحدى الوثائق الصادرة من الأمير تركي السديري حيث جاء فيها ما نصه: «من خصوص.. هو أميركم ولا له معارض في إمارته وقد وصيناه بموجب خطابنا في الرجال الطيبين والسلاح الطيب والجمال وذهاب شهر مثل ما أمرنا على القبائل، ومن عارضه أو تكاسل عن أمرنا فلا يلومن إلا نفسه إلا من له دعوى شرع فيقبل إلى طرفنا حالاً يكون معلوم..»⁽¹⁰²⁾.

فيتضح من نص هذه الوثيقة إغلاق باب المعارضات ضد أمير القبيلة وذلك سعيًا لإرساء الأمن المجتمعي، وسعيًا لإيقاف أي أمر يؤدي إلى تأخير تجهيز الغزاة وإن وجدت دعوى صحيحة فمجال إثباتها مفتوح من خلال إجراءات التقاضي الشرعية.. من الأنظمة التي ارتبطت بتنظيم الغزاة والغزو، وما يتعلق فيا من النواحي العسكرية ما يعرف بضريبة الهاد، ففي سند واردات مالية وجد مبلغ 226 غرضًا سعوديًّا و35 إمارة ثم استحصلها من أحد مشائخ البادية، وذلك كضريبة جهاد عام 1353 هـ حيث جاء في نصها: «ورد لصندوق المالية الليلية بأبها المبلغ المرقوم أعلاه وقدره عشرون ريالًا عربيًّا وستة قروش وخمس وثلاثون بارة عن مبلغ مائتين وستة وعشرين قرشًا سعوديًّا وخمسة وثلاثون بارة مناولة من..... وذلك تكملة نصاب جهاد عام 1353 هـ وتحرر هذا إعلامًا بذلك في 1356/2/4 هـ»⁽¹⁰³⁾.

إذا الأمر دفع القبائل إلى إيجاد ترتيبات داخلية تحدد المبالغ التي تدفع لضريبة الجهاد والتي يتم تحصيلها في حالة عدم وجود جهود عسكرية توجب مشاركة القبائل، وفي حالة وجود واجبات عسكرية عرفت باسم (الجهاد) فإن هذه الضرائب لا يتم تحصيلها ويكتفى بما تقوم به القبائل من تحضيرات للغزاة وفي إحدى الوثائق التي كانت تشير إلى ترتيبات إحدى القبائل البدوية فيما يخص أعداد الغزاة وضريبة الجهاد حيث ورد ما نصه: «حساب بدل الجهاد ألف وثلاثمائة وأربعة وثلاثون ريالاً وعند شلت البيرق فغزاتهم اثنان وأربعون رجلاً»⁽¹⁰⁴⁾.

لقد كانت هذه الجيوش من الغزاة أو الشوكة يختارون من أطيب الرجال وأشدّهم، ولم يكن يسمح بأن يكونوا من الضعفاء أو غير المؤهلين على حمل السلاح، وفي إحدى الوثائق ورد فيها ما نصه: «موجب أمر الأمير يقتضي أن تنبه على جميع قبائلكم بإحضار الشوكة العادة، ويكونون متزهبين زهاب شهر كامل، ومسلحين بالسلاح الطيب، ومتحضرين تحت الطلب، ولا يتم عشرون يوماً من شهرنا هذا إلا وهم حاضرون والله الله في الرجال الطيبين، ولا ترسلون عمالاً وما شابههم ودمتم في سلام 1363/2/15 هـ»⁽¹⁰⁵⁾. وفي هذه الوثيقة تنبيه أن يكون المختارون رجالاً أكفاء، وليسوا بضعفاء، ولك أن تتمثل من خلال قراءة هذه الوثائق هيئات هؤلاء الغزاة من أسلاف البادية في منطقة عسير، ومقدار جهودهم وجهود إخوانهم من الحاضرة الذين بذلوا المال والأرواح طاعة لله، ثم لولي أمر المسلمين الملك عبدالعزيز الذين كانوا يرون طاعته قربة دينية يتسابقون في بذل الأرواح في سبيل الله طاعة لله، ثم لولي أمرهم الذي يعاملهم معاملة الأخ بل عامل أعداءه كأبنائه فكيف بمن صدق معه ونصح معه وولاه ونصره. وقد وجد أن البادية هم أكثر أعداد الغزاة في جيوش الملك عبدالعزيز وربما وردت أسماؤهم شيوفاً وقبائل منفردين أو مع غيرهم من أبناء عموماتهم الحاضرة، ومن خلال الاطلاع على هذه الوثائق اتضح للباحث أن البادية في منطقة عسير هم عماد جيوش الملك عبدالعزيز حيث وردت في عدد من البيانات أسماء مشايخ وقبائل من بادية منطقة عسير مذكورة في الأعداد نوردها فيما يلي⁽¹⁰⁶⁾:

اسم القبيلة	الهجرة	أعداد الغزاة	اسم الشيخ أو المسؤول
بادية قحطان	نجد ومنطقة عسير	900	خليل بن عمر
عبيدة	الصبيخة	228	مترك بن شفلوت
آل مسعود والمشاعلة وآل سعد وآل سويدان	تثليث	104	محمد بن جعفر ومحمد بن جخذب ومحاس بن ريحان وهذال الويزي
الحباب	الأمواه وتثليث وما جا ورها	28	جراب بن حسن
	المجموع	1260	

والجدير بالذكر أن أعداد الغزاة لبادية قحطان في منطقة عسير وفي نجد كان كبيراً وفي بعض من الأحيان اجتمع الغزاة من البادية في منطقة عسير ونجد؛ ففي بيان عن أعداد الغزاة في هجر

قحطان وردت العبارة التالية:

أعداد المجاهدين المطلوبين من هجر قحطان (بادية وحاضرة) ⁽¹⁰⁷⁾ وهي كالتالي:

اسم الهجرة	عدد الغزاة
الهايثم حاضرة	800
الهايثم بادية	1000
الحفير	300
الحصاة	800
الرين الأسفل	2000
الرين الأعلى	2000
المجموع	6900

وسبب إيراد هذه السرايا وأعدادهم في نجد ودراستنا تختص بالبادية في منطقة عسير أن هناك روابط عميقة بين بادية منطقة عسير وأبناء عمومته في بادية نجد وحاضرتها وأن أغلب الحواضر كانوا نتيجة لنظام الهجر وإلا فهم بادية يضاف إلى ذلك تشارك بادية منطقة عسير وبادية نجد في كثير من الغزوات والمعارك في ضم منطقة عسير وفي نجران وفي الحجاز وجازان وحرب اليمن وكذلك في حرب فلسطين.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث الذي تناولنا فيه النواحي الأمنية والعسكرية في بادية عسير خلال عهد الملك عبدالعزيز في عام 1338-1373 هـ / 1920-1953 م، تناولنا فيه موقع منطقة عسير، ومحافظاتها، وقبائلها، وطبيعتها، وتاريخها الحديث والمعاصر، وضم عسير للحكم السعودي؛ ثم تم تناول بادية منطقة عسير، ومحيطها وتناولنا مفهوم «البيئة البدوية»، لغةً واصطلاحاً، وخصائص البدو، وشخصية البدوي، وملامح الوضع القبلي لبادية منطقة عسير حتى عام 1338 هـ والفئات الاجتماعية. وقد تبين من خلال الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية والاطلاع على العديد من الوثائق المحلية تمت ملاحظة ما يلي:

1. كثرة النقوش والرسوم والمواقع الأثرية والتي تعد مواد خاماً للدراسات الأثرية والاهتمام بها سياحياً.
2. كثرة المرويات الشفهية «التاريخ الشفهي» الذي تختلط فيه الحقائق بالكثير من الأساطير التي ربما صاغها خيال البدوي فأوجد قوى غير بشرية لها قدرات خارقة؛ مما يجعل هذا الجانب مليئاً بالحقائق التاريخية المشوبة بالأسطورة؛ فكانت مجالاً للبحث والدراسة والتدوين.
3. كثرة الوثائق التاريخية المحفوظة عند العديد من الأسر من أبناء البادية والتي أغلبها غير منشور وأغلب أهلها والمحفظين بها لا يعرفون قيمتها التاريخية المهمة أو أنهم متحفظين لا يريدون نشرها لأسباب غير معروفة لدي.

4. وجود جوانب اجتماعية متميزة للبادية تظهر وجهها المشرق والتي غير معروفة عند الكثير من الباحثين.
5. وجود جوانب مشرفة للبادية في ولائهم وصدق انتمائهم لهذا الوطن وقادته وكثرة المشاركين منهم وكثرة الشهداء مقارنة بغيرهم.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

1. توجيه الباحثين في الدراسات العليا في التاريخ الحديث والمعاصر لدراسة البادية في منطقة عسير وإيجاد موضوعات تتناول البادية في عهد الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية ودور البادية وأهلها في مناصرة الدولة واستيعابهم لمبادئها وإيمانهم بصدق وصحة أهداف أمتها وملوكها قبل الكثير من القبائل ذات الطابع الحضري في المنطقة.
2. إنشاء متحف خاص بالبادية وتراثها المادي والثقافي في منطقة عسير.
3. الاهتمام بتدوين المرويات الشفهية وإصدار إصدارات تتناولها سرداً ودراسةً ونقداً.
4. جمع الوثائق التاريخية تحت مظلة رسمية تتناول البادية والبدو وجميع جوانبها التاريخية والاجتماعية.
5. إعداد أفلام وثائقية تاريخية تتناول البادية وأهلها وحياتهم الاجتماعية.
6. تكليف لجان علمية لإعداد دراسات تراثية وتاريخية تهتم بالبادية وحياتهم وتراثهم.
7. تكوين لجان من أهل البادية وأساتذة التاريخ وعلم الاجتماع والمهتمين بالتراث البدوي لدراسة العادات والتقاليد المتعلقة بحياة أهل البادية وتعزيز الإيجابي منها ومعالجة الظواهر السلبية إن وجدت.

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

من خواصه الطيف عبد الحميد الشيخ الجليل الاخ المكرم الامير مترك عشق بن شفلوت سلم الله تعالى وتلاه
لشوقه لما رضى له سلم عليكم ورحمة الله وبركاته ورجع حب اخي البلاء السلام والسرور على احوالكم
وصحابة ارجاء وما ذكرنا من معلوم وحيتكم انشدنا اخوانه هه هو القدر فيك والواصل اليك الاخوة
فقط عبد الحميد الصبي وعبد الله لهما هه عار وخوفاهم ووصيهم بالرفق واللطف واللين في الدية
والقول باللسان بالنصح والابدية لا احدثت يد الاصغير ولا كبير لا على خاص ولا عام واما الكا
فهو يوفق على الاثني فهدى عبد الله والي غفر له الاخوة ماله برخصه لا في كلام ولا يدت ايدي ولا
تدجوه على البلاء دين يجوزده عارهم في مكانه وزهارهم وخو يحجم تجبهم من البلاد وذكر له
السي وبنيك وترا له حد كلمه او فعل في صغرا وكبره مخالف لشوقتك انت والاخوان
تد العرف فيه انت واعلمنا على الله ثم عليك يا ولد عشق لانا نحن فيك اخبر وانسانا
مع يحاي على ولاية المسلمه كله خونا من رزق سعيه تغفل عنها ويصير ضررها كبير وانت
ان هذه المحمد ناس ما به عرفوا الاسلام وبنو الاخوة يعلمونهم دينهم بسبابه رحمه خلق
لا اهل بانه تعرف حاله كل تنجي خيل الهم ويجعل كذا كذا طوارف السد من باديه وحاضره
يحذر من نعم ضم او امره او نهيه لان عام في زمستان ولا في لبيت اما كذا كذا طوارف الشريف الفقه
وهو حوله لا يغفر ضمهم انه رويهم لاهل تهاه الو ولاية عبد العزيز الله باميرك اخوي الخ
احذر من امور تنفذ تنفذ اياك اياك تنظم من شوقه فهدى عبد الله وانا ما حوت عبد الاخوة
بنا امر رقع والاخوان فيه بركة والنصائح مع الاخوة وفيها كفايه هه هذا لازم
وسلم على من عن عبدك وانت ام وسلم



وثيقة من الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ موجّهة لأحد قادة
البادية العسكرية وهو الأمير مترك بن عشق بن شفلوت عام 1440هـ



وثيقة من الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد للإمام عبدالرحمن الفيصل والد الملك عبدالعزيز يخبره بولاء قبائل البادية وذلك قبل معركة حجلا في شوال عام 1338هـ



خطاب من الأمير عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي والشيخ عبدالله بن راشد يستنهض القبائل حاضرة وبادية للحضور في القاعة

الهوامش:

- (1) عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، أعتنى به عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الخامس، ص: 428.
- (2) صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 2002م، ص: 28.
- (3) علي محمد مزهر، جغرافية عسير، بحث غير منشور، ص: 1.
- (4) عمرة معيض القحطاني وجميلة عمر مدني، المؤشرات الاجتماعية للتنمية بمنطقة عسير، الأكاديمية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد 9، العدد 28، 2018م، ص: 20.
- (5) أحمد بن علي مطوان، بني وقشة في كتب التاريخ.. نسباً ومكاناً، بحث غير منشور، ص: 21.
- (6) إمارة منطقة عسير، محافظات منطقة عسير (WWW.MOI.GOV.SA)، اطلع عليه بتاريخ 2021.
- (7) مزهر، مرجع سابق، ص: 12.
- (8) مزهر، مرجع سابق، ص 14 - 15.
- (9) مزهر، مرجع سابق، ص: 14- 15.
- (10) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة 1419هـ/ 1999م)، ص ص: 13- 20.
- (11) خلف بن دبلان الوديناني، حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي في عسير (1340-1341هـ/ 1922-1923هـ)، الدارة، مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، العدد الأول، المحرم 1426هـ السنة الحادية والثلاثون، ص: 65.
- (12) النعمي، مرجع سابق.
- (13) محمد بن سعد النهاري، صفحات من تاريخ قبائل قحطان المعاصرة في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، الطبعة الأولى، 1437هـ/ 2004م.
- (14) أحمد علي مطوان، مرجع سابق.
- (15) أحمد مسعود آل شوية، درر العقود الفريدة في تاريخ جنب وعبيدة، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 2013م.
- (16) آل مستنير هم في الأصل من قبيلة وقشة نزحوا واستقروا في الروغ في أحد ريفدة والثنية في مركز تندحة، مقابلة مع الشيخ حمد بن سعيد آل حمد المستنيري عام 1430هـ وهي تعد قبيلة مستقلة ونسبها في قبيلة وقشة ثابت.
- (17) مقابلة مع الشيخ صالح بن مانع آل المؤنس عام 1439هـ.
- (18) منصور العسيري، قبيلة عنز بن وائل جذور وحضور، دار الطبائي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016م/ ص: 229 وما ورائها.
- (19) غيثان علي جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الطبعة الأولى، 1413هـ مازن للطباعة.
- (20) مقابلة مع الدكتور محمد سعد آل خزام الواهي، في عام 1440هـ.
- (21) أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، الجزء الأول والثاني، مكتبة دار الطحاوي.
- (22) عبدالواحد محمد دلال، البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، ط1، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ج2، ص: 177.
- (23) منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م، ص ص: 194- 195.

- (24) عبدالله محمد حسين أبو داهش، عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى، الطبعة الأولى، إصدار نادي أدبي الأدبي، 1410هـ/ 1989م/ ص: 25-26.
- (25) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، 1388هـ/ 1968م، ص: 361-362.
- (26) فؤاد حمزة، المرجع السابق، ص: 362.
- (27) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1397هـ/ 1977م، ج2، ص: 247.
- (28) النعمي، مرجع سابق، ص: 34.
- (29) عبدالواحد محمد راغب دلال: البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الطبعة الأولى، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ج2، ص: 186-187.
- (30) المرجع السابق.
- (31) النعمي، عبر في الماضي والحاضر، مرجع سابق، ص: 35.
- (32) تذكر الروايات أن وفد من عسير القبيلة تزعمه محمد بن عبدالرحمن بن عائض وأخيه محمد بن عبدالرحمن وعبدالله بن عبدالرحمن وسعيد بن عبدالرحمن ومحمد بن ناصر آل عايض ويراقدهم جملة من رؤساء ومشائخ القبائل لغرض الحج وقد قاموا بإعلان بوالايتهم للشريف حسين والذي يتضح في أبياتهم التي تغنوا بها أمام الشريف، ومنها:
- (33) أبدى بالله عالم الهول... سلام لك يا بحر عزيز
- (34) يا سيدي لا تحسب الدول... ما دام طاعو لك جبل عسير
- (35) مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز مشبب الذيب المسقى في عام 1436هـ رحمه الله.
- (36) محمد بن عبدالله آل زلفة، مرجع سابق، ص: 57.
- (37) سعد عبدالله جفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد آل جلوي، لضم عسير، بحث غير منشور، ص: 17.
- (38) الشيخ عبدالله بن محمد بن راشد قاضي الجيش الذي بعثه الملك عبدالعزيز آل سعود بقيادة الأمير عبدالعزيز بن مساعد لضم عسير وقد قام بدور فعال في ضم المنطقة وتوطيد الأمن في البلاد، أوفده عبدالعزيز بن مساعد إلى الإدريسي بقصد تحسين العلاقات وعقدت معاهدة بين الإدريسي والملك عبدالعزيز وتبذلت الرسائل والهدايا بين الطرفين.. وقد بقي القاضي عبدالله بن راشد في أبها إلى عام 1340هـ حيث توفي ودفن في مقبرة شمسان جنوب أبها. انظر: هاشم النعمي، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة ما بين (1215 إلى 1415هـ)، صورة في مركز دار ألمع للتراث والثقافة، ص: 250.
- (39) عبدالعزيز بن مساعد بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن سعود، ولد في مدينة الرياض عام 1402هـ كان رفيق الملك عبدالعزيز في كفاحه قاد الكثير من الحملات العسكرية التي أسندت إليه منها عدة مهام في عسير وتولى إمارة القصيم وحائل وتوفي في الرياض عام 1397هـ. انظر: حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد.. حياته ومؤثره، د.ت، د.ط، ص: 23-32، جريدة أم القرى، العدد 425، السنة التاسعة في 8 شوال 1351هـ/ 3 فبراير 1933م، ص: 2، جريدة صوت الحجاز، العدد 45، السنة الأولى، في (11 شوال 1351هـ/ 6 فبراير 1933م)، ص: 4.
- (40) أمين الريحاني، مرجع سابق، ص: 300، هاشم النعمي، مرجع سابق، ص: 354.
- (41) سعيد جفشر، مرجع سابق، ص: 25.
- (42) مقابلة مع الوالد علي بن سعيد بن خزيم نائباً آل خزيم وقشة، والوالد أحمد بن حسين بن شائع المصياد وقشة في عام 1427هـ وكانت كل قبيلة تفد على الأمير وهي تتغنى بأبيات شعرية فيها إعلان البيعة والانضمام للملك عبدالعزيز ومن ذلك «سلام يا جمع الإخوان يا أهل الدين والتوحيد والشارة...»

- (43) جفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن جلوي، مرجع سابق، ص: 32.
- (44) هاشم النعمي، المرجع السابق، ص: 356.
- (45) يعتقد أن المعركة كانت يوم الخميس وأنها استمرت ثلاثة أيام حسب الروايات الشفهية، ومما يرجع أنها كانت يوم الخميس بيت شعر مؤرخ المعركة:
- (46) يوم الخميس أمطر على كل ديره.... وأمطر على حجلا بصفر المعابد
- (47) أمين الريحاني، مرجع سابق، ص: 301.
- (48) غيثان جريس، أوراق من تاريخ عسير، مرجع سابق، ص: 63-68.
- (49) شويش بن ضويحي المطيري: عين أميراً لعسير في شهر جمادى الأولى عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، لم تطل مدته، بقى ثمانية أشهر إلى آخر عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م). انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص: 362.
- (50) عبد الله بن سويلم: باشر عمله في أواخر عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، واستمر لبضعة أشهر. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص: 362.
- (51) فهد بن عبد الكريم العقيلي: تولى الإمارة في جمادى الأولى من عام (1340هـ/ ١٩٢١م)، ثار عليه حسن بن عائض، مما جعل الملك عبد العزيز آل سعود يرسل ابنه الأمير فيصل، على رأس حملة قضت على هذه الثورة. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص: 363-367.
- (52) سعد بن عفيصان: تسلم الإمارة في أبها عام (1341هـ)، لكنه توفي بعد شهرين من توليه الإمارة، فتولى الإمارة بالوكالة محمد بن جيفان. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص: 367-369.
- (53) عبد العزيز بن إبراهيم آل إبراهيم: صدر قرار تعيينه في ١٠ شوال عام (1341هـ/ 25 مايو ١٩٢٣م) وفي عهده استطاع أن يعقد صلحاً مع حسن بن عائض في قصره، استمر في الإمارة ستة أشهر إلى ربيع الثاني عام (1342هـ/ نوفمبر ١٩٢3م).
- (54) انظر: سليمان، حسن حسن، الأمير عبد العزيز بن مساعد حياته ومؤثره، د. ت. د. ط، ص: 23-32؛ مجلة (أم القرى) العدد 425، السنة التاسعة، في ٨ شوال 1351هـ/ 3 فبراير 1933م، ص: 157-181.
- (55) عبد الله بن إبراهيم العسكر: كان أميراً على المجموعة، ثم عين أميراً على أبها في عام (1342هـ/ ١٩٢٢م).
- (56) انظر: النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص: 371-380.
- (57) عبدالعزيز بن عبدالله العسكر، هو ابن الأمير عبدالله بن إبراهيم العسكر.
- (58) تركي بن أحمد السديري: وصل إلى أبها عام (1352هـ/ ١٩٣٢م)، في ظروف صعبة، استطاع بصرامته وحنكته أن يسير الأمور في عسير بكل قوة واقتدار، واستمر أميراً على عسير قرابة تسعة عشر عاماً حتى ١٠ رمضان عام (١٣٧١هـ/ 16 مايو 1954م)، حيث عين أميراً على جازان. انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص: 381-383.
- (59) تركي بن محمد بن تركي بن ماضي من المزاريع من بني تميم، ولد عام (١٣٢٢هـ/ 1904م)، شارك في العديد من المهام كانت بدايتها عام (١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م) وعندما عين ابن عسكر أميراً لعسير، عمل معه كاتباً وأميراً لسره، انتدبه الملك عبد العزيز لعدة مهام رسمية، وبعدها عين أميراً على الظفير عام (1353هـ/ 1934م)، ثم على نجران (1357هـ/ ١٩٣٨م)، ثم أميراً على أبها (١٣٧١هـ/ 1952م)، توفي يوم الثلاثاء 1385/11/8هـ/ 27 فبراير ١٩٩6م. انظر: آل مقويح، عبد الله بن سعيد بن عبدالله، تركي بن محمد بن ماضي 1342-1385هـ دراسة تاريخية وثائقية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1435هـ/ 2013م، ص: 2-12.
- (60) وثيقة مكتوبة لقبيلة شملت جميع فئاتها من بادية وحاضرة محفوظة في مكتبة الباحث برقم (7/369) قي عام 1356هـ.
- (61) يظهر ذلك في الكثير من الوثائق والمخطوطات. انظر: محمد سعد النهاري، صفحات من تاريخ قبائل قحطان المعاصرة، ط3، 1439هـ، الرياض، ص: 498.

- (62) وثيقة رقم (7/617) وتاريخ صفر 1339 هـ ومحفوظ صورة منها في مكتب الباحث.
- (63) صالح عون الغامدي، توطين الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، محمد حسين حسان، توطين البدو في زمن الملك عبدالعزيز، مرجع سابق.
- (64) «خطاب من الملك سعود - رحمه الله - في بداية توليه الحكم إلى الشيخ بن عبود وهو صادر في..... بادية توليه الحكم وسبب إirاده أنه تضمن أن من عادة ابن عبود القدوم إلى الرياض لاستلام العوائد المقررة له في عهد والده الملك عبدالعزيز فسار الملك سعود على سيرة والده ولكن ضاعف العادة المقررة وأمر ببقائهم في ديارهم وستأتي إليهم القواعد المقررة» محفوظة لدى الباحث في مكتبته والمصدر شيخ قبائل آل سعود الحادر الشيخ سعود بن ذيب بن عبود.
- (65) وثيقة رقم (7/518) في عام 1353 هـ ومحفوظة صورتها في مكتبة الباحث.
- (66) وثيقة رقم (7/512) في عام 1352 هـ محفوظة في مكتبة الباحث.
- (67) وثيقة رقم (7/509) في عام 1354 هـ محفوظة في مكتبة الباحث.
- (68) مقابلة مع سعود بن عليان آل خميسة عام 1440 هـ.
- (69) علي محمد شافع، بلاد سنحان وما جاورها، مرجع سابق، ص: 182.
- (70) آل الشيخ، حسن عبد الله، التنظيم القضائي، ص: 20- 21؛ ابن جريس، عسير عصر الملك عبدالعزيز، ص: 73.
- (71) كان ذلك قبل عام (1360 هـ)، حيث تم في هذا العام تعيين هيئة التمييز في أبها، ثم ربطها فيما بعد بتمييز المنطقة الغربية في عام 1364 هـ، برئاسة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، ثم عند توحيد القضاة ربطت بسماحة رئيس القضاة الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ.
- (72) انظر: ابن جريس، غيثان بن علي، عسير في عصر الملك عبد العزيز.. دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية، ط1، 1420 هـ/ 1999 م، ص: 70.
- (73) صدر الأمر الملكي بتعيين حياة للتمييز في أبها، تتكون من: (أ) قاضي أبها الشيخ عبد العزيز الثميري (ب) أمير بني مغيد (ج) رئيس بلدية أبها (د) مدير مدرسة أبها (هـ) الشيخ أحمد أبو هليل (و) الشيخ أحمد الشريف (ز) عبد الله بن مسفر (ح) عبد الله الحمراي.
- (74) وثيقة رقم (843) بتاريخ (1360/12/2 هـ)، بشأن تعيين هيئة التمييز في أبها، مركز دار ألمع لتراث والثقافة.
- (75) ابن جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص: 37.
- (76) ورد في العديد من الوثائق مسمى (والي التنفيذ) وكان من يكلف بتنفيذ الأحكام يعرف باسم (الخدام أو الأخوياء)، كانوا مرتبطين بأمر البلد، وثيقة رقم (11) بتاريخ جمادى الأولى (1371 هـ)، خطاب من محكمة رجال ألمع إلى أمير رجال ألمع، بشأن تنفيذ أحكام صادرة من المحكمة، من قبل ولاية التنفيذ، مكتبة علي بن الحسن الحفظي: مقابلة مع الشيخ محمد بن سعد بن مشهور بال الشواط في منزله، بتاريخ (1434/2/12 هـ/ 25 ديسمبر 2012 م).
- (77) كان ذلك عندما صدرت الأوامر المبنية على الحكم الشرعي، بهدم قصر (قعصوم)، على حدود قبيلتي قحطان وشهران. للاستزادة انظر: آل زلفة، محمد بن عبد الله، المراغة وقصر النائب، دار البلاد، الرياض، ط1، 1423 هـ 2002 م.
- (78) انظر: النعمي، تاريخ عسير، ص: 352، 360؛ آل زلفة، محمد عبد الله، عسير في عهد الملك عبد العزيز، ص: 24- 37.
- (79) وثيقة رقم (بدون)، بتاريخ (1339 هـ)، رسالة من الملك عبد العزيز إلى عدد من مشايخ منطقة عسير تخبرهم بقدوم الشيخ محمد بن إسماعيل قاضياً، وشويش الضويحي أميراً، وأن محمد بن إسماعيل نائب الملك في الأحكام الشرعية والقضاء، محفوظة بمكتبة الباحث.

(80) هو: عبد الله بن محمد بن راشد، تولى عدة مهام في عسير وغيرها بتوجيه من الملك عبد العزيز، ثم رافق الأمير عبد العزيز بن مساعد إلى عسير كقاضٍ للجيش، وقام بعدة مفاوضات سياسية مع مشايخ القبائل في عسير، ومع الأدريسي، وتوفي في أبها عام (1430هـ)، ودفن في مقبرة حي شمسان بأبها. انظر: النعمي، هاشم بن سعيد، شذا العبير، نادي أبها الأدبي، أبها، ط1: (1415هـ)، ص: 250.

(81) ستتضح هذه الأدوار في صفحات قادمة من هذه الدراسة.

(82) عبد الله بن مرعي المسقوي، قاضي ربيعة ورفيدة في أواخر الحكم العثماني، كان معارضا لحسن آل عائض، فقام باعتقاله وسجنه، وبعد ضم عسير تم تعيينه قاضياً لأبها وتم التواصل مع حفيده محمد أحمد يحيى مرعي وقد وجدت منه كل إعانة وتشجيع ووعد بالكثير عن جده القاضي. انظر: النعمي، هاشم بن سعيد تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص: 226- 347.

(83) الشيخ ناصر بن عبد العزيز الحسن الملقب بحصام، عين قاضياً في عسير أواخر عام (1339هـ). وعاصر إمارة ابن سويلم. انظر: النعمي، شذا العبير، ص: 376؛ ابن جريس، غيثان بن علي، أبها حاضرة عسير.. دراسة وثائقية، مطابع الحميض، الرياض، ط2، 1340هـ / 2009م، ص: 154.

(84) شويش الضويحي: سبق التعريف به.

(85) الشيخ القاضي محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، يعد من العلماء البارزين في المملكة العربية السعودية، عين قاضياً في أبها، وخرج مغاضباً للأمير ابن سويلم؛ لسياسته الشديدة على الأهالي، انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ص: 154.

(86) عبد الله بن سويلم: سبق التعريف به.

(87) عبد الله بن حسن بن إبراهيم بن عبد الملك بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان، ولد في حوطة بني تميم، في شهر ذي الحجة (1310هـ) رافق الأمير فيصل بن عبد العزيز أثناء حملته على عسير لإخماد تمرد آل عائض، كانت له أدوار بارزة في تلك الحملة، عين قاضياً لمحكمة بيشة عام (1354هـ). انظر: الزهراني، عبد الله بن محمد بن عائض، تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي، (1344- 1416هـ)، ج5، مطابع بهادر، د ط، (1418هـ)، ص: 196- 299.

(88) الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود: المقصود به الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، ط1400، 5هـ 1980م، ص: 166- 168.

(89) تمرد آل عائض بقيادة حسن بن عائض على أمير عسير فهد بن عبد الكريم العقيلي؛ مما جعل الملك عبد العزيز يرسل ابنه الأمير فيصل، على رأس حملة لإخماد التمرد. انظر النعمي، تاريخ عسير، ص: 363- 367.

(90) هو أحد المذاهب الأربعة المشهورة لأهل السنة والجماعة، ورائده الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى عام (241هـ)، وهو المذهب الذي تبنته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية. للاستزادة انظر: آل دريب، سعود بن سعد، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية، مطابع حيفة للأؤفست. الرياض، ط1، 1403هـ / 1983م، ص: 294- 297؛ آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله، لمحات حول القضاء في المملكة العربية السعودية (1336هـ / 1410م)، عالم الفوائد، ص: 77- 78.

- (91) تركي السديري، سبق التعريف به.
- (92) وثيقة رقم (1/628) صورتها في مكتبة الباحث ومصدرها من مركز ألمع لصاحبه الأستاذ: محمد بن علي آل عبدالمعتالي.
- (93) الوثيقة السابقة، ص: 1.
- (94) حديث للشيخ فهد بن عبدالله بن دليم في ضيافته في عام 1434هـ أثناء حديثه عن جهود أسلافه في قيادة قبائل قحطان في جيوش الملك الموحد الملك عبدالعزيز رحمه الله، مقابله مع الوالد الشيخ عبدالله بن جفشر الحنيش في مذكراته عن مشاركة قبيلته في جيوش الملك عبدالعزيز واستشهاد أحد السرايا المشاركة كاملة في إحدى شوكات جيش الملك عبدالعزيز المقابلة عام 1434هـ.
- (95) وثيقة توزيع غزو قحطان صورة منها في مكتبة الباحث مأخوذة من صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد عبدالمعتالي، ذكر لي الشيخ سعيد بن فهد بن دليم أن أصلها لدى والدة الشيخ فهد بن دليك شيخ شمل قحطان ووادة.
- (96) حسين بن صمان شيخ «ذعي وبني قيس» وأسلافه شيوخ شمل رفيعة كافة مقابلة مع سعيد بن عبود بن غشام في عام 1418هـ.
- (97) حسين بن سلطان بن الحسينية من قبيلة آل بسام عبيدة وهو رئيسها عرف عنه مواقفه الحسنه مع الدولة في عهد الملك عبدالعزيز وهو وأبناء قبيلته لهم مواقف مشرفة مع العديد من القبائل، وهناك عدد من الوثائق تناولت ذلك. انظر: سعيد بن سعد آل سحيم، صفحات من الماضي، فنون التميز للدعاية والإعلان، 1428هـ الرياض.
- (98) محمد بن حبه من قبيلة بني بشر قحطان.
- (99) حامد بن علي بن زهرة من آل جبران الحباب شيخ وله ولأسرته مآثر تاريخيه.
- (100) ملفي بن مسفر لم أجد من يفيدني عنه وأظنه من أهل الطلحه.
- (101) سعيد بن فرحان بن الحمري ولم أجد له ترجمه.
- (102) الوثيقة ملحقه بالوثيقة المشار إليها سابقاً ومصدرها صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد عبدالمعتالي.
- (103) الوثيقة السابقة.
- (104) الوثيقة السابقة.
- (105) الوثيقة السابقة.
- (106) الوثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1360هـ وصورتها في مكتبة الباحث.
- (107) الوثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1352هـ في مكتبة الباحث وهي صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد بن علي آل عبدالمعتالي.
- (108) الوثيقة (224) في 1351هـ صورة في مكتبة الباحث.
- (109) الوثيقة (321) في 1346هـ صورة في مكتبة الباحث.
- (110) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1356/2/4هـ صورة منها محفوظة في مكتبة الباحث والمصدر للدكتور محمد بن سعد آل خدام.
- (111) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورة منها محفوظة في مكتبة الباحث والمصدر مركز رجال ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمعتالي.

- (112) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1369/2/15هـ صورة منها في مكتبة الباحث والمصدر للباحث: علي بن محمد آل شافع.
- (113) انظر: محمد بن سعد النهاري، صفحات من تاريخ قبائل قحطان، مرجع سابق، ص: 505، 506؛ مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد 57، شوال 1419هـ يناير 1999م؛ العمروي، مرجع سابق، ص: 202، 202.
- (114) محمد بن أحمد البديوي، المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات النشر، ص: 271.

المصادر والمراجع:

اولاً:

الوثائق:

- (1) الوثيقة (224) في 1351هـ صورة في مكتبة الباحث.
- (2) الوثيقة (321) في 1346هـ صورة في مكتبة الباحث.
- (3) وثيقة (بدون تاريخ) وبدون رقم وصورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الشيخ محمد بن شويل شيخ آل الجحل.
- (4) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورة منها محفوظة في مكتبة الباحث والمصدر مركز رجال ألمع لصاحبه الأستاذ محمد بن علي آل عبدالمعتالي.
- (5) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورتها في مكتب الباحث.
- (6) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ صورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة من الأستاذ محمد آل سحيم البسامي.
- (7) وثيقة (بدون رقم) وبدون تاريخ وصورتها في مكتبة الباحث وهي صورة من الأستاذ الباحث: سعيد بن سحيم البسامي.
- (8) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1 شوال 1341هـ، صورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الباحث الأستاذ سعيد آل سحيم.
- (9) الوثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1352هـ في مكتبة الباحث وهي صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد بن علي آل عبدالمعتالي.
- (10) الوثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1360هـ وصورتها في مكتبة الباحث.
- (11) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1369/2/15هـ صورة منها في مكتبة الباحث والمصدر للباحث: علي بن محمد آل شافع.
- (12) وثيقة (بدون رقم) وتاريخ 1356/2/4هـ صورة منها محفوظة في مكتبة الباحث والمصدر للدكتور محمد بن سعد آل خدام.
- (13) وثيقة بدون تاريخ وبدون رقم وصورتها في مكتبة الباحث وهي من صورة لدى الشيخ محمد بن ناصر بن شويل شيخ آل الحل.
- (14) وثيقة توزيع غزو قحطان صورة منها في مكتبة الباحث مأخوذة من صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد عبدالمعتالي، ذكر لي الشيخ سعيد بن فهد بن دليم أن أصلها لدى والده الشيخ فهد بن دليك شيخ شمل قحطان ووادة.
- (15) وثيقة رقم (7/509) في عام 1354هـ محفوظة في مكتبة الباحث.
- (16) وثيقة رقم (7/512) في عام 1352هـ محفوظة في مكتبة الباحث.
- (17) وثيقة رقم (7/518) في عام 1353هـ ومحفوظة صورتها في مكتبة الباحث.
- (18) وثيقة رقم (7/617) وتاريخ صفر 1339هـ ومحفوظ صورة منها في مكتب الباحث.

- (19) وثيقة رقم (1/628) صورتها في مكتبة الباحث ومصدرها من مركز ألمع لصاحبه الأستاذ: محمد بن علي آل عبدالمعتالي.
- (20) وثيقة رقم (843) بتاريخ (1360/12/2هـ)، بشأن تعيين هيئة التمييز في أبها، مركز دار ألمع لتراث والثقافة.
- (21) وثيقة رقم (بدون)، بتاريخ (1339هـ)، رسالة من الملك عبد العزيز إلى عدد من مشايخ منطقة عسير تخبرهم بقدوم الشيخ محمد بن إسماعيل قاضيًا، وشويش الضويحي أميرًا، وأن محمد بن إسماعيل نائب الملك في الأحكام الشرعية والقضاء، محفوظة بمكتبة الباحث.
- (22) وثيقة مكتوبة لقبيلة شملت جميع فئاتها من بادية وحاضرة محفوظة في مكتبة الباحث برقم (7/369) قي عام 1356هـ.
- (23) الوثيقة ملحقه بالوثيقة المشار إليها سابقًا ومصدرها صورة من مركز رجال ألمع للأستاذ محمد عبدالمعتالي.
- ثانيًا: الكتب المصدرية:**
- (1) ابن جريس، غيثان بن علي، أبها حاضرة عسير.. دراسة وثائقية، مطابع الحميض، الرياض، ط ٢، 1340هـ/ ٢٠٠٩م.
- (2) ابن جريس، غيثان بن علي، عسير في عصر الملك عبد العزيز.. دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية، ط 1، 1420هـ/ 1999م.
- (3) أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والإسلام، الجزء الأول والثاني، مكتبة دار الطحاوي.
- (4) أحمد بن علي مطوان، بني وقشة في كتب التاريخ.. نسبًا ومكانًا، بحث غير منشور.
- (5) أحمد بن يحيى آل فائع، دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها - 1215 1233هـ - / 1800 1818م، ط 1، 1427هـ/ 2006م، مطابع الحميض.
- (6) أحمد مسعود آل شوية، درر العقود الفريدة في تاريخ جنب وعبيدة، الجزء الأول والثاني، الطبعة الأولى، 1414هـ/ 2013م.
- (7) آل الشيخ، عبد العزيز بن عبد الله، لمحات حول القضاء في المملكة العربية السعودية (1336هـ/ 1410م)، عالم الفوائد.
- (8) آل دريب، سعود بن سعد، التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية في ضوء الشريعة الإسلامية ونظام السلطة القضائية، مطابع حنيفة للأوفست، الرياض، ط 1، 1403هـ/ ١٩٨٣م.
- (9) آل زلفة، محمد بن عبد الله، المراغة وقصر النائب، دار البلاد، الرياض، ط 1، 1423هـ/ ٢٠٠٢م.
- (10) زلفة، محمد عبد الله، عسير في عهد الملك عبد العزيز.

- (11) آل مقويح، عبد الله بن سعيد بن عبدالله، تركي بن محمد بن ماضي 1342-1385هـ، دراسة تاريخية وثائقية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 1435هـ / 2013م.
- (12) إمارة منطقة عسير، محافظات منطقة عسير (WWW.MOI.GOV.SA)، اطلع عليه بتاريخ 2021.
- (13) أمين سعيد: تاريخ الدولة السعودية، دار الكتاب العربي، ج2.
- (14) حسن حسن سليمان، الأمير عبدالعزيز بن مساعد.. حياته ومآثره، د.ت، د.ط، جريدة أم القرى، العدد 425، السنة التاسعة في 8 شوال 1351هـ / 3 فبراير 1933م، جريدة صوت الحجاز، العدد 45، السنة الأولى، في (11 شوال 1351هـ / 6 فبراير 1933م).
- (15) خلف بن دبلان الوديناني، حملة فيصل بن عبدالعزيز آل سعود لترسيخ الحكم السعودي في عسير (1340-1341هـ / 1922-1923هـ)، الدارة، مجلة فصلية محكمة تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، العدد الأول، المحرم 1426هـ السنة الحادية والثلاثون.
- (16) خير الدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1397هـ / 1977م، ج2.
- (17) الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج5، دار العلم للملايين، بيروت، ط1400، هـ5، 1980م.
- (18) الزهراني، عبد الله بن محمد بن عائض، تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي، (-1344 1416هـ)، ج5، مطابع بهادر، د ط، (1418هـ).
- (19) سعد عبدالله جفشر، حملة الأمير عبدالعزيز بن مساعد آل جلوي، لضم عسير، بحث غير منشور.
- (20) سعيد بن سعد آل سحيم، صفحات من الماضي، فنون التميز للدعاية والإعلان، 1428هـ الرياض.
- (21) سليمان، حسن حسن، الأمير عبد العزيز بن مساعد حياته ومآثره، د. ت، د. ط؛ مجلة (أم القرى) العدد 425، السنة التاسعة، في 8 شوال 1351هـ / 3 فبراير 1933م.
- (22) صلاح مصطفى الفوال، علم الاجتماع البدوي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، 2002م.
- (23) عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد الخامس.
- (24) عبدالرحمن الحصين: فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، 1416هـ / 1995م.
- (25) عبدالكريم آل أحمد، مذكرة عن ما رواه الشيخ محمد بن راشد الوقشي القحطاني لجد الأستاذ عبدالكريم آل أحمد، 1443هـ غير منشورة.
- (26) عبدالكريم المطهر، سيرة الإمام يحيى، تحقيق محمد بن عيسى صالحية، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات نشر.
- (27) عبدالله محمد حسين أبو داهش، عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى، الطبعة الأولى، إصدار نادي أدبي الأدبي، 1410هـ / 1989م.

- (28) عبدالواحد محمد راغب دلال: البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران، الطبعة الأولى، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ج2.
- (29) علي آل زحيفة، مذكرة عن معركة جحلا، 1443هـ غير منشورة.
- (30) عمرة معيض القحطاني وجميلة عمر مدني، المؤشرات الاجتماعية للتنمية بمنطقة عسير، الأكاديمية الأمريكية للعلوم والتكنولوجيا، المجلد 9، العدد 28، 2018م، ص: 20.
- (31) غيثان بن علي جريس، أوراق من تاريخ في فترة حكم الملك عبدالعزيز كما أملها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن إلياس، بيادر، نادي أبها الأدبي، العدد 22، 1998م.
- (32) غيثان علي جريس، بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الطبعة الأولى، 1413هـ مازن للطباعة.
- (33) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، 1388هـ/ 1968م.
- (34) مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد 57، شوال 1419هـ يناير 1999م.
- (35) محمد بن أحمد البديوي، المتوكل على الودود عبدالعزيز آل سعود، نسخة مصورة في مكتبة الباحث بدون معلومات النشر.
- (36) محمد بن سعد النهاري، صفحات من تاريخ قبائل قحطان المعاصرة في المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربي، الطبعة الأولى، 1437هـ/ 2004م.
- (37) محمد بن عبدالله آل زلفة: عسير في عهد الملك عبدالعزيز، الطبعة الأولى، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، 1415هـ/ 1995م.
- (38) محمد بن معيض أبو مخزوفة آل عاطف، من شعراء قحطان القدامى، ديوان ابن عاطف الحبابي، الدار السعودية للنشر والتوزيع، بدون معلومات للنشر.
- (39) محمد سعد النهاري، صفحات من تاريخ قبائل قحطان المعاصرة، ط3، 1439هـ الرياض.
- (40) منصور العسيري، قبيلة عنز بن وائل جذور وحضور، دار الطبائي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2016م.
- (41) منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، الدولة السعودية الأولى، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، 1413هـ/ 1993م.
- (42) ناصر بن سيف بن سعد بن نورة الحرقان، روضة بن نورة ورسالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل آل سعود، رحمه الله، بدون معلومات نشر، 1338هـ/ 2017م، نسخة مصورة في مكتبة الباحث.
- (43) النعمي، هاشم بن سعيد، شذا العبير، نادي أبها الأدبي، أبها، ط1: (1415هـ).
- (44) هاشم النعمي، تاريخ عسير في الماضي والحاضر، (الأمانة العامة للاحتفاء بمرور مائة عام على تأسيس المملكة 1419هـ/ 1999م).

(45) هاشم النعمي، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير في الفترة ما بين (1215 إلى 1415هـ)، صورة في مركز دار ألمع للتراث والثقافة.

(46) يوسف ياسين، الرحلة الملكية، دار الملك عبدالعزيز، 1419هـ.

ثالثاً:

المقابلات:

- (1) مقابلة مع الأستاذ عبدالكريم بن محمد بن هادي عام 1438هـ.
- (2) مقابلة مع الأستاذ علي بن محمد بن عون العسيري عام 1433هـ.
- (3) مقابلة مع الدكتور محمد سعد آل خزام الواهبي، في عام 1440هـ.
- (4) مقابلة مع الدكتور: عوض آل ناجي، 1443هـ رواية عن والده الشيخ عبدالله بن ناجي من قبيلة آل حبشي من قبيلة بني مالك عسير.
- (5) مقابلة مع الشيخ حمد بن سعيد آل حمد المستنيري عام 1430هـ وهي تعد قبيلة مستقلة ونسبها في قبيلة وقشة ثابت.
- (6) مقابلة مع الشيخ سعيد بن علي بن فهاد ابن جافل، عام 1443هـ.
- (7) مقابلة مع الشيخ سعيدان بن جريدان آل مهمل آل شنان، عام 1419هـ.
- (8) مقابلة مع الشيخ صالح بن مانع آل المؤنس عام 1439هـ.
- (9) مقابلة مع الشيخ عبدالعزيز مشبب الذيب المسقي في عام 1436هـ رحمه الله.
- (10) مقابلة مع الشيخ عجم بن مطارد وكان ذلك في حديث جانبي معه في مجلس الأمير نواف الشعلان في عام 1443هـ.
- (11) مقابلة مع الشيخ علي بن فهاد بن جافل رحمه الله عام 1419هـ.
- (12) مقابلة مع الشيخ محمد بن سعد بن مشهور بال الشواط في منزله، بتاريخ (12/2/1434هـ/ 25 ديسمبر 2012م).
- (13) مقابلة مع الشيخ مسفر بن عوض بن جفشر آل حنش، ويذكر أن عمره آن ذاك عشرون سنة، المقابلة عام 1410هـ.
- (14) مقابلة مع الشيخ مسفر بن غاصب عام 1443هـ مقابلة مع الشيخ علي بن فهاد ابن حافل عام 1420هـ.
- (15) مقابلة مع الشيخ مسفر بن فهد آل غاصب نقلًا عن الشيخ بجاد بن قبلان من بجاد شيخ قبائل آل الجرو، عام 1442هـ.

(16)مقابلة مع الشيخ مضواح بن حسين آل حمران وكان والده أحد المشاركين في المعركة، المقابلة عام 1429هـ.

(17)مقابلة مع الوالد الشيخ أحمد بن حسين آل شايع المصياد وقشه، ومع الأستاذ علي بن محمد آل محسنه الأزرقى. نقلًا عن ابن قوشع من الوادي الأبيض من قبيلة آل معمر وكان أحد من حضر هذه الواقعة المكانية المقابلة في عام 1433هـ.

(18)مقابلة مع الوالد علي بن سعيد بن خزيم نائبًا آل خزيم وقشة، والوالد أحمد بن حسين بن شائع المصياد وقشة في عام 1427هـ وكانت كل قبيلة تفد على الأمير وهي تتغنى بأبيات شعرية فيها إعلان البيعة والانضمام للملك عبدالعزيز ومن ذلك «سلام يا جمع الإخواني يا أهل الدين والتوحيد والشارة...».

(19)مقابلة مع سعود بن عليان آل خميسة عام 1440هـ.

(20)مقابلة مع سعيد بن عبود بن غشام في عام 1418هـ.

(21)مقابلة مع علي بن محمد بن شافع السخاني، 1443هـ.

المصنفات العلمية لعلماء الأسر الشافعية المكية من القرن الثامن إلى العاشر الهجري-الرابع عشر إلى السادس عشر الميلادي (دراسة تاريخية تحليلية)

باحثة- المملكة العربية السعودية

أ.أروى علي الزهراني

المستخلص:

تسعى الدراسة لتحقيق الهدف الأساسي وهو إلقاء الضوء على الكثير من علماء الأسر الشافعية في مكة المكرمة، وتوضيح المكانة العلمية والنتائج العلمية الذي أسهم في ازدهار الحياة العلمية بمكة المكرمة خلال فترة الدراسة (القرن 8 - 10 هـ / 14 - 16 م) و اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي ، وذلك من خلال استقراء النصوص التاريخية، واستقصاء المعلومات عن الأسر الشافعية المكية خلال فترة الدراسة من مصادرها الأصلية والفرعية ما تيسر من ذلك، وعملت على تصنيفها وترتيبها وتوظيفها لخدمة الدراسة بعد مقارنتها ببعضها البعض، ثم إدراجها تحت العنوان الخاص بها متبعة الأسس المنهجية، ومستخدمة الأسلوب العلمي في صياغة المادة العلمية وفق عناوين الدراسة.ومن أهم نتائج الدراسة مايلى:أكدت الدراسة أن من أكبر الأسر الشافعية المكية التي اهتمت بعلم الفقه وأصوله أسرة بني ظهيرة، فهي الأسرة التي اشتهر عنها كثرة الفقهاء بمكة المكرمة،أكدت الدراسة أن من أشهر الأسر العلمية الشافعية المكية التي اهتمت بعلم الحديث أسرة الطبري وأسرة بني ظهيرة وأسرة بني فهد، فقد ظهر منهم أكبر محدثي مكة المكرمة الذين كان لهم دور بارز في إثراء الحياة الدينية بمكة المشرفة. أوضحت الدراسة أن الشعر نشط في مكة المكرمة وتميز على غيره من فنون اللغة العربية، فقد كثر الشعراء من الأسر الشافعية المكية، وتميز شعرهم بالقوة والأصالة، فأسرة بني ظهيرة و الطبري و الزمزمي برعوا في نظم شعر المدائح النبوية، وفي نظم شعر مدح الأمراء والحكام فقد برعت أسرة ابن العليف..كثرة الأدباء والنحاة من الأسر الشافعية المكية، فقد كان لهم أثر واضح في إثراء الحركة العلمية والأدبية في المجتمع المكي وذلك بمشاركتهم في التدريس وإنتاجهم المؤلفات اللغوية والأدبية . مؤلفات الفهود تعتبر من أهم المصادر عن تاريخ مكة المكرمة، فقد تركوا وخلفوا لنا كنزاً تاريخياً تفتخر به الأمة الإسلامية على مر العصور، ويعتبر النجم بن فهد من أبرز المؤرخين المكيين الذين كان لهم إسهام كبير في إثراء المكتبة العلمية التاريخية ودور بارز في حفظ تاريخ البلد الأمين. احتوى بعض المؤلفات التاريخية على معلومات جغرافية لأهم المعالم والجبال والأودية بمكة المكرمة، وخاصة مؤلفات بني فهد.

الكلمات المفتاحية:المصنفات. العلمية. مكة المكرمة. الأسر. الشافعية. العلماء. المؤلفات.

**Scientific works of scholars of the Shafi'i families of Mecca from the eighth to the tenth century AH - the fourteenth to the sixteenth century AD.
(Analytical historical study)**

Arwa Ali Al-Zahrani, researcher, Kingdom of Saudi Arabia.

Abstract:

The study seeks to achieve the main objective, which is to shed light on many scholars of the Shafi'i families in Makkah Al-Mukarramah, and to clarify the scientific status and scientific output that contributed to the flourishing of scientific life in Makkah Al-Mukarramah during the study period (8-10 AH / 14-16 AD). In this study, I followed the analytical, descriptive, historical approach, by extrapolating historical texts and surveying information about the Shafi'i Meccan families during the study period from their original and subsidiary sources as much as possible, and worked on classifying, arranging and employing them to serve the study after comparing them to each other, and then including them under the title It follows the methodological foundations and uses the scientific method in formulating the scientific material according to the titles of the study. Among the most important results of the study are the following: The study confirmed that one of the largest Meccan Shafi'i families that cared about the science of jurisprudence and its origins was the family of Bani Dhahira. The study confirmed that among the most famous Shafi'i Meccan scholarly families that cared for the science of hadith were the Tabari family, the Bani Dhahira family, and the Bani Fahd family In honorable Mecca. The study showed that poetry is active in Makkah Al-Mukarramah and distinguished from other arts of the Arabic language. There were many poets from the Shafi'i Makkah families, and their poetry was distinguished by strength and originality. Ibn Al-Aleef. The large number of writers and grammarians from the Shafi'i Meccan families, they had a clear impact in enriching the scientific and literary movement in the Meccan society through their participation in teaching and their production of linguistic and literary works.-The writings of the Panthers are considered one of the most

important sources on the history of Makkah Al-Mukarramah, as they left behind us a historical treasure that the nation is proud of. Al-Najm bin Fahd is considered one of the most prominent Meccan historians who had a great contribution to enriching the historical scientific library and a prominent role in preserving the history of the honest country. Some historical books contain geographical information about the most important monuments, mountains and valleys in Makkah Al-Mukarramah, especially the books of Bani Fahd.

المقدمة:

يتزعرع العلم ويزدهر حيث يسود الأمن والاستقرار، فمكة المكرمة أرض أمن وأمان مهبط الوحي ومنبع الرسالة ومنها شع النور إلى العالم ، فهي قبة المسلمين والمكان الذي تهفو إليه نفوس المسلمين وتطمئن إليه أفئدتهم.

فلا شك بأن تكون الحياة العلمية فيها مزدهرة بسبب مكانتها الدينية، فوجود الحرم المكي الشريف يعطيها طابعاً علمياً متميزاً.

فتعتبر مكة المكرمة مركز الثقافة الإسلامية ومنازة للعلم وموطئاً للعلماء، فقد حُرِجت الكثير من نوايخ العلماء، وقدم إليها الكثير من مشاهير العلماء، كما سكنها الكثير من الأسر العلمية، ومن ضمن هذه الأسر: (الأسر الشافعية)، فهي أسرة علمية لها مكانة مرموقة تنتسب إلى علم من أعلام المسلمين وإمام من أمتهم وهو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ت204هـ/ 820م. وقد سكنت مكة المكرمة الكثير من الأسر العلمية الشافعية التي حظيت بمكانة علمية متميزة، وشاركوا في إثراء الحياة العلمية في مكة المكرمة، وبرعوا في جميع جوانب العلم والمعرفة، فألفوا الكثير من الكتب والمصنفات في جميع التخصصات، فكان نتاجهم العلمي خير شاهد على ذلك.

النتاج العلمي لعلماء الأسر الشافعية المكية:

لقد اهتم الكثير من أبناء الأسر الشافعية المكية بدراسة العلوم الشرعية والعربية والاجتماعية فبرعوا وتميزوا حتى تمكنوا بالتأليف والتصنيف فيها، فقد شهدت مكة المكرمة خلال الثلاثة القرون 8-10هـ/ 14-16م الكثير من المؤرخين والمصنفين والمؤلفين الذين كان لهم دور بارز في إثراء الحياة العلمية بمكة المكرمة. ومن العوامل والأسباب التي ساعدت على نهوض العلوم وتنشيط الحركة العلمية بمكة المكرمة اهتمام أمراء الحجاز بالحركة العلمية والفكرية وذلك بحث العلماء وتشجيعهم على التصنيف والتأليف في مجالات العلم المختلفة ودعمهم مادياً ومعنوياً.(١) وقد نشطت حركة التأليف في هذه الفترة وكثرت المؤلفات العلمية وخاصة كتب التراجم الضخمة، فكان بعض العلماء والمؤلفين ينسخون لأنفسهم ما ألفوا من كتب كما أنهم ينسخون لغيرهم، وهذا كله ساعد على إثراء الحياة الفكرية بمكة المكرمة.(٢)

أولاً: العلوم الشرعية:

اشرف العلوم وأفضلها العلوم الشرعية، لأن بها سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، فهي أفضل ما يتعلمه الإنسان في حياته، وكانت العلوم الشرعية ذات الحظ الأوفر في الانتشار من بين العلوم الأخرى، فقد ظهرت مجموعة من العلماء الذين أثروا المكتبات العربية بعدد وافر من العلوم الشرعية المتنوعة، من أهمها: علم القراءات والتفسير والفقه والحديث، ولقد برع العديد من أبناء الأسر العلمية الشافعية المكية في هذه العلوم والتأليف فيها.

أهم من شارك في إثراء الحياة العلمية بمكة المكرمة بتأليف الكتب الشرعية من الأسر الشافعية المكية من يلي:

- الشيخ إبراهيم بن محمد الطبري المكي الشافعي ت722هـ/1322م. له ثلاثة مصنفات في علم الحديث، وهي: الأربعون الشافعية، والصاحح العوالي، والمخلص في معرفة علوم الحديث.(٣)
- ومحمد بن موسى المراكشي المكي الشافعي ت823هـ/1420م برع في علم الحديث فألف ثلاثة كتب وهي كتاب احتوى على أربعين حديثاً متباينة الأسانيد والمتون موافقات لأصحاب الكتب الستة، وشرح نخبة الفكر في مصطلح الحديث، وألف مختصر علوم الحديث على طريقة ابن الصلاح.(٤)
- ومن أسرة بني شيبه تميز الشيخ محمد بن علي الشيبني المكي الشافعي ت837هـ/1433م. بالتأليف في المجال الديني فله في علم الفقه خمسة كتب، وهي: كتاب اللطف في القضاء، وكتاب شرح على الحاوي الصغير للقزويني، وكتاب تعليق على الحاوي، وكتاب النجح والظفر في أحكام السفر، وكتاب لمع البرق في السير إلى بلاد الشرق.(٥)
- ومن أسرة بني ظهيرة برع الشيخ محمد بن ظهيرة المكي الشافعي ت861هـ/1457م في علم الفقه فألف فيه ثلاثة كتب وهي: كتاب شرح الحاوي، وكتاب جمع الجوامع، وذيل على طبقات الفقهاء للسبكي، حتى أصبح عالم الحجاز وقيهاها.(٦)
- وتميز عميد أسرة بني فهد الشيخ محمد بن فهد المكي الشافعي ت871هـ/1466م بكثرة التأليف في علم الحديث فمن أشهر مؤلفاته: كتاب الجنة بأذكار الكتاب والسنة، وكتاب وسيلة الناسك وذكره في المناسك، وكتاب التذهيب، وكتاب بشرى الوري بما ورد في حراء، وكتاب اقتطاف النور بما ورد في ثور، وكتاب الإبانة لما ورد في جعرانة، وكتاب تقريب البعيد مما ورد في يومي العيد، وكتاب المنتقى من الثقفيات، وكتاب طرق الإصابة بما ورد في الصحابة، وكتاب بهجة الدماثة بما ورد في المساجد الثلاثة، وكتاب عمدة المنتحل وبلغة المرتحل، وكتاب غاية القصد والمراد من الأربعين العالية الإسناد، وكتاب الإشراف على الجمع بين النكت الظرف، وتحفة الإشراف بمعرفة الأطراف.(٧)
- أما المؤرخ عمر بن فهد المكي الشافعي ت885هـ/1480م فله عدة مؤلفات في علم الحديث من أشهرها: المسلسلات والعشاريات.(٨)

- ولابنه يحيى بن عمر بن فهد المكي الشافعي ت885هـ/ 1480م مؤلفات من أشهرها اختصر مجمع الأمثال للميداني والدلائل إلى معرفة الأوائل.(٩)
- والشيخ حسين بن أحمد الكيلاني المكي الشافعي ت889هـ/ 1484م له شرح الأربعين النووية.(١٠)
- وقد ظهر من أسرة بني ظهيرة الشيخ أبو بكر بن ظهيرة المكي الشافعي ت889هـ/ 1484م الذي تميز بتأليف الكتب في علم الفقه، وله عدة مؤلفات منها: كفاية المحتاج إلى الدماء الواجبة على المعتمر والحاج، وبلوغ السؤل في بسط روضة الرسول عليه الصلاة والسلام، وغنية الفقير في حكم حج الأجير.(١١)
- ومن أسرة الفاكهي ألّف الشيخ محمد بن محمد الفاكهي المكي الشافعي ت892هـ/ 1487م في علم الفقه أوراقًا في أحكام الصلاة.(١٢)
- وأما الشيخ أحمد بن صدقة العسقلاني المكي الشافعي ت905هـ/ 1500م فله شرح الورقة في الأصول لابن جماعة.(١٣)
- للشيخ محمد بن ظهيرة المكي الشافعي ت910هـ/ 1505م تأليف في علم الفقه وهو شرح الإبحار للنووي في المناسك.(١٤)

ثانيًا: العلوم اللغوية والأدبية .

اللغة العربية من أسمى اللغات وأحسنها، بها تتميز الفنون وتعلو العلوم، وبها تتكون الثقافة الإسلامية المتميزة، فهي لغة مصدري التشريع في الإسلام؛ لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف، لها مكانة سامية من بين اللغات الأخرى، وبانتشار الإسلام ارتفعت مكانتها في الأقطار الإسلامية، وقد لقيت اهتمامًا على مر العصور، فقام الكثير من علماء اللغة بالتأليف والتصنيف فيها، وفي مكة المكرمة خلال القرون الثلاثة للدراسة 8-10هـ/ 14-16م ظهر عدد غير قليل من الأدباء والنحاة من الأسر الشافعية المكية الذين كان لهم أثر في الحركة العلمية الأدبية سواء بمشاركتهم في التدريس أو بإنتاجهم المؤلفات اللغوية والأدبية.

وتنقسم علوم اللغة العربية إلى قسمين:

أ/ العلوم اللغوية ، وتشمل:

- أ. علم النحو ، وهو -كما يقول عنه علماء اللغة-: «قانون تأليف الكلام وبيان لما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجملة حتى تتسق العبارة وتؤدي معناها»(١٥).
- فهو من أسمى وأنفع العلوم العربية، أما الغاية الأساسية من تعليم القواعد النحوية فتتمثل في استخدام اللغة العربية استخدامًا صحيحًا خاليًا من اللحن في الكلام والخطأ في الكتابة(١٦).
- ب. علم الصرف هو: «علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء»(١٧).

وثمره علم الصرف في شينين هما:

الأول: صون اللسان عن الخطأ في نطق المفردات العربية.

الثاني: صون العلم عن الخطأ في الكتابة بمراعاة قوانين اللغة في ذلك (١٨).

كان العلماء في البداية يعدون النحو والصرف علماً واحداً كما فعل سيبويه (١٩) في أول كتاب حين جمع العلمين معاً، إلى أن جاء معاذ الهراء النحوي الكوفي (٢٠) المتوفي سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م وجعل مسائل علم الصرف في مصنف مستقل عن النحو، فسار علماء اللغة العربية على نهجه وجعلوا علم الصرف جزءاً والنحو جزءاً آخر (٢١).

ب/ العلوم الأدبية : وتنقسم إلى قسمين:

أ. علم الأدب وهو: «علم صناعي يُعرف به أساليب الكلام البليغ في كل حال من أحواله» (٢٢).

*ب. الشعر : فن الشعر من أشهر الفنون الأدبية وأكثرها انتشاراً، فهو الصورة التعبيرية الأدبية الأولى التي ظهرت في حياة الإنسان منذ العصور الأولى، وله عدة أغراض (٢٣). وقد اهتمت الأسر الشافعية المكية بالشعر وخاصة شعر المديح، فمدحوا الأمراء والأشراف والحكام وخاصة أمراء مكة المشرفة، وبرعوا في المدائح النبوية أكثر، فتميز شعرهم بالقوة والأصالة. ومن مشاهير علماء اللغة العربية من الأسر الشافعية المكية خلال هذه الفترة من يلي:

- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي (ت ٧٢٢هـ - ١٣٢٢م). يُعد من أشهر أسرة الطبري اشتغلاً بعلوم اللغة العربية، فقد نظم قصيدة في مدح الرسول ﷺ سَمَّاهَا «العقد الثمين في مدح سيد المرسلين»، وله أيضاً قصيدة في أولي العزم من الرسل يقول في مطلعها: فنوح وإبراهيم الذبيح ويوسف ووالد يعقوب أيوب وداود

وموسى وعيسى والنبي محمد أولي العزم فاعلمهم فاعلمكم محمود (٢٤)

- ولعبد الله بن أسعد اليافعي المكي الشافعي (ت ٧٦٨هـ - ١٣٦٧م) كتاب في اللغة بعنوان «نزهة العيون والنواظر في الوجوه والنظائر»، وكما له قصيدة تبلغ ثلاثة آلاف بيت في العربية (٢٥).

- أما نور الدين علي بن محمد بن أبي بكر العبدري الشيبني الحنبل المكي الشافعي (ت ٨١٥هـ - ١٤١٢م) تلقى العلم على يد نخبة من الشيوخ منهم: الجمال بن عبد المعطي والأميوطي وابن حبيب وغيرهم فكان مهتماً بالأدب اهتماماً كبيراً حتى برع فيه، وسبقه في ذلك والده (ت ٨٢٧هـ - ١٤٢٣م) فقد كان لديه معرفة بالأدب والنظم والنثر، وله قصيدة سَمَّاهَا «مساعدة الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب» في عدة مجلدات، ولأخيه حسن المولود سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م شرح على «مساعدة الطلاب في نظم القواعد»، ثم ألحق بها نظماً سَمَّاهَا «كلمات المغني» وشرح ذلك، فقد كانت أسرته مهتمة باللغة العربية ونتاجهم الأدبي خير شاهد على ذلك. (٢٦).

- ولمحمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي المخزومي المكي الشافعي (ت ٨١٧هـ - ١٤١٤م)

معرفة جيدة باللغة العربية وعلومها، فقد كان شاعراً بارعاً تميز شعره بالكلمات الهادفة والمعاني الجميلة فمن نظمه:
يا صاح لازم حديث المصطفى فبه تنال لا شك في الدارين تأصيل
ومن نظمه أيضاً:

واقراً السلام على خير الأنام ومن أُسري به ورفيق السير جبريل (٢٧)
- عبد اللطيف بن أحمد بن علي الفاسي المكي الشافعي (ت 822هـ - 1419م). يُعد من أشهر أسرة الفاسي اشتغلاً بعلوم اللغة العربية، لديه اهتمام بالمعاني والبيان، وكان سريع الكتابة جميل الخط (٢٨).
- وبرع محمد بن موسى بن علي المكي الشافعي (ت 823هـ - 1420م) في العربية وانتفع كثيراً بزواج أمه خليل بن هارون الجزائري، وتقدم في الأدب تقدماً جيداً (٢٩).
- وقد نبغ في اللغة العربية من أسرة بني ظهيرة أحمد بن محمد بن ظهيرة المكي الشافعي (ت 827هـ - 1424م)، وحضر عند الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد الوانوي دروساً كثيرة في العربية، وكان شاعراً ومن نظمه:
دماء حج على أنواع أربعة تفصيلها من خلال النظم منشور (٣٠)
- علي بن أحمد بن محمد بن سلامة الشافعي المكي (ت 828هـ - 1425م). كان شاعراً بارعاً، من نظمه:

خير الهدايا من أباطح مكة دعوات صدق من أخ لك قد صفا
وقت الطواف وفي السجود وعندما يمضي إلى المسعاة من باب الصفا
ومما كتب به إلى الشيخ ابن الجزري مع هدية ماء زمزم:
ولقد نظرت فلم أجد يُهدى لكم غير الدعاء المستجاب الصالح
أو جرعة من ماء زمزم قد سُمّت فضلاً على مد الفرات السائح
هذا الذي وصلت له يد قدرتي والحق قُلْتُ ولستُ فيه بمزاح (٣١)
- وبرع في الأدب محمد بن علي بن أبي بكر القرشي الشيبني المكي الشافعي (ت 837هـ - 1433م). وله عدة مصنفات منها: «طيب الحياة» في مجلدين، «وقلب القلب» في ثلاثة مجلدات، «وتمثال الأمثال» في مجلدين، وله كذلك «بديع الجمال المعلم في ما لا يعلم ويعلم» و«الأشعار في محارِق الأشعار» مجلد واحد، «وعرض الإصابة في شعراء الصحابة» في عشرة مجلدات، «ومعلم الأطراف في شعر الأشراف» في مجلد واحد، «وطرف الطرف» في أشعار الخلفاء» في عشرة مجلدات، «وإزالة الشكوك في شعر الملوك» في ثمانية مجلدات، «ونور الأعيان في شعر العميان» في عشرين مجلداً، «وعلامه العنوان في شعر النسوان» في مجلد واحد، «ونور الإنسان في محاسن الإنسان»، وله كذلك «قلايد النحر في أوصاف البحر» (٣٢). ونلاحظ أن كثرة المصنفات التي صنفها الأديب محمد إنما تدل على تفوقه وتميزه عن غيره، فالنتاج الأدبي الذي خلفه خير شاهد على ذلك.

— علي بن داود بن علي الكيلاني المكي الشافعي (ت 842هـ - 1439م). اهتم بدراسة اللغة العربية، وله نظم حسن، ومن نظمه قوله في دار الخواجا بدر الدين الطاهر لما أن عمرها:

دار بدر خبرة للسائلين قد نشأت في مكة للواردين
آمن من أمها من خائفين ادخلوها بسلام آمنين
- وقوله في دار الخواجا بدر الدين وكان التقي بن فهد هو من قام بعمارته:
دار بها كل السعادة والهنا الله يمتع بالهنا سكانها
سعد السعود بدابها من طالع شيخ الحديث مشيد بنيانها
همم له عمرت بها عرصاتها أعلى بها رأس القصور وشانها (٣٣)

— يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي (ت 843هـ - 1440م). تميز في علم النحو، وعُني بالشعر فنظم الشعر الحسن (٣٤).
— حسين بن محمد بن حسن المكي الشافعي. (ت 856هـ 1452م) كان ماهراً في علوم اللغة والأدب ولا سيما الشعر، وخاصة في باب المديح، فامتدح به الأمراء والحكام، وخاصة أمراء مكة المكرمة، وكما برع أيضاً في علم النحو، فقد كان والده المتوفى (815هـ / 1412م) مهتماً باللغة العربية وألف كتاباً في الأدب سماه «كشف القناع في وصف الوداع» ومن نظمه:

ألا ليت شعري هل أبقيت ليلة
وقد جد لي نحو النبي رحيل
على ضمير مثل القسي نواجز
بمراجيح أدنى سيرهن دميل
وهل أرد الزرقاء زرقاء طيبة
حل بها صاحب الفؤاد عليل
وأدخل من باب السلام مسلماً
على المصطفى يا حبذاك رسول
شفيع إذا لم يلق في الخلق شافع
له الجاه في يوم المعاد طويل
وأقصد أرض الشام بعد زيارتي
وتبدو لعيني قدسها وخليل
وأشرب من عين سلوان شربة
بها الداء يشفى والغرام يزول
وأرجع من عامي إلى أرض مكة
فيا حبذا سيداً لنا وقبول

وقد نلت من شد الرحال ثلاثة
يشد إليها للرحال خمول
ويكفيك من طه النبي حديث
لا تشد رحال بالمرام كفيل
وله قصيدة أخرى تزيد على خمسة عشر بيتًا يقول في مطلعها:

سل العلماء في البلد الحرام
وأهل العلم في يمن وشام
أولى المعقول والمنقول طرًا
وله باب النباهة في الكلام
وكل مفنن في كل علم
وكل مدرس حبر إمام

وأيضًا له قصيدة في كتاب «نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب» تزيد على عشرين بيتًا يقول في مطلعها:

أثاب الله عن أضحى تقيا
على المدى في حفظ مزيّا
ومن لنهاية التقريب أهدى لنا
فهدى بها نهجًا سويّا
ولابن سرور قد أضحى سروري

لمن بكمالهِ أمسى حفيّا (٣٥)

- أحمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن جابر الله السنبسي المكي الشافعي (ت 865هـ - 1461م). كرس حياته للعلوم العربية فبرع فيها (٣٦).
- أحمد بن محمد بن عبد الله بن داود القليوبي المكي الشافعي (ت 871هـ - 1467م). كان
مُحبًا للأدب ناظرًا للشعر، وبرع في علم النحو، ومن نظمه:

والله والله ما أعددت لي عددًا يوم القيامة تنجيني من النار
سوى شفاعته خير الخلق قاطبةً المصطفى المجتبي من صفوة الباري
عسى به الله أن يعفو ويصفح عن جُرْمي وإِسْراري وأَسْراري
ومن نظمه أيضًا:

جوودي علي بوصل بـه يزيـد سروري
وعجلي يا منيائي بـلا بطـال وزور
ومن نظمه أيضًا قصيدة تزيد على عشرين بيتًا يمدح فيها قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة القرشي لما ولي نظر المسجد الحرام، يقول في مطلعها:
أهنئ النفس والبلد الحراما

ومسجدها وزمزم والمقاما
ومروة والصفاء والحجر أيضًا
وما حوت الأباطح والأناما
ودهرًا أنت ناظره وشهرًا
به نسخ السرور لنا وعاما (٣٧)

- محمد بن محمد الهاشمي المكي الشافعي (ت 871هـ - 1466م). تميز في علم النحو، وكان شاعرًا، فمن نظمه:

قالت حبيبة قلبي عندما نظرت دموع عيني على الخدين تستبق
فيم البكاء وقد نلت المنى زمناً فقلت خوف الفراق الدمع يندفق (٣٨)
- وممن كان مهتمًا بالشعر وحافظًا لأيام العرب وأشعارها العالم أبو بكر بن أحمد بن إبراهيم المرشدي المكي الشافعي (ت 876هـ - 1472م). وكان ماهرًا في اللغة العربية (٣٩).
- علي بن محمد بن علي بن محمد الفاكهي المكي الشافعي (ت 880هـ - 1476م). غني بالنحو والصرف والمعاني والبيان، وصنف شرحًا للجرومية (٤٠).
- محمد بن علي ظهيرة القرشي المكي الشافعي (ت 882هـ - 1477م). برع في علم النحو، وشارك في الأدب (٤١).

- يحيى بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي (ت 885هـ - 1480م). شارك في علم الأدب، حيث اختصر «مجمع الأمثال» للميداني، وألف كتابًا سماه «الدلائل إلى معرفة الأوائل»، وبرع في علم النحو، وكان شاعرًا ماهرًا (٤٢).
- نابت بن أحمد بن إسماعيل الزمزمي المكي الشافعي (ت 887هـ - 1482م). كان شاعرًا كثير الأدب، من نظمه:

تَشْفَعُ يا مُسَيِّءِ بذي المعالي إمام الرُّسُلِ خير الأنبياءِ
كريمُ الأصلِ طه من أتاه يزوم الأمن جل عن الشقاءِ
عليه صلاة ربي كل حينٍ وسلّم في الصباح وفي المساءِ

ومن نظمه أيضًا:

وكن لبعثة خير الخلق متبعا
فإنها لنجاة العبد عنوان
فهو الذي شملت للخلق أنعمه
وعمهم منه في الدارين إحسان
ومن أتى أبصرت عمى القلوب به
سبل الهدى ووعت للحق آذان

وله أيضًا:

الحمد لله دائماً وأبداً

سبحانه ليس يحصي فضله عددا
ثم الصلاة على الممدوح أحمد بل
محمد المصطفى أجل من حمدا
وآله الكرما وصحبه الحكماء
ومن هم بعد هاديننا نجوم هدى (٤٣)

- وقد ألف حسين بن أحمد بن محمد المكي الشافعي (ت889هـ - 1484م). كتاب «شرح القواعد الصغرى في النحو والتصريف» (٤٤).

- محمد بن محمد الطبري المكي الشافعي (ت894هـ - 1489م). مهتماً بعلم النحو، وكان شاعراً بارعاً فمن نظمه:

وما أنشأ العبد من لفظه مقالاً لأمرٍ يظنونه
ولكن رأى كونه شاكراً بجودٍ وفضلٍ تمدونه
فأنت حبيبٌ مُحِبٌ لنا من الحظِّ ذاك يعدونه (٤٥)

- أحمد بن صدقة العسقلاني المكي الشافعي (ت905هـ - 1500م). يُعد من أشهر أسرة العسقلاني اشتغلاً بعلوم اللغة العربية، اهتم بعلم النحو، وله ديوان شعر، ومن نظمه:

أستار بيتك أمن المستجير وقد علقتها طامعاً في العفو يا باري
وقد نزلت بيت قد أمرتُ بأن نأتيه للأمن في العقبى من النار
وأنتي جارٌ بيتٍ أنت حافظه فارحم جوارى كما أوصيت للجار (٤٦)

- محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي (ت910هـ - 1505م). كان مُحِباً للأدب ناظماً للشعر، اشتغل بالنحو، ومن نظمه:

يا قلب لا تيأسن واستنظر الفرج فإن من جود من ترجوه ألف رجا
إذا تزايد همٌ للقلوب وجـاً أتى السرور سريعاً بعد ذاك وجا

ومن نظمه:

ألقى المفاتيح عند الباب منتظراً
من الإله مفاتيحاً تلي فرجا
واستعمل الصبر في كل الأمور فإن
صبرت في الضيق تلقى بعده فرجا

وقوله:

ما عبد ودك للمحبة لافظ
أنى يكون وأنت بر حافظ
فلئن رحلت ولم يترك مودعاً
فسود عينيه لشخصك لاحظ

وله أيضًا:

مجموع حسن قد علا زهره
على زهور الورد والياسمين
حوى رقيق اللفظ مع أنه
ما فيه لفظ قط إلا سمين

ومن نظمه أيضًا:

لتقويل الأكف حبيب قلبي
برزت إلى ثنيات الوداع
فلم يقدر وذاك لسوء حظي
فعدت ومقولي مثن وداع (٤٧)

- وممن برع في العربية من بني فهد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي (ت 922هـ - 1516م). فقد تميز في علم النحو، وأذن له شيخه الجوجري بتدريسه (٤٨).

- أحمد بن الحسين بن محمد المكي الشافعي (ت 926هـ - 1520م). كان ماهراً في علوم اللغة والأدب، ولا سيما الشعر وخاصةً في باب المدح، فامتدح به الأمراء والحكام، وخاصة أمراء مكة المكرمة، ومن نظمه:

حُذِّ جَانِبِ الْعُلْيَا وَدَعْ مَا يُتْرَكُ فرضى البرية غاية لا تُدرك
واجعل سبيل الدُّلِّ عنك بمَعَزَلٍ فالعز أحسن ما به تَتَمَسَّكُ (٤٩)

- و عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي الشافعي (ت 972هـ - 1564م): كان من أكابر العلماء، مشاركاً في جميع العلوم، له مصنفات مفيدة، منها: شرح الأجرومية، وله كذلك شرح على « قطر الندي » لابن هشام سماه «مُجِيبُ الندي في شرح قطر الندي» وقد صنفه سنة 916هـ - 1510م، وكان عمره حينئذٍ ثمانين سنة، وله شرح «الملحة» وسماه «كشف النقاب عن مخدرات ملحة الإعراب» وقال عنه أبو الخير «واستنبط حدوداً للنحو وجمعها في نحو كراسة ثم شرحها أيضًا في كراريس، ولم يسبق إلى مثل ذلك، ولم يكن له نظير في زمانه حتى قيل: إنه سيويوه عصره» ويذكر لنا أبو الخير حادثة تُبين لنا منزلة هذا العالم، وهي أن في الجامع الأزهر كان هناك قارئ يقرأ «شرح قطر الندي» على بعض المشايخ فأشكى عليه بعض العبارات فيه فحلها الفاكهي، وذكر أنه هو الشارح فلم يصدقوه حتى أقام البيعة على ذلك وشهد له من كان هناك من أهل مكة المكرمة بذلك (٥٠).

- وعز الدين عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز الزمزمي المكي الشافعي (ت 976هـ - 1569م) كان شاعر وأديب، أخذ العلم عن كبار الشيوخ، وصنف العديد من كتب العربية، وله في ذلك عدة مؤلفات منها: «شرح مقامات الحريري» وله قصيدتان في مدح النبي ﷺ الأولى عنوانها: الفتح التام في مدح خير الأنعام، والثانية: الفتح المبين في مدح سيد المرسلين، وله أيضًا «الفتح المبين

في مدح شفيح المذنبين» «وفيض الوجود في شيبتي هود». (٥١).
 - صلاح الدين بن أبي السعد بن ظهيرة الهاشمي المكي الشافعي (ت 980هـ - 1572م) أحد تلاميذ ابن حجر الهيتمي والشيخ عبد العزيز الزمزمي، من فضلاء مكة وأدبائها، شاعر البطحاء بمكة المكرمة، كان شاعراً كثير الأدب، درس علم النحو على يد العفيف الفاكهي. (٥٢).
 - وممن اشتغل بالعربية علي بن ناصر المكي الشافعي. وكان له من النظم الشيء الحسن، كتب قصيدة تحتوي على عشرين بيتاً في شمس الدين السخاوي صاحب كتاب «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، يقول في مطلعها:

لقد أبرزت يا شمس المعالي
 فرائد سافرات عن خمالي
 كشفت قناعها طوعاً أجابت
 ملبية بمختصر المقالي
 وقد سلفت بعجب.....
 سقاها العنب بالسحر الحلاي (٥٣)

ويتضح لنا مما سبق عرضه: أن الشعر قد نشط في مكة المكرمة وتميز على غيره من فنون اللغة العربية، فقد ظهر عدد كبير من الشعراء المكيين الشافعيين الذين امتلأت كتب التراجم بأشعارهم التي تميزت بالقوة والأصالة، والأشعار الجيدة الهادفة، وكان الشعر يُمثل أغراضاً مختلفة من المدح والهجاء والثناء والمدائح النبوية وغيرها، فقد تفوق كثير من الأسر الشافعية المكية في شعر المدائح النبوية فهذا الشعر يُعد تعبيراً عن محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن أشهر الأسر الشافعية المكية التي برعت في هذا المجال: أسرة الطبري و بني ظهيرة والزمزمي، ومن الأسر التي اهتمت بمدح الأمراء والحكام: أسرة ابن العليف. وأما أسرة المرشدي فقد اهتمت بحفظ أيام العرب وأشعارهم، وأغلب علماء الأسرة الفاسية اهتموا بعلم المعاني والبيان. ومن أهم الأسر الشافعية المكية التي برعت في علم النحو: أسرة بني فهد الهاشمية، و بني ظهيرة، والنويري، و الطبري، والعسقلاني، والفاكهي.
 ومن الأسر التي ظهر منها الأدباء وكان لهم أثر في الحركة العلمية الأدبية: أسرة بني فهد، والشبيبي، واليافعي.

ثالثاً: العلوم الاجتماعية .

٨ / التاريخ:

«التاريخ سجل ناطق بالأحداث التي عاشها الإنسان منذ أن بدأ حياته على الأرض» (٥٤)
 فهو علم نظري يتناول النشاط الإنساني في الأزمنة المختلفة، وهو واسع النطاق وله علاقة بعدد كبير من المعارف والعلوم الأخرى (٥٥).
 يقول ابن خلدون في مقدمته: «اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية» (٥٦).

واهتم الإنسان بالتاريخ واعتبره من أهم العلوم فهو يحتل مكاناً عالياً من بين فروع المعرفة، والمؤلفات فيه والمصنفات كثيرة جداً (٥٧).

لقد حظي علم التاريخ باهتمام كبير على مر العصور. وفي مكة المكرمة خلال القرون الثلاثة للدراسة 8-10 هـ/ 14-16 م ظهر عدد كبير من المؤرخين والعلماء والمؤلفين الذين عنو بتدوين تاريخ مكة المكرمة، فألفت الكثير من الكتب والتراجم لرجالها وأعيانها من الفقهاء والمفسرين والقراء والمحدثين والأدباء واللغويين والنحويين والعلماء والحكام. فكونوا تراثاً ضخماً تفتخر وتعتز به الثقافة الإسلامية.

— ومن أشهر المؤرخين ومحببي التاريخ المكيين من الأسر الشافعية الذين كانت لهم مشاركات فعالة ودور بارز في تدوين التاريخ ومعرفته أذكر منهم:

— عبد الله بن أسعد اليافعي المكي الشافعي ت768 هـ/ 1366 م، ألف في التاريخ كتابه المشهور «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان»، وله كذلك كتاب «مختصر مناقب الشافعي» وكتاب «خلاصة المفاهيم في أخبار الشيخ عبد القادر» (٥٨).

— محمد بن عبد الله بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي ت817 هـ/ 1414 م كان محباً للتاريخ بارعاً فيه، قال عنه السخاوي: «كانت لديه مشاركة جيدة في فنون العلم ومذاكرة بأشياء مستحسنة من التاريخ، بحيث انتهت إليه رئاسة الشافعية ببلده ولقب بعالم الحجاز» (٥٩).

— عبد اللطيف بن موسى القرشي المكي الشافعي ت818 هـ/ 1415 م

— كانت لديه معرفة جيدة بعلم الوثائق الذي يعتبر من أهم العلوم المتعلقة بعلم التاريخ (٦٠).

— ووضع أبو زرعة محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي ت826 هـ/ 1423 م كتاباً في المناقب سماه (مناقب الإمام الشافعي) (٦١).

— أما أحمد بن عبد الله بن أحمد بن حسن القسطلاني المكي الشافعي ت826 هـ/ 1423 م.

— كان مهتماً بكتابة الوثائق التاريخية (٦٢).

— كما شارك محمد علي العبدري الشيبني المكي الشافعي ت837 هـ/ 1433 م في كتابة التاريخ، فألف كتاباً سماه «الشرف الأعلى في ذكر قبور المعلا» قسمه إلى قسمين: القسم الأول: ذكر فيه مسائل متعددة ومتنوعة فتطرق إلى تعريف الموت والقبور والنعش وأحكام الجنائز، أما القسم الثاني فقد أورد فيه أسماء كل من دُفن في مقبرة المعلاة في مكة المكرمة مع ذكر ترجمة وافية لكل منهم، استقى المعلومات من مصادر عديدة منها: تاريخ أبي العباس الميورقي، وكتاب ارتقاء الرتبة للقسطلاني، وطبقات الشافعية للأسنائي، وغيرهم، بالإضافة إلى ذكر معلومات نادرة عن بعض العوائل المكية، ووصف دقيق لبعض الجوانب الاجتماعية بمكة المكرمة (٦٣).

— - وممن عُني بالتاريخ من بني ظهيرة محمد بن محمد بن ظهيرة القرشي الشافعي

المكي ت861هـ/ 1457م، له «ذيل على طبقات السبكي»، وله «مسودات في التاريخ لم تبيّض»، قال عنه النجم بن فهد: «كان يذكر بأشياء كثيرة مستحسنة من التاريخ لا تُمل مجالسته» (٦٤).

— ولعميد أسرة بني فهد المؤرخ تقي الدين محمد بن فهد المكي الشافعي ت871هـ/ 1466م مؤلفات في التاريخ منها: كتاب في السيرة النبوية سماه «النور الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع»، كما ألف كتباً أخرى في التاريخ منها كتاب «تحفة العلماء الأتقياء بما جاء في قصص الأنبياء»، وكتاب «سيرة الخلفاء والملوك»، وكتاب «طرق الإصابة بما جاء في الصحابة»، وكتاب «المجموعة المستطابة في معرفة بني فهد ومن يلتحق بهم من القرابة»، وكتاب «مختصر أسماء الصحابة»، وكتاب «المصاييح المشرقة الزاهرة من معجزات المصطفى عليه الصلاة والسلام»، وكتاب «المطالب السنية العوالي بما لقريش من المفاز والمفاخر والعوالي»، وكتاب «مناقب الإمام الشافعي»، وغيرها (٦٥).

هذه المؤلفات تدل دلالة واضحة على اهتمام هذا المؤرخ بالتاريخ فقد كرس حياته وبذل جهده للتأليف والتصنيف وتدوين التاريخ، فقد ترك لنا تراثاً تاريخياً متميزاً، وخلف أبناء ساروا على نهجه، فاهتموا بالتاريخ وأصبحوا من أكابر المؤرخين في مكة المكرمة.

— ويُعد النجم عمر بن محمد بن فهد المكي الشافعي ت885هـ/ 1480م مؤرخ مكة عن جدارة فقد اهتم بتاريخها وبذل كل جهده في ذلك، فكان نتاجه العلمي التاريخي خير شاهد على ذلك، ومن أشهر ما ألفه كتاب «الدر الكمين بذيل العقد الثمين»، وهو تكملة لكتاب العقد الثمين للفاي، وقد ذكر النجم بن فهد فيه ما لم يتطرق له الفاي، وذكر أيضاً الأحداث التي حدثت بعد وفاة الفاي. ويُعد هذا الكتاب ذا قيمة علمية كبيرة لما احتواه من معلومات جيدة سواء كانت تاريخية أو دينية أو أدبية، وغيرها، فقد تحرى النجم بن فهد في كتابه «الدقة والأمانة العلمية» ذكر المصادر التي استقى منها المعلومات عن تراجم الأعلام التي تطرق لها في كتابه.

كذلك ألف النجم بن فهد كتابه المشهور الذي احتوى على أكثر من ألف صفحة وهو «إتحاف الوري بتاريخ أم القرى» في هذا الكتاب اهتم المؤرخ ابن فهد بذكر الأحداث السياسية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية بمكة المكرمة، فهو كتاب حولي رتبته على السنين من سنة ولادة الرسول ﷺ إلى قبيل وفاته بأشهر، وله ذيلان: الذيل الأول وضعه ابنه العز بن فهد ت922هـ/ 1516م بدأ من حيث انتهى والده سنة 855هـ-1480م إلى سنة 922هـ/ 1516م وعنوانه «بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى»، أما الذيل الثاني فوضعه حفيده جبار الله بن فهد ت954هـ/ 1547م وعنوانه «نيل المنى بذيل بلوغ القرى بذيل إتحاف الوري» بدأه من سنة 923هـ/ 1517م إلى سنة 949هـ/ 1542م، وله كذلك «التبيين في تراجم الطبريين» وهو كتاب يتكلم عن كل عالم ومؤرخ ينتسب إلى أسرة الطبري ممن جاء إلى مكة واستقر بها وكان له أثر علمي على

النجم بن فهد، وله أيضاً كتاب «تذكرة الفاسي بأولاد أبي عبد الله الفاسي» ذكر فيه أولاد شيخه عبد الله الفاسي، وألف أيضاً كتاب «السر الظهيري بأولاد أحمد النويري»، وكتاب «غاية الأمان في تراجم أولاد القسطلاني»، وكتاب «بغية المرام بأخبار ولاة البلد الحرام»، و«معجم الشيوخ»، وكتاب «نور العيون بما تفرق من الفنون»، وكتاب «المخضرمين»، وكتاب «المدلسين»، وكتاب «المؤاخي بينهم»، وكتاب «المغير اسمهم»، وكتاب «الألباب في الألقاب»، وغيرها (٦٦).

بهذه المؤلفات التاريخية يعتبر النجم بن فهد من أبرز المؤرخين في مكة المكرمة الذين كان لهم إسهام كبير في إثراء المكتبة العلمية المكية، فقد تطرق للكتابة عن مكة في جميع نواحي الحضارة المختلفة، كما نراه يؤلف في الأسر العلمية الشهيرة بمكة المشرفة، وقد أهلتة حصيلته العلمية الواسعة للتأليف والتصنيف وتدوين التاريخ، وكذلك رحلاته العلمية التي كان لها أكبر الأثر في تعزيز المادة العلمية لديه.

- كما شارك في تدوين التاريخ المؤرخ يحيى بن عمر بن فهد المكي الشافعي ت 885هـ / 1480م فألف كتاب «الدلائل إلى معرفة الأوائل» (٦٧).

- وقد نبغ من أسرة بني فهد المؤرخ العز بن فهد المكي الشافعي ت 922هـ / 1517م الذي يعتبر من أشهر أسرة بني فهد اشتغلاً بالتاريخ وقال عنه السخاوي: «كتب بخطه جملة من الكتب والأجزاء، وتولع بالتخريج والكشف والتاريخ»، فقد ألف عدة مؤلفات من أشهرها كتابه في التاريخ المكي الذي يعتبر من أهم آثاره التاريخية، وهو كتاب «بلوغ القرى في ذيل إتحاف الوري بأخبار أم القرى» سلك فيه مسلك والده النجم عمر بن فهد في ترتيب تسجيل الأحداث بنظام الحوليات حسب تسلسلها في السنة وتواليها في الأيام والشهور، وقد تناول العز بن فهد فيه جميع أخبار مكة المكرمة السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية والدينية وغيرها من سنة 885هـ / 1480م، وهي سنة وفاة والده النجم عمر إلى سنة 922هـ / 1516م قبيل وفاته بأشهر. وله أيضاً كتاب «نزهة ذوي الأحكام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة بيت الله الحرام»، وكتاب «غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام» الذي ترجم فيه لمن ولي إمارة مكة من زمن الرسول ﷺ إلى زمانه، وله كتاب «النزهة السنية في ما يطلب من أخبار الملوك وخلفاء الديار المصرية» (٦٨).

- ووضع أحمد بن الحسين المكي الشافعي ت 926هـ / 1520م كتاباً في المناقب سماه «الدر المنظوم في مناقب بابيزيد سلطان الروم» (٦٩).

- وممن برع في التاريخ من بني فهد المؤرخ جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن فهد المكي الشافعي ت 954هـ / 1547م صاحب كتاب «نيل المنى بذيل بلوغ القرى بتكملة إتحاف الوري»، وهو تكملة لكتاب والده «إتحاف الوري» الذي بدأه بسنة وفاة والده العز بن فهد 923هـ / 1517م إلى سنة 949هـ / 1542م قبل سنة وفاته بعدة سنوات. سار فيه على نهج والده حيث رتبته على النظام الحولي. وألف في الفضائل والمناقب كتاب «القول المؤتلف في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف» ويُعتبر

هذا التأليف رسالة صغيرة للمؤرخ جاز الله بن فهد بحيث أظهر فيه العائلات الكبيرة العلمية التي سكنت مكة المكرمة في عصره، وهي: أسرة الفاسي، والطبري، وآل عبد القوي، والبخاري، والطباطبي. وله أيضاً كتاب «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان خان» كما ألف -أيضاً- كتاب «منهل الظرافة بذيل مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة»، وكتاب «بلوغ الأرب في تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب»، وكتاب «تحفة اللطيفة في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة»، وكتاب «بهجة الزمان بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان»، وكتاب «الاتعاض بما ورد في سوق عكاظ»، وكتاب «بلوغ الأرب بمعرفة الأنباء من العرب»، وكتاب «السلاح والعدة في فضائل بندر جدة»، وكتاب «نهاية السؤل في فضل آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم»، وكتاب «معجم الشيوخ»، وكتاب «النكت الظراف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف»، وله أيضاً كتاب «غاية الأمانى والمسرات لعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات»، وكتاب «تحقيق الصفاء في تراجم بني الوفاء»، كما ألف كتاب «تحفة الناس بخبر رباط العباس»، ذكر جاز الله فيه تاريخ رباط العباس ومن تولى عمارته وأسماء مشايخه وكل معلومة تتعلق بهذا الرباط. وألف أيضاً كتاب «تحفة الكرام بمرويات حجاب بيت الله الحرام» وغيرها (٧٠).

نلاحظ مما سبق عرضه أن مكة المكرمة خلال القرون الثلاثة للدراسة 8-10هـ / 14-16م قد شهدت ظهور أكبر المؤرخين الذين كانت لهم إسهامات كبيرة وشهرة واسعة في الوسط المكي والعالم الإسلامي كله، كما كان لهم دور بارز في حفظ تاريخ البلد الأمين فكثرت كتاباتهم ومؤلفاتهم فيه، وظهر لهم دور في تطور الكتابة التاريخية فكتبوا في مجالات عديدة لتاريخ مكة المكرمة، كالتاريخ المكي العام، والتراجم، والطبقات، وتاريخ المدن، والفضائل، والمناقب، والسيرة، ووصف الحرم المكي الشريف، وغيرها. ويتضح لنا أن من أكبر هذه الأسر الشافعية المكية التي اهتمت بالتاريخ أسرة بني فهد، والجميل في هذه الأسرة أن الابن أكمل ما بدأه والده وجاء الحفيد فأكمل ما بدأه جده ووالده، فتركوا لنا كنزاً تاريخياً تفخر به الأمة الإسلامية على مر العصور، فأصبحت مؤلفاتهم من أهم المصادر عن تاريخ مكة في هذه الفترة.

٢/ الجغرافيا :

اهتم المسلمون بعلم الجغرافيا اهتماماً كبيراً، فكثرت مصنفاتهم وكتاباتهم الجغرافية، وهو علم مرتبط بعلم التاريخ، فكثير من الكتب التاريخية احتوت على معلومات جغرافية (٧١) وخاصة تلك المؤلفات في تاريخ مكة لعائلة بني فهد السابقة الذكر، والتي احتوت على تفصيل جغرافي لأهم المعالم والجبال والأودية بمكة المكرمة.

ومن أبرز من اهتم بعلم الجغرافيا من الأسر الشافعية المكية أذكر منهم:

- إبراهيم بن محمد المكي الشافعي ت874هـ / 1470م برع في علم الجغرافيا فكانت لديه معرفة بالطرق والأماكن الجغرافية، واستفاد الناس منه كثيراً في معرفة الطرق للتوجه إلى المدينة المنورة والطائف وجعرانة ونحوها (٧٢).

- جار الله بن فهد المكي الشافعي المكي ت954هـ / 1547م، له عدة مؤلفات جغرافية منها: كتاب «تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووجّه والطائف»، وكتاب «تاريخ مدينة جدة وأحوالها وقربها من مكة»، وله أيضاً كتاب «الاتعاض بما ورد في سوق عكاظ

- «، وكتاب «تحفة الناس بخبر رباط سيدنا العباس»، فقد اشتمل هذان الكتابان على معلومات جغرافية، كما ألف كتاباً أسماه «حسن القرى في أودية أم القرى»، وفيه ذكر جار الله أهم أودية مكة المكرمة، ورتبها أبجدياً، وحدد مواقعها، ووصفها وصفاً دقيقاً، وذكر كل معلومة تتعلق بكل وادٍ، واستقى معلوماته من كتب ياقوت الحموي، وابن الأثير، والسخاوي، والأزرقي، والفاشي، وجده عمر بن فهد.

٣/ علم الطب:

من أبرز من اهتم به من الأسر الشافعية المكية:

- أبو بكر بن أحمد المرشدي المكي الشافعي ت876هـ / 1472م له معرفة جيدة بالطب (٧٤).
- النجم عمر بن فهد المكي الشافعي ت885هـ / 1480م له تأليف في الطب أسماه «ترتيب تاريخ الأطباء» (٧٥) ..

ومن خلال العرض السابق نجد أن أسرة بني فهد من أشهر الأسر الشافعية المكية في التأليف العلمي فقد برعت وتميزت عن غيرها بكثرة أبنائها الذين اعتنوا بالتأليف والتصنيف في المجالات العلمية فكان نتاجهم العلمي خير شاهد على ذلك، ولقد أكد الكثير من الباحثين والباحثات في دراساتهم العلمية على التقدم العلمي التي وصلت إليه هذه الأسرة، فالدكتور سليمان كمال قال في مقالة: «أسرة آل فهد لها الفضل والمكانة العلمية في التأليف والنسخ والنشر لعلوم وفنون ومعارف متنوعة خدمت الإسلام كعلوم الدين ومنها الحديث وعلومه والفقه والتفسير وعلوم العربية وآدابها والتاريخ والحضارة الإسلامية وخاصة المكية وما فيه من أحداث»، وقال: «ومما لا ريب فيه أن هذا البيت وما قام به من إنتاج علمي أسهم إسهاماً قيماً في تنمية رصيد المكتبة الإسلامية، وتزخر كتب التاريخ والتراجم بأسماء الكثير من هؤلاء الأعلام الأفاضل» (٧٦) كما أكدت ذلك الدكتورة سعاد الحسن في رسالتها العلمية بقولها: «وآل فهد الذين ينتسب لهم مؤرخنا عائلة مكية عريقة شغوفة بالعلم متضلعة بالثقافة الأصلية، خاصة علمي الحديث النبوي والتاريخ المكي والحضاري لأعمال أم القرى وأوديتها، وقد تركت في ميدان العلوم والمعارف أثراً مهمة تدل على غزارة فضلهم وتحقيق نبلمهم» (٧٧).

وقال الدكتور عائض الزهراني في مقالة: «تعتبر أسرة بني فهد من أشهر الأسر المكية التي كرس اهتماماً بعلم الحديث الشريف وعلم التاريخ والتراجم، وخلفوا لنا تراثاً إسلامياً ضخماً في شتى النواحي السياسية والاجتماعية والعلمية، وكانت أسرهم من أكبر الأسر والبيوت الكبيرة في مكة، وكانت تتمتع بمكانة علمية رفيعة، ساعدها على ذلك وجود مكتبة ضخمة لديهم بها جميع المؤلفات في شتى صنوف العلم والمعرفة، كل ذلك كان له أكبر الأثر في تفوقهم ونبوغهم وإلمامهم بشتى العلوم والمعارف» (٧٨).

كما أكد الدكتور محمد الصمداني التقدم العلمي الذي وصلت إليه أسرة بني فهد في مقالة بقوله: «وقد تتابعت على هذا العمل أسرة مكية عريقة كان التنافس بينها على أشده لتولي زمام هذه الوظائف، وقد آل الأمر بكثير من أفراد هذه الأسر النابغة إلى تركيزهم على علمي الحديث والتاريخ وما يتبع ذلك من العلوم المساندة كعلم التراجم والأنساب».(٧٩)

الخاتمة:

أكدت الدراسة أن من أكبر الأسر الشافعية المكية التي اهتمت بعلم الفقه وأصوله أسرة بني ظهيرة، فهي الأسرة التي اشتهر عنها كثرة الفقهاء بمكة المكرمة.

- أكدت الدراسة أن من أشهر الأسر العلمية الشافعية المكية التي اهتمت بعلم الحديث أسرة الطبري وأسرة بني ظهيرة وأسرة بني فهد، فقد ظهر منهم أكبر محدثي مكة المكرمة الذين كان لهم دور بارز في إثراء الحياة الدينية بمكة المشرفة.

- كثير من الأسر الشافعية المكية اشتهر بالمكانة العلمية الرفيعة - وخاصة أسرة الطبري، و النويري، وبني ظهيرة، وبني فهد، فقد برعت تلك الأسر في جميع العلوم الشرعية، وألف أبناؤها الكثير من الكتب والمصنفات في جميع التخصصات الشرعية.

- أوضحت الدراسة أن الشعر نشط في مكة المكرمة وتميز على غيره من فنون اللغة العربية، فقد كثر الشعراء من الأسر الشافعية المكية، وتميز شعرهم بالقوة والأصالة، فأسرة بني ظهيرة و الطبري و الزمزمي برعوا في نظم شعر المدائح النبوية، وفي نظم شعر مدح الأمراء والحكام فقد برعت أسرة ابن العلييف.

- كثرة الأدباء والنحاة من الأسر الشافعية المكية، فقد كان لهم أثر واضح في إثراء الحركة العلمية والأدبية في المجتمع المكي وذلك بمشاركتهم في التدريس وإنتاجهم المؤلفات اللغوية والأدبية.

- مؤلفات الفهود تعتبر من أهم المصادر عن تاريخ مكة المكرمة، فقد تركوا وخلفوا لنا كنزاً تاريخياً تفتخر به الأمة الإسلامية على مر العصور، ويعتبر النجم بن فهد من أبرز المؤرخين المكيين الذين كان لهم إسهام كبير في إثراء المكتبة العلمية التاريخية ودور بارز في حفظ تاريخ البلد الأمين.

- احتوى بعض المؤلفات التاريخية على معلومات جغرافية لأهم المعالم والجبال والأودية بمكة المكرمة، وخاصة مؤلفات بني فهد.

الهوامش:

- (1) السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص5 - 6 / ترجمة رقم 22.
- (2) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص89، السنيدي: الحياة العلمية في مكة، ص101.
- (3) الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص281، 445.
- (4) الفاسي: العقد الثمين ج3: ص240 - 247 / ترجمة رقم 719، الحنبلي: شذرات الذهب ج6: ص56،
كحالة: معجم المؤلفين ج1: ص79.
- (5) الفاسي: العقد الثمين ج2: ص364 - 371 / ترجمة رقم 465، السخاوي: الضوء اللامع ج10:
- (6) ص56 - 58 / ترجمة رقم 200.
- (7) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص217 - 223 / ترجمة رقم 183، السخاوي: الضوء اللامع ج9:
ص13 / ترجمة رقم 39، الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص126 / ترجمة رقم 51، الجابري: الحياة
العلمية في الحجاز، ص516.
- (8) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص335 - 343 / ترجمة رقم 259، الهيلة: التاريخ والمؤرخون
بمكة، ص136 / ترجمة رقم 58.
- (9) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص385 - 395 / ترجمة رقم 280، السخاوي: الضوء اللامع
ج9: ص281 - 283 / ترجمة رقم 727، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص363 - 364 / ترجمة رقم
875، الشوكاني: البدر الطالع ج2: ص259 - 260 / ترجمة رقم 514، المعلمي: أعلام المكيين ج1:
(10) ص168 / ترجمة رقم 259، الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص37 - 146 / ترجمة رقم 60.
- (11) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص5 - 13، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص29 - 35 / ترجمة
رقم 576، الشوكاني: البدر الطالع ج1: ص512 - 513 / ترجمة رقم 257، المعلمي: أعلام المكيين
ج1: ص167 / ترجمة رقم 258، الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص147 - 159 / ترجمة رقم 62.
- (12) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1246 - 1248 / ترجمة رقم 1290، السخاوي: الضوء اللامع
ج10: ص239 - 240 / ترجمة رقم 1004، المعلمي: أعلام المكيين ج1: ص169 - 170 /
(13) ترجمة رقم 260.
- (14) السخاوي: الضوء اللامع ج3: ص135 - 137 / ترجمة رقم 541، الحلبي: القبس الحاوي ج1:
ص257 - 258 / ترجمة رقم 279، المعلمي: أعلام المكيين ج1: ص173 / ترجمة رقم 266.
- (15) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص1277 - 1283 / ترجمة رقم 1338، السخاوي: الضوء اللامع
ج11: ص58 - 60 / ترجمة رقم 151.
- (16) السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص157 / ترجمة رقم 396، المعلمي: أعلام المكيين ج2:
(17) ص716 / ترجمة رقم 1117.
- (18) السخاوي: الضوء اللامع ج1: ص316 - 319، الشلي: السنا الباهر، ص16، كحالة: معجم المؤلفين
ج1: ص253.
- (19) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص381 - 385 / ترجمة رقم 279، الشلي: السنا الباهر، ص60،
الجابري: الحياة العلمية في الحجاز، ص489.

- (20) الخليفة، حسن جعفر: فصول في تدريس اللغة العربية، الطبعة الرابعة، مكتبة الرشد، الرياض، 1425هـ/2004م، ص341.
- (21) الطنطاوي، محمد: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، الطبعة الأولى، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، 1426هـ/2005م، ص11، حجاج، عبد الكريم: النحو، الطبعة الأولى، دار إشبيلى، الرياض، 1424هـ/2003م، ص1.
- (22) الحملاوي، أحمد: شذا العرف في فن الصرف، عالم الكتب، لبنان، 1426هـ/2005م، ص11.
- (23) الحملاوي، أحمد: تيسير الصرف بمضمون كتاب شذا العرف في فن الصرف، الطبعة الأولى، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، 1423هـ/2003م، ص13.
- (24) سيبويه: هو عمر بن عثمان بن قنبر الفارسي البصري يكنى بأبي بشر، إمام النحو، اهتم بدراسة العربية فبرع وساد أهل عصره. له مؤلفات في هذا المجال. مات سنة 180هـ/796م وقيل سنة 188هـ/803م وعمره أربعون سنة. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج8: ص351 - 352.
- (25) معاذ الهراء: هو معاذ بن مسلم الهراء النحوي الكوفي. يكنى بأبي مسلم، أديب معمر، من أهل الكوفة له كتب في النحو. يعرف بالهراء لبيعته الثياب الهروية «الواردة من مدينة الهرة» له شعر قليل، عاش تسعين عامًا، وتوفي سنة 177هـ/793م. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج8: ص482، الزركلي: الأعلام ج8: ص167.
- (26) أبو مغلي، سميج: فصول ومقالات لغوية، الطبعة الأولى، دار الصفاء، عمان، 1423هـ/2002م، ص153، حجازي، محمود: علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية، دار القلم، بيروت، د.ت، ص64.
- (27) الهاشمي، أحمد: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، الطبعة السادسة والعشرون، مطبعة السعادة، مصر، 1385هـ/1965م، ص14.
- (28) إسماعيل، عز الدين: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص81.
- (29) الفاسي: العقد الثمين ج3: ص240 - 247 / ترجمة رقم 719، الحنبلي: شذرات الذهب ج6: ص56، حالة: معجم مؤلفين ج1: ص79.
- (30) العسقلاني: الدرر الكامنة ج2: ص247 - 249 / ترجمة رقم 2120، الحنبلي: شذرات الذهب ج6: ص210.
- (31) الفاسي: العقد الثمين ج6: ص227 / ترجمة رقم 2099، السخاوي: الضوء اللامع ج5: ص295 - 296 / ترجمة رقم 994، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص510، المعلمي: أعلام المكيين ج2: ص850 - 851 / ترجمة رقم 1288، الحنبلي: شذرات الذهب ج7: ص182.
- (32) الفاسي: العقد الثمين ج2: ص53 - 59 / ترجمة رقم 213، السخاوي: الضوء اللامع ج8: ص92 - 95 / ترجمة رقم 194، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص239 - 243 / ترجمة رقم 776، الحنبلي: شذرات الذهب ج7: ص125.
- (33) الفاسي: العقد الثمين ج5: ص482 - 486 / ترجمة رقم 1859، السخاوي: الضوء اللامع ج4: ص322 - 323 / ترجمة رقم 888.

- (34) الفاسي: العقد الثمين ج2: ص364 - 371 / ترجمة رقم 465، السخاوي: الضوء اللامع ج10: ص56 - 58 / ترجمة رقم 200.
- (35) الفاسي: العقد الثمين ج3: ص139 - 142 / ترجمة رقم 628، السخاوي: الضوء اللامع ج2: ص134 - 135 / ترجمة رقم 384، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص204 - 205 / ترجمة رقم 217، الحنبلي: شذرات الذهب ج7: ص177.
- (36) السخاوي: الضوء اللامع ج5: ص183 - 184 / ترجمة رقم 629، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص485 - 487 / ترجمة رقم 483، الحنبلي: شذرات الذهب ج7: ص184.
- (37) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص217 - 223 / ترجمة رقم 183، السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص13 / ترجمة رقم 39، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص126 / ترجمة رقم 51، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص516.
- (38) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1025 - 1027 / ترجمة رقم 1002.
- (39) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1241 - 1244 / ترجمة رقم 1286، السخاوي: الضوء اللامع ج10: ص233 / ترجمة رقم 982.
- (40) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص706 - 710 / ترجمة رقم 644، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص533، 534.
- (41) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص466 - 467 / ترجمة رقم 395، السخاوي: الضوء اللامع ج1: ص353، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص50 / ترجمة رقم 72.
- (42) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص524 - 529 / ترجمة رقم 455، السخاوي: الضوء اللامع ج2: ص133 / ترجمة رقم 383، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص204 / ترجمة رقم 217، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص534.
- (43) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص385 - 395 / ترجمة رقم 280، السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص281 - 283 / ترجمة رقم 727، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص363 - 364 / ترجمة رقم 875، الشوكاني: البدر الطالع ج2: ص259 - 260 / ترجمة رقم 514، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص168 / ترجمة رقم 259.
- (44) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1265 - 1268 / ترجمة رقم 1320، السخاوي: الضوء اللامع ج11: ص15 - 16 / ترجمة رقم 38، المعلمي: أعلام المكين ج2: ص865 / ترجمة رقم 1309.
- (45) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1067 - 1073 / ترجمة رقم 980، السخاوي: الضوء اللامع ج5: ص324 - 325 / ترجمة رقم 667، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص524 - 525 / ترجمة رقم 523، الحنبلي: شذرات الذهب ج7: ص330، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص156 / ترجمة رقم 241.
- (46) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص239 - 244 / ترجمة رقم 192، السخاوي: الضوء اللامع ج8: ص208 - 209 / ترجمة رقم 542، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص273 - 274 / ترجمة رقم 793.
- (47) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1246 - 1248 / ترجمة رقم 1290، السخاوي: الضوء اللامع ج10: ص238 - 240 / ترجمة رقم 1004، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص169 - 170 / ترجمة رقم 260، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص517.

(48) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1225 - 1227 / ترجمة رقم 1259، السخاوي: الضوء اللامع ج10: ص194 - 195 / ترجمة رقم 828، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص483 - 484 / ترجمة رقم 765.

(49) السخاوي: الضوء اللامع ج3: ص135 - 137 / ترجمة رقم 541، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص257 - 258 / ترجمة رقم 279، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص173 / ترجمة رقم 266، الخوام، رياض حسن: بركة مكة المكرمة على التأليف اللغوي، الطبعة الأولى، المكتبة الملكية، مكة المكرمة، 1429هـ/2008م، ص54.

(50) السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص191 - 194 / ترجمة رقم 1349، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص341 - 343 / ترجمة رقم 854، المعلمي: أعلام المكين ج2: ص630 - 631 / ترجمة رقم 994.

(51) السخاوي: الضوء اللامع ج1: ص316 - 319، الشلي: السنا الباهر ص16، كحالة: معجم المؤلفين ج1: ص253.

(52) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص381 - 385 / ترجمة رقم 279، الشلي: السنا الباهر ص60.

(53) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص854 / ترجمة رقم 803، السخاوي: الضوء اللامع ج4: ص224 - 226 / ترجمة رقم 574، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص397 - 403 / ترجمة رقم 392، الشلي: السنا الباهر ص143، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص164 - 165 / ترجمة رقم 255.

(54) السخاوي: الضوء اللامع ج1: ص290، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص149 / ترجمة رقم 132، ابن فهد، جار الله: نيل المنى ج1: ص258، الحنبلي: شذرات الذهب ج8: ص141، الشوكاني: البدر الطالع ج1: ص54 - 56 / ترجمة رقم 33، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص148 / ترجمة رقم 227.

(55) الحنبلي: شذرات الذهب ج8: ص366، العيدروسي، عبد القادر بن عبد الله: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/1985م، ص249، مرداد، عبد الله: المختصر في كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من قرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، الطبعة الأولى، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1398هـ/1987م، ج2: ص267 - 268 / ترجمة رقم 332.

(56) مرداد: المختصر في كتاب نشر النور والزهر ج1: ص214 - 215 / ترجمة رقم 280، المعلمي: أعلام المكين ج1: ص478 - 479 / ترجمة رقم 756، شافعي، لمياء: ابن حجر الهيتمي وجهوده في الكتابة التاريخية، الطبعة الأولى، مكتبة ومطبعة الغد، الجيزة، 1418هـ/1998م، ص60 - 61.

(57) مرداد: المختصر في كتاب نشر النور والزهر ج1: ص182 / ترجمة رقم 236، شافعي، لمياء: ابن حجر الهيتمي ص64.

(58) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1058 - 1060 / ترجمة رقم 1044، السخاوي: الضوء اللامع ج6: ص45 - 47 / ترجمة رقم 127، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص535 - 536 / ترجمة رقم 537.

(59) الزيدي، مفيد كاسد: المدخل إلى فلسفة التاريخ، الطبعة الأولى، دار المناهج، الأردن، 1426هـ/2006م، ص15.

- (60) السلمي، محمد صامل: المدخل إلى علم التاريخ، الطبعة الأولى، دار الوطن، الرياض، 1423هـ/2002م، ص9، عباس، عايذة: المدخل إلى علم التاريخ، الطبعة الأولى، دار الأندلس، حائل، 1432هـ/2011م، ص11.
- (61) ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، الطبعة الرابعة، دار القلم، لبنان، 1401هـ/1981م، ص7.
- (62) حران، تاج السر أحمد: المدخل إلى علم التاريخ، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض، 1424هـ/2003م، ص23، سمس، عبد المعطي محمد: نظرة في التفسير الإسلامي للتاريخ، الطبعة الأولى، دار السلام الحديثة، مصر، 1427هـ/2007م، ص14.
- (63) العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ج2: ص247-249/ ترجمة رقم 2120، الحنبلي: شذرات الذهب 6: 210، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص66/ ترجمة رقم 32.
- (64) الفاسي: العقد الثمين ج2: ص53-59/ ترجمة رقم 213، السخاوي: الضوء اللامع ج8: ص92-95/ ترجمة رقم 194، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص239-243/ ترجمة رقم 776، الحنبلي: شذرات الذهب ج7: ص125، الشوكاني: البدر الطالع ج2: ص196/ ترجمة رقم 463، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص88/ ترجمة رقم 39.
- (65) السخاوي: الضوء اللامع ج4: ص339/ ترجمة رقم 945.
- (66) السخاوي: الضوء اللامع ج11: ص111/ ترجمة رقم 340، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص108/ ترجمة رقم 44.
- (67) ابن فهد، النجم عمر: الدر الكمين ج1: ص469/ ترجمة رقم 398.
- (68) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص217-223/ ترجمة رقم 183، السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص13-14/ ترجمة رقم 39، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص126/ ترجمة رقم 51، الجابري: الحياة العلمية ص486.
- (69) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص335-343/ ترجمة رقم 259.
- (70) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص385-395/ ترجمة رقم 280، السخاوي: الضوء اللامع ج9: ص281-283/ ترجمة رقم 727، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص363-364/ ترجمة رقم 875، الشوكاني: البدر الطالع ج2: ص259-260/ ترجمة رقم 514، المعلمي: أعلام المكيين ج1: ص168/ ترجمة رقم 259، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص137-146/ ترجمة رقم 60.
- (71) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص5-13، الحلبي: القبس الحاوي ج2: ص29-35/ ترجمة رقم 576، الشوكاني: البدر الطالع ج1: ص512-513/ ترجمة رقم 257، المعلمي: أعلام المكيين ج1: ص167/ ترجمة = رقم 258، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص550-553، شافعي، لمياء: ابن حجر الهيتمي: ص17، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص147-160/ ترجمة رقم 62.
- (72) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1246-1248/ ترجمة رقم 1290، السخاوي: الضوء اللامع ج10: ص238-240/ ترجمة رقم 1004، المعلمي: أعلام المكيين ج1: ص169-170/ ترجمة رقم 260.

- (73) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص854/ ترجمة رقم 803، السخاوي: الضوء اللامع ج4: ص224-226/ ترجمة رقم 574، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص397-403/ ترجمة رقم 392، الشلي: السنا الباهر ص143، المعلمي: أعلام المكيين ج1: ص164-165/ ترجمة رقم 255، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص555-556، شافعي، لمياء: ابن حجر الهيتمي ص18-19، الهمزاني، بندر محمد: المنهج التاريخي لمؤرخي مكة المكرمة في القرن الحادي عشر، دار الجسر، الرياض، 1418هـ/1997م، ص20-21، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص170-179/ ترجمة رقم 72.
- (74) (السخاوي: الضوء اللامع ج1: ص290، الحلبي: القبس الحاوي ج1: ص149/ ترجمة رقم 132، ابن فهد، جار الله: نيل المنى ج1: ص258، الحنبلي: شذرات الذهب ج8: ص141، الشوكاني: البدر الطالع ج1: ص54-56/ ترجمة رقم 33، المعلمي ج1: ص148/ ترجمة رقم 227.
- (75) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص8، ابن فهد، جار الله: النكت الظراف في الموعظة بذي العاهات من الأشراف، تحقيق لمياء أحمد شافعي، الطبعة الثانية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 1438هـ/2017م، ص8، الحنبلي: شذرات الذهب ج8: ص301، المشيقي: تاريخ أم القرى ص130-131، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص556، شافعي، لمياء: ابن حجر الهيتمي ص19-20، الهمزاني: المنهج التاريخي لمؤرخي مكة ص20-22، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص195-213/ ترجمة رقم 81.
- (76) كاشف، سيدة إسماعيل: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي، لبنان، 1403هـ/1983م، ص49، النبراوي، فتحية: تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، الطبعة الرابعة عشرة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1427هـ/2007م، ص202.
- (77) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص620-621/ ترجمة رقم 530، السخاوي: الضوء اللامع ج1: ص166-167.
- (78) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج1: ص8، ابن فهد، جار الله: النكت الظراف، ص7، الحنبلي: شذرات الذهب ج8: ص301، المشيقي: تاريخ أم القرى ص130-131، الجابري: الحياة العلمية في الحجاز ص556، شافعي، لمياء: ابن حجر الهيتمي ص19-20، الهمزاني: المنهج التاريخي لمؤرخي مكة ص20-22، الهيلة: التاريخ والمؤرخون ص195-213/ ترجمة رقم 81.
- (79) ابن فهد، عمر: الدر الكمين ج2: ص1265-1268/ ترجمة رقم 1320، السخاوي: الضوء اللامع ج11: ص15-16/ ترجمة رقم 38، المعلمي: أعلام المكيين ج2: ص865/ ترجمة رقم 765.
- (80) آل كمال، سليمان بن صالح: مكتبة آل ابن فهد ودورها الحضاري في ازدهار الحركة العلمية الملكية خلال الفترة 736-995هـ/1335-1586م، مجلة مكتبة فهد الوطنية، محرم 1424هـ/مارس 2003م، م9-1، ص6-7.
- (81) الحسن، سعاد إبراهيم: النجم بن فهد مؤرخاً (812-885/1409-1480 م) رسالة دكتوراه بإشراف الدكتور محمد الحبيب الهيلة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1416/1995، ص69.

- (82) الزهراني، عائض بن محمد: النجم بن فهد وابنه العز ومعالم كتاباتهما التاريخية حول مكة، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ربيع الثاني/1422هـ/يوليو 2001م، م، 2، ع4، ص212.
- (83) الصمداني، محمد بن حسين: أسرة بني فهد الهاشمية المكية ونشاطها العلمي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، العرب، شعبان/1422هـ/ديسمبر 2001م، م، 27، ع2، ص71.

المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي في تشاد (1920 – 1960م) (دراسة تاريخية تحليلية)

محاضر - جامعة الملك فيصل - تشاد

أ. عبد الواحد محمد داود

أستاذ مشارك - قسم التاريخ - جامعة كردفان

د. يسرية موسى أحمد جمال الدين

مستخلص:

تناولت هذه الدراسة محور (المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي) (دراسة تاريخية تحليلية) حيث تناولت هذه الدراسة نبذة عن المقاومة التي وقعت بين الممالك التشادية والمحتل الفرنسي، وكذلك الأشياء التي ساعدت المستعمر للسيطرة على المملكة هو الخلاف الكبير الذي نشب بين الأمراء وتسرع البعض منهم إلى التحالف مع المستعمر. هدف هذا البحث إلى إبراز الدور العام والعظيم الذي قامت به المقاومة والوطنية في تشاد من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية للمواطن واللغة العربية، والوقوف أمام القوي الاستعمارية الفرنسية التي حاولت إحتلال البلاد وسلب خيراتها وطمس ثقافتها وهويتها. تكمن أهمية هذا البحث في أن المقاومة يعتبر ميداناً خصباً لدى الباحثين التشاديين إذ أنه لا يزال ينتظر جهوداً كبيراً من المهتمين بدراسة التاريخ خصوصاً في هذا العصر، فجاءت أهمية هذه الدراسة لإلقاء الضوء على المجتمع التشادي الذي تأثر بالاستعمار الفرنسي أيما تأثير، وهذا التأثير كان كبيراً ويرجع لعدة أسباب منها طبيعة الاستعمار المباشر، وطبيعة اختلاف الشعب التشادي المتمثل في الجنوب الوثني والشمال المسلم من جهة أخرى، كل هذا مما جعل المستعمر ينتهز هذه الفرصة لترك بصمته التي يعاني منها الشعب التشادي إلى اليوم، وتم استخدام منهج البحث: المنهج التاريخي لسرد الأحداث وفحصها وتتبعها على حسب التسلسل الزمني وتوصلت الدراسة عبرت الممالك الإسلامية خلال مقاومتها للاحتلال الفرنسي عن شجاعتها وصمودها بالرغم من قلة أفراد جيشها وعتادها. وتضامن الأهالي مع سلاطينهم لمواجهة الاحتلال دفاعاً عن قضية واحدة تخصهم جميعاً وهي الدفاع عن الأرض والدين والهوية. وأيضاً فرض المستعمر الفرنسي سيطرته على الممالك الإسلامية وجرد الملوك من صلاحياتهم واخضاع الممالك تحت إدارته العسكرية وتعيين عملاء لقيادة هذه الممالك بحيث يحققون أهداف المستعمر. توصي الدراسة على الدولة أن تهتم بمزيد من الأبحاث ذات الصلة بالمقاومات الوطنية وبجميع الوثائق التاريخية المتعلقة بهذا المجال، وأيضاً على الدولة الإكثار من مراكز البحث العلمي، وتزويد المراكز الموجودة بما تحتاجه من متطلبات العمل البحثي، والاهتمام بالإنتاج الفكري. وكذلك على الباحثين الاهتمام بالبحث العلمي في الموروث الوطني، لأن تشاد في حاجة لأفلامهم المخلصة.

كلمات مفتاحية:- مقاومة- وطنية- فرنسي- استعمار .

National resistance against Chad French colonialism (1920 – 1960 AD)

(analytical historical study)

Abdel Wahid Mahmat Daoud

D. Yousira Musa Ahmed Gamal El-Din

Abstract:

This study dealt with the axis of (national resistance against French colonialism (an historical and analytical study), where the study dealt with an overview of the resistance that took place between the Kingdom and the French occupier, as well as the things that helped the colonizer to control the kingdom. This research aims to highlight the general and great role played by the resistance and patriotism in Chad in order to preserve the Islamic identity of the citizen and the Arabic language., Standing up to the French colonial powers that tried to occupy the country and rob its resources and obliterate its culture and identity. The importance of this research lies in the fact that resistance is considered a fertile field for Chadian researchers, as it is still waiting for great efforts from those interested in studying history, especially in this era. This is due to several reasons, including the nature of direct colonialism on the one hand, and the nature of the difference of the Chadian people represented in the pagan south and the Muslim north on the other hand, all of this made the colonialists seize this opportunity to leave their mark from which the Chadian people suffer to this day, and the research methodology was used: the historical method Lists, examines, and tracks events in chronological order The study concluded that the Islamic kingdoms, during their resistance to the French occupation, expressed their courage and steadfastness, despite the lack of their army and equipment. And the solidarity of the people with their sultans to confront the occupation in defense of one cause that concerns them all, which is the defense of land, religion and identity. Also, the French colonizer imposed its control over the Islamic kingdoms, stripped the kings of their authority, subjected the kingdoms

under its military administration, and appointed agents to lead these kingdoms so that they would achieve the goals of the colonizer. The study recommends that the state pay attention to more research related to national resistance and all historical documents related to this field. The state should also multiply scientific research centers, provide existing centers with the requirements of research work, and pay attention to intellectual production. Likewise, researchers should pay attention to scientific research in the national heritage, because Chad needs their sincere pens

Keywords: Resistance - patriotism - French - colonialism

مقدمة :

لقد نشأت في تشاد عدد من الممالك الإسلامية أهمها مملكة كانم برنو ومملكة وادي ومملكة الباقرمي وقد عاشت هذه الممالك حياة إدارية واجتماعية واقتصادية وثقافية ودينية منظمة وقد كانت لكل واحدة منهن إهتمام واسع بالدين الاسلامي وتعاليمه، وكانت علاقتهم وثيقة ومتينة وحميمة مع الدول الإسلامية مثل المغرب وتونس ومصر والسودان وتركيا. وكانت لبعض هذه الممالك سفارات في هذه الدول وتربطها علاقات تجارية وعلمية واسعة فقد كانت الممالك الإسلامية التشادية تصدر الكثير من المنتجات التشادية مثل الصمغ العربي والملح والتمر والماشية والجلود والغلال الي هذه الدول وتحصل في المقابل على بعض الحاجات الضرورية للممالك مثل الملابس والاسلحة والحلي وغيرها من معدات الزينة والاثاث. وتعد هذه الممالك الإسلامية حاميات منيعة تقف في وجه التغلغل المسيحي، وكان سكان البلاد أما مسلمين او وثنيين ولم يكن في تشاد مسيحي واحد قبل دخول الاستعمار. وقد تمكن الاحتلال الفرنسي من التغلغل في الأراضي التشادية بعد مؤتمر برلين المشهور الذي عقد في عام 1884-1885م، حيث تقرر خلاله تنظيم الاستعمار في القارة الافريقية من قبل القوي الأوروبية (فرنسا، بريطانيا، اسبانيا، البرتغال، بلجيكا، ايطاليا) فكان من نصيب فرنسا بعض أقاليم افريقيا الغربية الوسطي حيث اقليم تشاد، ولكن لم يكن إحتلال فرنسا لتشاد لقمة سائفة، فقد واجهت مقاومة شرسة من الممالك الإسلامية التي كانت تحكم البلاد في ذلك العهد والتي كانت منظمة اجتماعياً وإدارياً وعسكرياً. وعندما كان هدف المستعمر هو احتلال البلاد وسلب خيرات الشعب وطمس هويته الإسلامية وإدخال النصرانية في البلاد كانت المقاومة دفاعاً منيعاً عن الارض والعرض والدين ، ولذلك كان الحماس نحو التصدي للاستعمار شديداً ، وتحولت جيوش الممالك الإسلامية في تشاد الي مقاتلين يقاتلون في سبيل الله مؤمنين به وبدينه وبقضيتهم، وقد لاقى المحتل الفرنسي تصدياً شرساً وعنيفاً، ولم تتمكن قوات الغزو الفرنسي من احتلال الأراضي التشادية كاملة الا بعد ان فقدت العديد من قواتها وعدداً من قادتها المشهورين مثل لامي ولارجو و مول وغيرهم . وقد كان لتلك المقاومة الصدى الاكبر في

تاريخ البلاد الا انه لم يتم تدوينه بصفة واقعية حتى الان، وان جمهورية تشاد الحديثة والمعاصرة بحاجة الي معرفة حقائقها التاريخية ولذا نحاول من خلال هذا البحث وضع القارئ او الباحث أمام هذه المعلومات حتى يتمكن من معرفة ماضيه قبل حاضره.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث الي

1. إبراز الدور العام والعظيم الذي قامت به المقاومة والوطنية في تشاد من أجل الحفاظ على الهوية لإسلامية للمواطن واللغة العربية.
2. الوقوف أمام القوي الاستعمارية الفرنسية التي حاولت احتلال البلاد وسلب خيراتها وطمس ثقافتها وهويتها.
3. كما يهدف هذا البحث الي اثراء المكتبة التشادية وغيرها بالمعلومات ولاسيما العربية.
4. تزويد الباحثين الوطنيين وغيرهم في هذا المجال بمعلومات مفيدة، واطافة شيء في تاريخ البشرية.

أهمية البحث:

لم يتطرق الباحثون بإسهاب عن الدور الذي قامت به الممالك الإسلامية في مواجهة الإحتلال الفرنسي بالرغم من أهميته. وأن معظم الأبحاث التي اجريت من قبل كانت باللغة الفرنسية وجرت معظمها في فرنسا، وان كان إعدادها ميدانياً في تشاد فان جامعات فرنسا هي التي كانت تمنح سابقاً الدرجات العليا "شهادة الدراسات المعمقة والماجستير والدكتوراه ولذا فان الباحثين قد تجنبوا بعض الجوانب التي يرونها تسبب احراجا للدولة المستعمرة التي تشرف على البحث، ولذلك لم تكن الأبحاث شفافة او بالأحرى كانت فاقدة لبعض الحقائق، ولذا نريد ان نضع أمام القاري والجيل الناشئ بعض الحقائق في تاريخ تشاد والتي تغاضي عنها البعض لأسباب تم ذكرها سابقاً.

من هنا تأتي أهمية هذا الموضوع الذي يضم مجموعة من الحقائق التاريخية التي تتعلق بمقاومة الوطنية للغزو الفرنسي في تشاد والذي يهدف الي الاستعباد وسلب الانسان التشادي من حقه وهويته الإسلامية وفرض هوية اخري غريبة إما علمانية او نصرانية.

أسباب اختيار البحث:

تعتبر فترة تاريخ تشاد من الفترات الغامضة، حيث لم تظفر بالاهتمام والفحص والعناية على نحو وافر من قبل الباحثين بسبب إهمال الكتاب الفرنسيين لتشاد أن ذاك، وباعتبارها واحدة من أقاليم فرنسا، كما أن الذين جاءوا وحكموا البلاد في تلك الفترة، ليسوا مهتمين بالتراث، بل كان اهتمامهم الأكبر جمع الثروات وكل ما يفيد مصلحة فرنسا.

كما أن ما كتبه المؤرخون العرب عن الممالك الإسلامية في تشاد قليل جداً في عمومه، وما كتبه الرحالة الأوروبيون عن الممالك في تلك الفترة ملئ بالأخطاء خاصة فيما يتعلق بمقاومة الممالك الإسلامية ضد الغزو الفرنسي وكان مبتور الحقائق لأنهم إعتدوا على ما نقله المستكشفون الذين وصفوا الاحداث حسب رأيهم.

فروض البحث:

حيث يتبين للباحث إن صراع الاستعمار في افريقيا هو سلب وإحتكار خيراتها وثرواتها المتعددة وفرض نفوذها:

1. فإن من أهم أسباب الغزو الفرنسي لتشاد موقعها الاستراتيجي الذي يربط كل إمبراطوراتها الاستعمارية التي اقامتها في ذلك الوقت.
2. لم يخلف الاستعمار الفرنسي في تشاد الا مشكلة التفرقة بين الشعوب، والتقسيم وغرس بذور الخلاف والشقاق بينها (فرق تسد)
3. لقد عانت المقاومة ضد الغزو الفرنسي في تشاد أكثر مما عانتها بقية الدول الافريقية بسبب موقف ممالكها الاسلامية وتصدي المسلمين له.
4. بعد خضوع تشاد للاستعمار زاولت فيها الإدارة الفرنسية نظام الحكم العسكري الجائر في تسيير الدولة.
5. وجد الغزو الفرنسي مقاومة في كل من المناطق التي يحكمها المسلمون حيث أبرزوا كراهيتهم له.
6. ما جري للعلماء في مذبحة الككب عام 1917م هو نتاج لمقاومة المسلمين للإستعمار الفرنسي وموقفهم المعارض له.

منهج البحث:

إن المنهج المتبع في هذه الورقة هو المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي والتتبع الاستقرائي والجمع بينهما حيث يمكن الباحث التعرف علي الاستراتيجيات التي اتبعها المستعمر الفرنسي لاحتلال المنطقة، والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية التي كانت سائدة لدي الممالك الإسلامية قبل الإحتلال وأساليب المقاومة التي اتخذتها الممالك الإسلامية لمواجهة الإحتلال والاستراتيجيات التي لجأت اليها فرنسا لإحتلال البلاد، فيكون البحث خاضعاً لمنهج تاريخي متسلسل الحلقات تتلاقى فيها النتائج بالمقدمات من أجل فهم الأحداث علي ضوء التطورات والأحداث المذكورة.

الحدود الزمانية والمكانية والموضوعية:

أ / الحدود الزمانية: من 1920 - 1960

ب / الحدود المكانية: دولة تشاد

ج/ الحدود الموضوعية: المقاومة الوطنية ضد الاستعمار الفرنسي

الدراسات السابقة:

1/ آدم عبد الرحمن الطاهر:

المقاومة الوطنية ضد الغزو الفرنسي في تشاد (1894 - 1918)، ماجستير جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، الخرطوم 2010م. قسم الباحث الرسالة الي مقدمة وخمسة فصول ثم الخاتمة، فجاء في الفصل الأول الإطار التاريخي ألا وهو تشاد

قبل الغزو الفرنسي ، والثاني الوضع السياسي أي التنافس الاستعماري علي افريقيا، وفي الثالث تطرق الباحث الي حقبة الاستعمار اي دخول الاستعمار الفرنسي الي تشاد، وفي الرابع تناول حقبة الحكم الجزئي قبل الاستقلال، اي رابع فضل الله في منطقة بحيرة تشاد ، وفي الفصل الاخير التمس الباحث منها المقاومة في الشرق والشمال.

2/ د. إجلال محمود رأفت:

تشاد دراسة تحليلية لجذور وطبيعة الحرب، مركز الدراسات الافريقية والآسيوية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1982م. تناول الباحث في هذا الكتاب في خمسة أجزاء وخاتمة على النحو التالي: الجزء الاول: دراسة اجتماعية للمراحل التاريخية لمشاكل تشاد، الجزء الثاني دراسة اقتصادية للمراحل، الثالث الظروف السياسية والإدارية التي ساعدت تشاد بعد الاستقلال، والرابع تناول جبهة التحرير الوطني، بينما في الجزء الخامس تناول الحرب التشادية التشادية. تناولت الدراسة في شيء من التشابه في الجزء الاول منها، والذي جاء في مرحلة الاستعمار، ومرحلة وجود المحتل ومرحلة الاستقلال والتي تبدأ مع التركيز لفترة حكم الرئيس تمبلباي عام 1960م.

3/ د. عبد الرحمن عمر الماحي:

تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال عام-1894 1918م) دار النهضة المصرية للكتاب، القاهرة، 1982م. يتضمن هذا الكتاب مقدمة وستة فصول وخاتمة، الفصل الاول تناول التركيب الاقتصادي، و الثاني التركيب الاجتماعي، والثالث دخول رابع فضل الله وبدء التغلغل الفرنسي، والرابع بداية الإدارة الفرنسية، والخامس تطور الهياكل السياسية في افريقيا الفرنسية، والسادس تطور الحياة السياسية في تشاد عام 1946م. خلصت الدراسة الي أن المجتمع التشادي ما قبل الاستعمار كانت حياته بدائية يعتمد السكان علي الزراعة الموسمية (الامطار) وتربية المواشي ، ولا يعرف الشعب الفواصل الحدودية الا بعد وصول الأوروبيين في المنطقة، وان مشاركة الشعب التشادي في نصرة فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) ، والوقوف في صفها قد فتح لهم المجال السياسي والمشاركة في الانتخابات البرلمانية الفرنسية، والاي يعتبر نصف المرشحين من الاقاليم الخارجية التابعة لفرنسا، وبذلك قد خطي خطوات نحو نيل الحرية والاستقلال فيما بعد .

المحور الأول: مقاومة رابع فضل الله ضد الاحتلال:

ظلت فرنسا تتكالب على منطقة السودان الأوسط لموقعها الاستراتيجي المتميز بوجود بحيرة تشاد في وسطها، لاستعمارها وربطها بمستعمراتها في أفريقيا الغربية، ولكنها كغيرها من الدول الأوربية الاستعمارية تخشى رابع وتهابه، ولا تريد الاصطدام معه، ومع ذلك كانت فرنسا تراقب الأوضاع عن كسب في منطقة بحيرة تشاد، وترسل مبعوثيها حتى تحين الفرصة للانقضاض عليها في الوقت المناسب ... وقد وجدت فرنسا الفرصة سانحة للتدخل عندما علمت بمواجهة «رابع» مع سلطان باقرمي «عبد الرحمن قورنق» وحصاره له في مدينة (مانجفا)، فطالب وزير المستعمرات الفرنسي (جيلان) الحكومة الفرنسية باتخاذ الإجراءات اللازمة لوضع حد لهيمنة رابع، فأصدرت

الحكومة الفرنسية الأوامر «لاميل جنتيل» (E.Gentel) بالتوجه نحو نهر شاري من أجل تقديم المساعدة لسلطان باقرمي⁽¹⁾.

في شهر يونيو عام 1899م وصلت معلومات إلى رابح، بالتحرك الفرنسي الموجه ضد وجوده في المنطقة. وفي شهر يوليو عام 1899م وصل النقيب «بريتوني» (Bretonnet) إلى «كوكاكة» حيث التقى السلطان قورانغ، وتحركا معا نحو «ديكوة» وخرج رابح لملاقاتهما قبل أن يصلا إليه، وتجمع جيشه الذي كان تحت قيادته في «كسري»، ثم منها صوب الجنوب، ووصل إلى منطقة «توجباو» وبدأ الهجوم على القوات الفرنسية والباقرمية في 17 يوليو عام 1899م، وبعد معارك ضارية قضى على البعثة الفرنسية بكاملها، فقد قتل النقيب «بريتوني» والملازمان «براون ودوران» واسر بعض حاشية السلطان «قورانغ»⁽²⁾ وبعد ثلاثة أشهر من تاريخ المعركة جاء «أميل جانتني» وبدأ الهجوم على رابح الذي كان يتمركز في «كونو» ودامت المعركة ثلاثة أيام بلياليها، وعند ما تيقن رابح من استحالة تحقيق النصر، أصدر أوامره بالانسحاب من بلدة كونو والعودة إلى ديكوة ومن فور وصوله إليها اخذ يعيد تنظيم جيشه لمواجهة الهجوم الفرنسي القادم الذي كان يعلم أنه وشيك الوقوع، فقد اخذ الفرنسيون يتعقبونه وطلب أميل جانتني من حكومته أن تمده بجيش يحقق به النصر التام، فصدرت أوامر بتحريك فرقة عسكرية من الجزائر بقيادة العميد «جرو، ولامي» وأخرى من النيجر بقيادة الملازمين «جوالاند، ومانير»، والتقت الحملتان في بلدة «جولفي»، وفي مارس عام 1900م هاجمت القوات الفرنسية مدينة «كسري» وقتلت واليها «بشارة خراج» وأسرت عدد من جنوده، ثم وصل جانتني والتقى الحملتين وعلى بعد ستة كيلومترات من مدينة كسري أقام رابح معسكره، وفي 21 أبريل عام 1900م تجمعت الحملات الفرنسية الثلاث تأهباً للعملية العسكرية، وفي 22 أبريل عام 1900م هاجم الفرنسيون بقيادة القومدان «لامي» على معسكر «رابح فضل الله»، واندلع القتال بين الفريقين، وركزت القوات الفرنسية قواتها على رابح بعد أن علمت انه يشكل عماد القوة المعنوية لجيشه في ميدان القتال، وفي حوالي الساعة الحادية عشر صباحاً من نفس يوم المعركة قتل «رابح فضل الله»⁽³⁾

أما الجانب الفرنسي فقد تكبد خسائر كبيرة وضربات قاسية، منها قتل قائد العمليات القومندان «لامي» والنقيب «كوانتيه» وعدد كبير من رجال القوات الفرنسية⁽⁴⁾ ... واستمرت القوات الفرنسية في متابعة وملاحقة ما تبقى من قوات رابح التي تولى قيادتها ابنه فضل الله بن رابح، حتى قتل في 27 أغسطس عام 1901م، وبهذا انتهت الحركة التي يقودها رابح.⁽⁵⁾ وهكذا سقطت مملكة رابح بعد فترة دامت سبع سنوات من 9 مارس عام 1903م إلى 22 أبريل عام 1900م مليئة بالأحداث المحلية والدولية.⁽⁶⁾

المحور الثاني: مقاومة مملكة كانم:

بينما كانت فرنسا تصفي حساباتها في جنوب غرب تشاد مع «رابح» عرفت باقي أجزاء البلاد فتناً سياسياً وقبلياً حادة بلغت ذروتها في كانم ووداي.

ففي كانم اضطربت الأوضاع من جراء الانقسامات القبلية والسياسية التي عرفها سكان المنطقة، ولا سيما بعد ما أبرمت حملة «جولاند ومنير» اتفاقاً أثناء مرورها مع بعض مسؤولي القبائل، فأصبح فيهم المؤيد والمعارض. ويمكن الإشارة إلى الصراع الذي كان قائماً بين أولاد سليمان والباقرمي، وإلى انقسام أولاد سليمان فيما بينهم، الأمر الذي أدى إلى مجابهة شديدة بين زعيمها «غيث» حليف السنوسية، و«شرف الدين» المتواطىء مع الرائد «لا مي» لمحاربة «رابح بن فضل الله».⁽⁷⁾

كما انقسم الكانمبو (مواطنو كانم) إلى فريقين؛ حيث تزعم الخليفة «آجي» حليف السنوسيين وأولاد سليمان التابعين لغيث عبد الجليل، والخليفة «جرباب» ابن عم «آجي» قائد الفريق الثاني.⁽⁸⁾

أما في وداي فقد كانت طبيعة الصراع سياسية، ونتج ذلك بعد تولي السلطان «إبراهيم بن يوسف» زمام الملك، فاستمر الصراع بين الأمراء، مما أدى إلى نشوب ثورة داخل القصر بعد سقوط السلطان «إبراهيم» وصعود السلطان «دود مرة» عرش الدولة وفرار الأمير «أحمد أصيل».⁽⁹⁾

لقد كانت الأوضاع في منطقة كانم متدهورة إلى حد بعيد عندما وصلها الفرنسيون، وذلك نتيجة للفراغ السياسي الذي كانت تعيشه البلاد منذ غزو «رابح» لها، وسقوط الحكم في برنو التي كانت كانم تابعة لها ... وعلى الرغم من أن كانم كانت لا تملك جيشاً منظماً في تلك الفترة يقوم بمهمة الدفاع عنها كما هو الأمر بالنسبة لمملكة وادي، إلا أن الأهلي في كانم لم يستسلموا للغزاة من أول وصولهم، فقد تصدوا لهم بكل بسالة، مدافعين عن منطقتهم بما توفر لديهم من أسلحة بسيطة، لا تساوي شيئاً أمام أسلحة الفرنسيين المتطورة، ولم تكن المقاومة في بدايتها منظمة بل كانت كل قرية أو مدينة تقوم بالذود عن نفسها. وقد وقع أول صدام بين أهالي كانم والقوات الفرنسية في منطقة ريق ريق (Rig Rig) التي لا تبعد كثيراً عن موقع الفرنسيين في شواطئ البحيرة ... وعلى الرغم من أنهم لم يصمدوا طويلاً أمام آلة الحرب الفرنسية، إلا أنهم برهنوا عدم قبولهم الخضوع للفرنسيين. وأيضاً وقع صدام آخر بين أهالي مدينة انقوري (Ngouri) والقوات الفرنسية الغازية، وابتدي هؤلاء السكان مقاومة عنيفة حالت دون دخول الفرنسيين المدينة، واضطرت القوات الفرنسية إلى طلب الدعم؛ فجاءت قوات أخرى لنجدتهم.⁽¹⁰⁾ وقد استمرت المعركة ثلاثة أيام متتالية وابلج فيها أهالي «انقوري» بلاء حسناً ولم تتمكن القوات الفرنسية الغازية من احتلال مدينة «انقوري» إلا بعد معركة ضارية وصعبة. وقام الفرنسيون بعد احتلال المدينة بتدمير المدينة وحرق أشجارها المثمرة ودفن إبارها وتشريد أهلها بالكامل.⁽¹¹⁾ وتقول رواية أخرى بأنه بعد معارك رهيبية التي درت ثلاث ولم تتمكن القوات الفرنسية من احتلال المدينة وقعت القوات الفرنسية مع حماية مع الخليفة جرارب على نمط الاتفاقية التي وقعت مع قورنق الباقر في عام 1897م بعد هذه المعارك تقدم النقيب ميلو بقواته داخل كانم وفي يوم 1900/11/9م إصطدم بقوات المقاومة وكانت قوات المقاومة بقياده عبدالله غيث عبد الجليل وبعد معارك ضارية اضطرت القوات الفرنسية إلى التراجع والتقهقر بعد مقتل قائدها النقيب ميلو وعدد كبير من

جنوده في أرض المعركة وقد فر الباقون من ميدان المعركة مذعورين قد عرفت هذه المعركة في التاريخ بمعركة 9 نوفمبر 1900م ومنذ هذا التاريخ لم تستطع القوات الفرنسية القيام بأي نشاط عسكري الأبعد 1902م أي بعد عامين من الهزيمة. وفي صبيحة يوم 20 يناير من عام 1902م نظمت القوات الفرنسية هجوما شاملا على منطقة كانم وقد استمرت المعركة العنيفة زهاء ثلاث ساعات متواصلة أصيب فيها الجانبان خاسر فادحة في الأرواح وبعد مقاومة قوية تمكن الفرنسيون من الاستيلاء على كانم.⁽¹²⁾ وبعد مقتل خليفة «آجي» سعى الفرنسيون للوصول إلى «غيث» من أجل الاتفاق لإنهاء المقاومة في كانم، ورفض «غيث» اللقاء بهم، ولما رأت القوات الفرنسية استحالة استمالة «غيث» إليها أو التحالف معه، أنهت عملياتها في كانم مؤقتة، وانسحبت باتجاه مدينة (جولفي) غرب نهر شاري، حيث التقت بالحملات الأخرى وتحركوا نحو (كسري) للالتقاء بقوات «رابح فضل الله»، ولم تعد القوات الفرنسية إلى كانم إلا بعد مقتل «رابح» في 22 أبريل عام 1900م، لقد أعطى انسحاب القوات الفرنسية من كانم وانشغالها بتصفية «رابح»، مزيداً من الوقت للمقاومة لتنظيم نفسها، واستطاع «غيث» أن يكون جيشاً من قبائل (القذافة وورفلة والمغاربة والقرعان والطوارق) وغيرهم من سكان المنطقة. وفي نفس الفترة التي انسحبت فيها القوات الفرنسية - أي أواخر عام 1899م، وصل «البراني الساعدي» إلى كانم مبعوثاً من قبل «محمد المهدي السنوسي» زعيم الحركة السنوسية، الذي استقر في تلك الفترة في (غورو)، وذلك لقيادة (بئرعلالي) التي وضع أسسها الشيخ «محمد عبد الله السنوسي» الذي وصل كانم منذ عام 1896م.⁽¹³⁾

هذا وبالرغم من سقوط مدينة كانم تحت وطأة الإستعمار الفرنسي صمد المواطنون في تلك المنطقة برفضهم للخضوع له معلنين استمرار كفاحهم ضد الغاзи وقد واجه المستعمر صمودهم وكراهيتهم له بالعنف والوحشية تمثلت في قتل وتشريد واحراق القرى والمزارع وكانت حادثة مركز موسورو من أكبر الدلائل حيث أن سكان المنطقة رفضوا دفع المجهودات الحربية التي فرضها فرنسا على الافارقة بعض خروجها من الحرب العالمية الثانية.

كانت فرنسا فرضت لأهالي المدينة دفع مبلغ سنوي يقدر بخمس وعشرين مليون فرنك افريقي يتم وضعه في الخزينة التي تسيطر عليها الادارة الفرنسية، وكما فرضت الادارة الفرنسية أيضاً تزويدها بالحيوانات لتوفير حاجيات الجنود من غذاء، وكما بدأت بالتجنيد الاجباري في اوساط الشباب بالقوة لإدخالهم في الجيش الفرنسي وارسالهم للحرب ولكن سكان مدينة موسورو لم يكونوا متحمسين لهذه القرارات المفروضة عليهم وخاصة هذا التجنيد الإجباري، ولذلك قاموا بتحريض الشباب وتشجيعهم الي الهروب من المدينة. وعند ما عجز الفرنسيون من القاء القبض على الشباب لجأوا الي اتخاذ أساليب اخري أشد قسوة في حق المواطنين فآظهروا أساليب التهيب والتخويف و الاستيلاء على الثروة الحيوانية تأديبا لأهل موسورو وبسبب هروب شبابها، ولم يتبقى أمام سكان المنطقة سبيل أو مخرج آخر سوي الهرب من غضب المستعمرين، وكان مسئول الوحدة العسكرية، للمنطقة النقيب جوردان ويوجد تحت قيادته برنارد قائد الخيالة، والنقيب بونيه الذي كان السبب في الكارثة التي حلت بمدينة موسورو وسكانها الأبرياء ولقد شددت فرنسا

من موقفها تجاه سكان المنطقة وبدأت في ممارسة عملية التأديب الجماعي المتمثلة في الزج في السجون وتسخرهم في الاعمال الشاقة دون أجر.⁽¹⁴⁾ واثناء قيام الفرنسيين بتلك الاجراءات التعسفية قد لاقى البعض منهم حتفه فتلك الحالة سببت الخوف والذعر في اوساط سكان المنطقة ، وعملوا على تفادي الفرنسيين بكل الوسائل ، ولكن الوحدات الفرنسية نظمت دوريات انتشرت في كل المنطقة ومنها دورية اتجهت لمدينة الشجرة التي تبعد مسافة أربعين كيلو مترا عن موسورو من ناحية الغرب وعندما وصلت الدورية إلى المدينة كان هناك مجموعة كبيرة من الشباب اجتمعوا في مأتم وعندما أحسوا بوجود الفرنسيين لاذوا بالفرار في اتجاهات مختلفة ، فطاردتهم القوات الفرنسية ، يتقدمهم قائد الدورية الفرنسي DREYFUS وانطلق شخصا وراء أحد الشباب الفارين واسمه نوري، فقارب القائد الفرنسي من الإمساك به ولكن الشاب وجه طعنة قاتلة بالسكين في صدر هذا الفرنسي ، فسقط DREYFUS على الأرض ولاذ الشاب بالفرار واختفي. وعندما تجمعت وحدات المطاردة وجدوا قائدهم مجروحا وكان يتخبط في دمائه فسألوا عن الفاعل، فأعطى أوصاف الشاب الذي طعنه، ومات في نفس اليوم. وعندما وصل مقتل DREYFUS للفرنسيين في موسورو عقدوا اجتماعاً طارئاً لدراسة الامر، وما يمكن القيام به ، حيال ذلك التصرف ، وفي تلك الاثناء كان سكان مدينة موسورو يمارسون أنشطتهم اليومية الطبيعية ، وليس لهم علم بما حصل في مدينة الشجرة .⁽¹⁵⁾ وفي اجتماع الضباط الفرنسيين، توصلوا للقرار التالي: قتل السكان وإحراق بيوتهم، ليأخذوا بثأر زميلهم، ووضعوا الخطة لتنفيذ قرارهم، وأعطوا الاوامر للجنود محاصرة أحياء المدينة فتحركت مجموعة أخرى من الجنود، بقيادة النقيب بونية جوردان والرائد بيرنارد بسد الطرق داخل المدينة، وقبضوا على الناس الذين وجدوهم على الشوارع وجمعوهم في مكان واحد ثم أطلقوا النار عليهم وقتلوهم جميعاً. أما المجموعة الاخرى المحاصرة للمدينة بدأت بإضرام النار في البيوت وكانت بيوت المدينة في تلك الفترة مبنية بجريد التمر والحطب والاعشاب فكلها مواد قابلة للإشتعال وبسرعة مذهلة. وبدأ السكان يهربونه من لهيب النيران الا أن رصاص الجنود الفرنسيين كان في انتظار كل من يحاول النجاة من النار، فقد تم حرق الجميع ولم ينج من أفرادها الا أعدادا قليلة وحتى الحيوانات لم تنج منهم، فتحول من فيها الى كتل متفحمة لا يعرف فيها الرجل من المرأة ولا المسن من الشاب، ومن الصعب حصر الذين قتلوا في تلك العلمية الفظيعة. وقال أحد شهود عيان ، أن عدد القتلى الذين تم جمعهم في طرقات المدينة 36 شخصاً.⁽¹⁶⁾

تقدم القوات الفرنسية نحو بركو أندي تبستي واصطدامها مع السنوسيين وبعد أن شرع الفرنسيون في الزحف للاستيلاء على اقليم كانم وبوركو وإيندي وتبستي ومملكة وداي، دخلوا في صراع مع أتباع الحركة السنوسية الذين استقروا في تلك المناطق، وذلك بدافع علاقات الجوار والرباط الديني الإسلامي، والمصاهرة بين الشعبين الليبي والتشادي... منذ عام 1842م، وفي ذلك الوقت كانت الطريقة السنوسية تستحوذ على نفوذ إسلامي كبير في أقاليم (بوركو وإيندي وتبستي وكانم) ومملكة وداي، وانتشرت زواياها في بئرعلالي وابشه وبوركو ووجنقة وغيرها.⁽¹⁷⁾ وفي يوم 09 نوفمبر عام 1901م، اصطدم «مبللو» بقوات المقاومة في بئرعلالي، وكانت قوات المقاومة يقودها

«غيث بن عبد الجليل»، وبعد معارك عنيفة اضطرت الحملة الفرنسية إلى التراجع بعد مقتل قائدها النقيب «مبللو» وعدد كبير من جنوده... يبدو أن النقيب «مبللو» لم تكن لديه معلومات كافية عن قوات المقاومة في بئرعلالي، لذلك نتيجة القرار الذي اتخذه أن لقي مصرعه مع عدد كبير من جنده في أرض المعركة، بينما فر الباقون من ميدان المعركة مذعورين... هكذا أدت الحالة التي كان عليها الجنود الفرنسيين الفارين من المعركة إلى زرع الخوف والرعب في نفوس الجنود الذين لم يشاركوا في المعركة، ويصور ذلك الملازم «بوبار» (Poupard) بقوله «أن عودة الجنود الجوعى والمرهقين، وخاصة إخبار الهزيمة خلقت إحساساً سيئاً للغاية لدى الجنود الآخرين...»⁽¹⁸⁾

أما القائد «تيتار» الذي تولى قيادة القوات الفرنسية في كانم بعد عودت «ديستناف» إلى (فوت - لامي)، فلم يستسلم للصمد كقائده، وعلى الرغم من أنه ليست لديه أوامر محددة؛ إلا أنه بدأ يتحرك بسرعة من أجل إنقاذ سمعة فرنسا والحيولة دون تشتت جنوده المذعورين... ففي يوم 18 يناير عام 1902م، بدأ «تيتار» تقدمه نحو بئرعلالي، بعد أن أكمل استعداداته، وفي صبيحة يوم 20 يناير عام 1902م بدأت القوات الفرنسية هجوماً شاملاً على زاوية بئرعلالي، ونشبت بذلك معركة كانت من أعنف المعارك التي قادتها القوات الفرنسية في كانم، أبدى فيها المقاومين بقيادة «البراني» شجاعة نادرة في الدفاع والذود على زوايتهم، واستمرت المعركة العنيفة زهاء ثلاث ساعات، أصيب فيها الجانبين بخسائر كبيرة في الأرواح والعتاد، وفي حوالي الساعة الثانية عشرة ظهراً تمكنت القوات الفرنسية الغازية المحتلة، من دخول الزاوية ورفع العلم الفرنسي فيها.⁽¹⁹⁾

اضطر المجاهدون إلى الانسحاب بقيادة «البراني الساعدي» إلى بركو، حيث أسسوا دوراً في كلك (Kalak)، كما تأسست دور أخرى في (بسكر) بقيادة «صالح بو كريمي»، وكذلك استخدم المجاهدون أسلوب حرب العصابات (الفر والكر) في مقاومة الفرنسيين، وبهذا الأسلوب شنوا هجوماً على منطقة بئرعلالي في مايو عام 1904م، وهجوماً على منطقة زقي (Zugei)، وعلى إثر ذلك قامت القوات الفرنسية بحملة ضد المجاهدين بقيادة «عبد الله التوير» في منطقة (كلك) استشهد فيها عدد من المجاهدين.⁽²⁰⁾ وفي هذه الأثناء تواصلت الحملات الفرنسية المكثفة بقصد الاستيلاء على منطقة بوركو وإيندي وتبستي، وفي غرب (فايا) وقعت معركة (أم العظام) التي استشهد فيها كثير من المجاهدين، على رأسهم «عبد الله التوير» قائد المجاهدين، وتبع ذلك في عام 1906م تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على منطقة (كوار)، كما تمكنت عام 1907م من إحراز نصر حاسم ضد دور «البراني الساعدي» في (كلك) وقتل «البراني» وعدد من أتباعه، وفي عام 1910م استطاع «أحمد الشريف» أن يقنع الأتراك العثمانيين بضرورة التدخل إلى جانبهم، في معاركهم ضد القوات الفرنسية في تشاد، التي زحفت نحو بوركو وإيندي وتبستي، ولكن القوات التركية التي وصلت إلى بوركو تحاشت الاصطدام بالقوات الفرنسية بالمنطقة، وجرى تبادل الرسائل بين الجانبين بقصد حماية القوافل التجارية والإبقاء على التفاهم بينهما لحين الاتفاق على الحدود بين الدولتين... واستغلت فرنسا الظروف الصعبة للأتراك على إثر الغزو الإيطالي للسواحل الليبية في أكتوبر عام 1911م، واندلاع الحرب في البلقان سنة 1912م، فشددت حملاتها العسكرية على المجاهدين السنوسيين في بوركو، وبالفعل شن العقيد

«لارجو» (Largeau) هجمات متتابة على المجاهدين في منطقة (كلك) في 17 نوفمبر عام 1913م و(فايا) في ديسمبر من نفس العام، وفي (غورو) أيضا في ديسمبر عام 1913م يعتبر اكبر هجوم شنه الفرنسيون على السنوسيين، وكان لها اثر كبير في إنهاء العمليات الحربية والمقاومة في بوركو... واضطر المجاهدون الليبيون إلى نقل حركة المقاومة من تشاد إلى سواحل ليبيا الشمالية لمواجهة الإيطاليين.⁽²¹⁾ وهكذا فإن الطريقة السنوسية أسهمت في تأكيد علاقات ليبيا بتشاد وما حولها بصورة قوية فريدة، ولكن جاء حدث الأحداث بتقهقر الحركة السنوسية أمام كثافة نيران السلاح الناري الفرنسي، حيث استطاعت فرنسا أن تحتاح منطقة تشاد الحالية وان تصل طلائع جيشها إلى منطقة فاشودة في عام (1898م) مما أدى إلى صراع مع بريطانيا للفوز بهذه المنطقة، وانتهى ذلك الصراع بالمعاهدة الفرنسية - البريطانية في مارس عام 1899م.⁽²²⁾

يتضح من خلال تتبع حركة الاستعمار الفرنسي في تشاد تتبين لنا عدة أمور منها أن دخول (رابح) في المنطقة وعدم اتفاه مع الممالك الإسلامية في تشاد ودخوله في صراع معها كان سبباً في عدم استقرار المنطقة، مما جعل السلطان (جورانج الثاني) يعجل بتوقيع اتفاقية الحماية مع الفرنسيين لإنقاذ مملكته دون النظر إلى العواقب التي تترتب على تلك الاتفاقية. وكذلك الخلافات الداخلية بين الأمراء أيضا كانت سببا في دفع عجلة القضاء على المقاومة، لأنهم رموا أنفسهم في أحضان الاستعمار الفرنسي الذي وجد الفرصة مواتية لتحقيق أهدافه بعد القضاء على المقاومة.⁽²³⁾ هذا بالإضافة إلى المؤامرات الدولية حول السيطرة على مقدرات الشعوب الأفريقية وسرقة خيراتها، واستعبادها والاتجار بأبنائها، وطمس معالمها الحضارية وقتل وتشريد علمائها، وإتباع سياسة فرق تسد. ولا عجب فان الاستعمار منذ انطلاسته يريد التخلص من رمز الخلافة الإسلامية الممثل في الدولة العثمانية، ما يسمى بالرجل المريض والاستعلاء على مقدراته، وقطع الطرق التجارية التي تعتبر الوريد المغذي لاقتصاديات الشعوب الإسلامية من أجل إضعافها وطمس كل ما يمد إلى الإسلام بصله، والأمر الآخر الذي شجع القوى الاستعمارية على ما يبدو هو سقوط دولة الخلافة الإسلامية بالأندلس عام 1492م.

وصفوة القول أبدى المسلمون التشاديون مقاومة جهادية عظيمة فحكمت فرنسا البلاد ملطخة بدماء الشهداء والقادة والأبطال من أمثال السلطان دود مرة ورابع فضل الله، وقد أفادت قوات الغزو الاستعماري من سطوة الآلة الحربية الحديثة التي تسلمت بها، كما أفادت من الصراع الإسلامي الذي عم المنطقة.⁽²⁴⁾

المحور الثالث: مقاومة مملكة وداي :

ان القوات الفرنسية بعد القضاء على رابع فضل الله وقواته والسيطرة على المناطق الجنوبية الغربية من البلاد وبعد احكام سيطرتها على منطقة كانم زاحت نحو مملكة دار وادي وقررت احتلالها سواء عن طريق العمليات العسكرية أم عن طريق مساندة المطالب بالعرش محمد أصيل بن عبد المحمود.

لقد استولى دود مرة على السلطة في وداي بالقوة، من ابن أخيه احمد غزالي بن علي ثم قدح^(*) عينيه وحاول أيضا قدح عين محمد أصيل اخ السلطان المخلوع، ففر محمد أصيل مع بعض أنصاره من أبشة إلى (انقري) ليلتمس الحماية من المقدم ديستناف الحاكم العسكري

الفرنسي بالنيابة لأراضي تشاد المحتلة. ونظراً لخطورة الموقف العسكري في الجبهة الشمالية، والنقص المستمر في الجنود الفرنسيين، بسبب الخسائر التي يسببها السنوسيون، فقد اعتقله العقيد / لارجو في يونيو 1902 ورحله إلى (فورت دي بوسيل) حيث اعتبر تصرفه شائناً للقيادة الفرنسية في ذلك الوقت.⁽²⁵⁾ وكان السلطان دود مرة - الذي تقلد السلطة في عام 1901 مشغولاً بالتخلص من وصاية جرمه عثمان *، ولم ينجح في ذلك إلا في عام 1906، كما أن انشغاله بتسوية الأمور الداخلية للمملكة، حال دون قيامه بعمليات حربية ضد القوات الفرنسية، فضلاً عن ذلك كانت حدوده الشرقية تسبب له قلقاً شديداً بسبب ادعاءات سلطان دارفور على دينار، ومطالبته بالسيادة على وداي. إذ كان يطمح في ضم دار تاما، ودار قمري، ودار سيل، ودار مساليت إلى مملكته، وفي عام 1905، بدت الحرب وشيكة الوقوع بين المملكتين، حيث قام المساليت بضرب جنود عقيد المحاميد، ولم ينجح دود مرة في تلافي هزائم جيشه إلا بسحبه من مراكزه الدفاعية إلى أبشه. وعلى الرغم من أن مملكة وداي كانت مهددة بالتدخل الفرنسي، والفوراوي. فإن روح الوطنية فيها كانت مفقودة بسبب الاستبداد وعمليات الابتزاز التي يمارسها المسئولون ضد السكان، الأمر الذي دفع بعضهم إلى الفرار بأموالهم إلى المناطق المجاورة التي تحتلها القوات الفرنسية. وقد خلقت المخاوف المتبادلة حالة من التوتر الدائم بين الجنود الفرنسيين وجنود وداي، وترتب على ذلك بعض الاشتباكات.⁽²⁶⁾

كان العقيد / كبرو يربط بجيشه في أراضي سلامات كي لا تغلغل القوات الفرنسية الزاحفة من الجنوب في المملكة وعلى الرغم من ذلك قام الملازم الفرنسي (تورانك) في 15 فبراير 1907 بهجوم على مدينة (أم التيمان)، وبعد معارك دامت يومين قتل العقيد كبرو، وعدد كبير من جنوده، وسيطر الفرنسيون على المنطقة: ومنذ بداية عام 1908 قرر الفرنسيون احتلال وداي، فاستدعوا (أصيل) من المنفى واستعانوا به في عملية الاحتلال وإسقاط دود مرة.⁽²⁷⁾ وفي مارس 1908 قامت فرقة النقيب (جرسليمي) المكونة من 250 جندي و180 معاون تابع لأصيل من موقعها في (بوركور) وتقدمت حتى مدينة (آتية) التي لم تبعد عن مدينة (ابشه) عاصمة وداي إلا بمقدار 180 كيلومتر نحو الشرق فأحس دود مرة بالخطر واخذ يستعد لمواجهة بالقوة والدبلوماسية حيث سعى للتقرب من السنوسيين في شمال البلاد قبل دخول المعركة.⁽²⁸⁾ وفي 29 مارس 1908 قام عقيد المحاميد محمد بن بشاره بهجوم على الفصائل الفرنسية المرابطة في منطقة (دكوشي) بالبطحة وكان معه حوالي 2800 مقاتل، بالإضافة إلى وحدة من القوات السنوسية، وقد استمرت المعركة يوماً كاملاً، ونظراً لعدم تكافؤ الأسلحة، فقد أصيبت قوات وداي بخسائر كبيرة في الرجال والعتاد. وكان من بين الذين قتلوا عقيد المحاميد، وعقيد الراشد وعقيد الدبابة، وأصبح طريق أبشه مفتوحاً، حيث تمكن النقيب (فينشك) بعد هذه المعركة بعام واحد من رفع العلم الفرنسي فوق مدينة (ابشه) في 2 يونيو 1909.⁽²⁸⁾ وتولى محمد أصيل حكم البلاد، ووقع معاهدة مع الحاكم العسكري الفرنسي العقيد لارجو، سلبت بمقتضاها السلطات التنفيذية التي كان يتمتع بها سلاطين وداي، وحرية الرأي والتنقل التي كان يتمتع بها الشعب في البلاد وحولت الأرض من الملكية الفردية إلى الملكية الجماعية، وأن كل شئ في البلاد أصبح بتوقيعها تحت إشراف، وتصرف الحاكم الفرنسي، دون

أن يراجع أحد فيما يتخذ من قرارات تتعلق بمصير الأفراد أو ممتلكاتهم وقد فعل الاستعمار هذه الإجراءات في كل مكان حل به لكي يحافظ على كيانه ويقوى على البقاء طويلا في البلاد.⁽²⁹⁾

غير أن المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي لم تنتبه فقد لجأ السلطان دود مرة إلى المناطق المجاورة مع البقية الباقية من جنوده وأنصاره، ووقف السنوسيين ، وسلطان الجنية ، وسلطان دارفور إلى جانبه ، وقرر المقدم مول ، الذي تولى قيادة العمليات العسكرية في تشاد في أول نوفمبر 1909 مواجهة هذا الموقف بالهجوم، وعين النقيب (فينشك) قائداً للعمليات في دار مساليت بهدف إقامة حدود تفصل بين دارفور ووداي، فاصطدم بمقاومة تاج الدين سلطان الجنية الذي نجح في هزيمته بالقرب من قرية (بير طويل) في 4 يناير 1910 فقد قتل النقيب (فينشك) والملازمين (بيراويلاك وباسير) والرقيب (برانجي) و100 قناص و 80 جنديا معاونا ونجا 8 جنود فقط من الفرنسيين والمعاونين ، ليصلوا إلى إيشه ويخبروا بالهزيمة وكان لهذه الهزيمة صدى هائل في فرنسا، حتى دفعت البرلمان الفرنسي إلى التصويت بالموافقة على الاعتمادات المالية اللازمة لتدعيم القوات الفرنسية في تشاد، حيث ارتفع عدد أفرادها من 1200 إلى 1800 موزعين على كتيبتين كل كتيبة مكونة من 4 سرية وكان لهزيمة الفرنسيين أثر طيب على المواطنين، لأنها أول هزيمة كبيرة يعرض لها الفرنسيون في الجهة الشرقية. وقد انضمت دار سيليا في شخص السلطان بخيت إلى تاج الدين سلطان دار مساليت الذي طلب من محمد أصيل أن ينضم إليه لمقاومة الاحتلال الفرنسي ، ولكنه لم ينجح في إقناعه، وبهذه الهزيمة تدعم موقف السلطان دود مرة الذي ظل مسيطراً على شمال وداي،⁽³⁰⁾ وتمكن محمد السني من السفر إلى الفاشر وحصل تحت رعاية السنوسيين على المصالحة بين دود مرة وعلي دينار واتحدت جيوشهما وقامت باحتلال (دارتاما) إلا أن أسلحتهم كانت غير فعالة في مواجهة الأسلحة الفرنسية، ولذلك تمكن النقيب (شافيلو) والملازم (هاميل) من التصدي على هذا الجيش في 7 أبريل 1910م في (وادي جريدا) وفي 8 أبريل تمكن النقيب (شافيلو) من اخراج دود مرة من المدرج الصخري في (كابكا) الذي كان ملجأ له ، فاحتوى بالسلطان تاج الدين . واشتدت المقاومة ضد الفرنسيين في دار مساليت، فطلب المقدم (مول) تصريحاً من الحاكم العام الفرنسي في (برازفيل) أن يتوجه بنفسه إلى دار مساليت على رأس 300 جندي ومدفعين لوقف المقاومة التي تفاقمت من جراء تدعيم السلطان علي دينار، والسلطان تاج الدين لدود مرة أثناء فترة الاسترخاء في فصل الأمطار. وفي نوفمبر 1910 وعلى مقربة من قرية (دورتي) اصطدم المقدم (مول) بهجوم عنيف قامت به قوات تاج الدين ودود مرة المشتركة فقتل تاج الدين وعدد كبير من جنوده في هذا الهجوم ، وفقد الفرنسيون القائد الأعلى لقوات الحملة وحاكم أراضي تشاد المقدم (مول) والملازمين (جولي) و (بريلي) وعدد كبير من ضباط الصف والجنود.⁽³¹⁾ وبمجرد ذيوع الخبر أثار ذلك ردود فعل عنيفة في فرنسا ، وتم تعيين العقيد (لارجو) ليحل محل المقدم (مول) ووافق البرلمان الفرنسي مجدداً على الاعتمادات المالية التي تتيح تدعيم القوات الفرنسية في تشاد بكتيبة تضم 800 رجل.⁽³²⁾

اضطرت القوات الفرنسية إلى التغاض عن وجود محمد السنوسي^(*) في (داركوتي) في تلك الفترة بسبب قلة عددها والمعارك التي كانت تشنها على المقاومة في وداي بنما نجح محمد السنوسي

في تشكيل جيش قوي واخذ يهاجم القوات الفرنسية إلى جانب دود مرة. فقرر النقيب (موردي) قائد حامية (انديله) الهجوم عليه في فبراير 1911م وبعد معارك عنيفة قتل محمد السنوسي وابنه آدم ومحمد حفيد رابع و4 من رؤساء الفرق العسكرية وحوالي 200 جندي. وفقد الفرنسيون 110 قتيل وعدد من زعماء الفرق المعاونة.⁽³³⁾ وفي يوم 25 أكتوبر 1911م تلقى دود مرة رسالة من الحاكم العسكري الفرنسي في تشاد لأرجو تتضمن الأذن له بدخول مدينة أبشة وإعطائه عهدا بالمحافظة على حياته وحياة أفراد أسرته وفي يوم 27 من نفس الشهر دخل دود مرة أبشة في موكب عظيم ممتطيا جواده الأبيض تحيط به زوجاته ووالدته وكوكب من الفرسان والعقداء و115 فارسا و130 مرتجلا من جنوده وقد انتهزت السلطات الفرنسية هذه الفرصة واعدت له استقبالا يليق به وقد حضر مراسم الاستقبال ثلاني ضباط فرنسيين وبعض الفرق العسكرية الفرنسية وعدد 250 فارسا من قوات أصيل وفي يوم 28 صدر قرار بمنح دودة مرة معاشا شهريا قدره 1000 فرنك وفي شهر نوفمبر نفى إلى فورت لامي وبقي هنالك إلى أن توفي يوم 6 أبريل سنة 1927م.

أما أصيل فلم يستمر حكمه كسلطان على البلاد سوى ثلاث سنوات من 22 أغسطس 1909 إلى 12 يونيو 1912م بذل خلالها كل ما يستطيع من خدمة للإدارة الفرنسية وشارك في المعارك والهجمات الفرنسية على المدن وقضى على الثورات الداخلية ولقن الشعب أنواعا من العذاب ولم يسلم من ظلمه حتى أخوته.⁽³⁴⁾

وقد أعلنت الإدارة الفرنسية بعد ذلك أن أصيل لم يكن مرغوبا فيه كسلطان على البلاد فتم القبض عليه يوم 16 يونيو 1992م بتهمة التحريض على الثورة ضد الوجود الفرنسي وفي 22 يوليو 1914م صدر ضده حكما بالسجن لمدة عشر سنوات إلى أن مات بسجن في فورت لامي يوم 24 نوفمبر يونيو 1915م وقد أدى موته إلى إنهاء حركة المقاومة.⁽³⁵⁾ وفي 15 أكتوبر 1925 عين محمد عراضه بن دود مرة سلطانا على وداي من قبل الإدارة الفرنسية بعد عودته من البعثة الدراسية التي قضاها في (برازفيل) إلا أنه اغتيل بالسسم في عام 1945 بسبب افكاره الوطنية المناهضة، للاستعمار الفرنسي.⁽³⁶⁾

المحور الرابع: دور السنوسيين في مقاومة الاحتلال الفرنسي:

ومن جيوب المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد، كفاح السنوسيين ولهذا يجدر بنا أن نلقي ضوءاً على تسلمهم إلى تشاد وتأثيراتهم الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وموقفهم من الاحتلال الفرنسي. وصل السنوسيون إلى تشاد في عام 1899 فتمركزوا في المناطق الشمالية وأخذوا يمارسون العمل السياسي بالإضافة إلى الدعوى والنشاط التجاري وأصبحوا منذ ذلك التاريخ يحتكرون تجارة الأسلحة والذخيرة والسكر والشاي والملح والعاج وريش النعام والرقيق والعسل بين ممالك تشاد ودول حوض البحر المتوسط.⁽³⁷⁾ وقد انضم إليهم أولاد سليمان (الذين وصلوا إلى تشاد منذ عام 1835 من فزان. كما انضم إليهم أيضا قبائل (التوبو) وعدد من قبائل العرب والكادمبو والزغاوة والقرعان. وفي عام 1900 أنشأ السيد / البراني زاوية (بئر علالي) في كانم، وأقام عن طريق هذه القبائل شبكة من الاتصالات التجارية، أتاحت له الحصول على عدد كبير من المواطنين للاشتراك في جيش المقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي.

فقد كان السيد / محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي زعيم الحركة السنوسية قد قاد قبل وفاته في بلدته (غورو) بانيدي في نوفمبر 1902 عملاً دبلوماسياً لدى مختلف سلاطين ومشايخ القبائل التشادية⁽³⁸⁾ فقد بعث محمد السني إلى يوسف سلطان وداي وعبد الرحمن جاورانج الثاني سلطان باقرمي لتحسين العلاقات التجارية والتحالف معها لمواجهة الغزو الفرنسي معها،⁽⁴⁾ فرحب به سلطان وداي وتحالف معه أما سلطان باقرمي فقبل العلاقات التجارية لكنه رفض لتحالف العسكري التزاماً منه بمعاهدة الحماية التي كان قد عقدها مع فرنسا في أكتوبر 1897.⁽³⁹⁾ وقد تعرضت العلاقات بين مملكة وداي والسنوسيين لبعض الأزمات في عهد السلطان احمد غزالي (1900-1901) ولكنها عادت إلى قوتها في عهد خلفه دود مرة الذي حكم من عام 1902 إلى 1911 والذي وقف صفا واحداً من السنوسيين في التصدي للغزو الفرنسي.⁽⁴⁰⁾ وجد الفرنسيون أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في تشاد في صراع مع عدو قد يكون اقل ضاراً من رابع على المستوى العسكري ولكنه عدواً أكثر مهارة من رابع على المستويين النفسي والدبلوماسي، عدو يشعر بالعزة والطمأنينة وهو يدافع عن مبادئه الدينية، ومصالحه القومية مما جعل المقاومة شديدة في الجبهة الشمالية والشرقية إلا أن عدم تحالف سلطان باقرمي مع القوى الوطنية الأخرى فتح ثغرة كبيرة في الجبهة الجنوبية للتغلغل الفرنسي.⁽⁴¹⁾ وبطبيعة الحال فإن زاوية بئر علالي. في كانم أصبحت القلعة المتقدمة للسنوسيين تجاه الجنوب، حيث تشكل المقاومة بالنسبة للمعارك الأولى مع الفرنسيين.

ففي عام 1901 قاد النقيب (مبللو) هجوماً عليها ولكنه فشل ولقي مصرعه مع عدد كبير من جنوده. وفي عام 1902 قاد النقيب (تيتار) هجوماً آخر تمكن فيه من الاستيلاء عليها بعد معركة عنيفة فقد فيها الجانبين عدداً كبيراً من قواتهما. لم يستسلم السنوسيين للهزيمة في (كانم) إلا بعد المحاولة الفاشلة التي قام بها (أبو عقيلة) لاستعادة بئر علالي.⁽⁴²⁾

لقد اتهم السيد البراني الذي كان يقود المقاومة في بئر علالي أثناء الهجوم الفرنسي، بالتهاون والأعمال في مهمته، لذلك عين بدلاً عنه، المقدم أو عقيلة، الذي قام يوم 4 ديسمبر 1902 بهجوم مكثف على القوات الفرنسية استمر ثلاثة أيام. وكان الفرنسيون يتوقعون مثل هذا الهجوم فعززوا مواقعهم بالرجال والأسلحة الثقيلة. لذلك لم يستطع أبو عقيلة شق صفوفهم، فاستشهد في المعركة مع عدد كبير من جنوده، وسيطر الفرنسيون منذ ذلك التاريخ على كانم وبدأوا يتجهون صوب (عين جلركة) في (بوركو) حيث يقيم السيد / البراني. في عام 1907 زحفت القوات الفرنسية من كانم بقيادة النقيب (بورودو) والنقيب (كورني) وهجمت على بلدة (عين جلركة) ودار فيها قتال استشهد خلاله السيد / البراني، وفقد الفرنسيون معظم قواتهم حتى اضطروا إلى الانسحاب والتراجع إلى كانم وفي عام 1908 قام النقيب (سيللي) والملازم (لانلوار) والطبيب البيطري (لياقي) بحملة أخرى على عين جلركة ، ولكنها فشلت أيضاً نتيجة لتمكن أحد المواطنين المرافقين للحملة من التسلل سرا إلى السنوسيين وأخبارهم بخطة الهجوم ، واستبسال القوات السنوسية على التصدي

للحملة ، الأمر الذي أدى إلى تكبد القوات الفرنسية خسائر جسيمة. وتتابع النكسات العسكرية للتغلغل الفرنسي بعد ذلك في كل الجبهات.⁽⁴³⁾

ففي (انيدي) هزم المقدم صالح أبو كريمي القوات الفرنسية وأوقف تقدمها في المنطقة وفي (وشانكلي) أباد عبد الله التوير عام 1909 كتيبة فرنسية بكاملها وأسس عدداً من نساء وأطفال الفرنسيين ورحلهم إلى (عين جلركة) هذا بالإضافة إلى النكسات الأخرى التي تعرضت لها القوات الفرنسية في أراضي مملكة وداي خاصة في (وادي كاجا) و (دورتي)⁽⁴⁴⁾ ونظراً لهذه الهزائم بعثت الحكومة الفرنسية العقيد / لارجو في عام 1910م لإدارة العمليات العسكرية في تشاد ومعه تصريح باحتلال (بوركو) علماً بأنه كان قد تولى قيادة الحملات الفرنسية في وداي في الفترة ما بين 1902-1904 ومنذ وصوله إلى تشاد أخذ يجمع فلول القوات الفرنسية في كانم، وطلب من القيادة العامة التي كان مقرها في (برازفيل) مؤونة عسكرية إضافية. تنبه السيد / أحمد الشريف إلى ما تدبره فرنسا ضد المقاومة السنوسية في تشاد، فسحب مركز قيادته من (غورو) إلى (كفره) والتمس الحماية من الدولة العثمانية معتقداً أنها قادرة على تأخير التقدم الفرنسي في تشاد.⁽⁴⁵⁾

كان يتولى الإدارة العثمانية في ليبيا في تلك الفترة أعضاء الحزب التركي الجديد (تركيا الفتية) الذين اصطدم السيد أحمد الشريف بإداراتهم أكثر من مرة وعلى الرغم من ذلك عرف كيف يستعين بهم في الوقت الذي أرسل إلى (اسطنبول) وفداً ليؤكد للسلطان العثماني ولاءه، وفي عام 1908، أوفد جلال باشا حاكم إقليم مرزوق. القائم مقام عثمان أفندي لاحتلال واحة (بارداي) وفي عام 1911 قامت حامية تركية بقيادة النقيب رفقي باحتلال (ين) الواقعة بجوار (عين جلركة) غير أن التهديد الإيطالي للدولة العثمانية بانزال جنود على الساحل الليبي، اضطر رفقي إلى العودة إلى طرابلس وترك الحامية التي كان يرافقها. فطلب المقدم عبد الله التوير من هذه الحامية أن تذهب لاحتلال انيدي) قبل وصول الفرنسيين إليها، وقد تم تنفيذ ذلك إلا أن الملازم الفرنسي (ديفور) طلب من قائد الحامية التركي الانسحاب منها، فلم يعترض بل انسحب وعاد إلى (فايا) في 14 مارس 1912. فاستاء السنوسيون من تصرفه واتهموه بالخيانة ثم حكموا عليه بالإعدام في أكتوبر 1912.⁽⁴⁶⁾ ولم ترسل الحكومة العثمانية مساعدة عسكرية بعد ذلك لحماية أراضي تشاد الشمالية.⁽⁴⁷⁾ وقد واصل السنوسيون نضالهم ضد الاحتلال الفرنسي الذي اشتدت وطأته بعد وصول العقيد / لارجو من فرنسا عام 1910.

ففي عام 1911 قامت فصيلة فرنسية من الهجانة التابعة لكانم بهجوم على بلدة (فوكو) وفي 15 مايو 1913 أسر المقدم صالح كريمي، وعدد من جنوده في بلدة (ووي) بانيدي وبعد ذلك بثمانية أيام، حاول عبد الله التوير مقدم عين جلركة القيام بهجوم مباغت على فرقة الملازم (ديفور) ولكنه لم ينجح في تنفيذ خطته، فاستشهد أثناء المحاولة وفي 24 أكتوبر 1913 غادر العقيد / لارجو مدينة (ماو) بكانم متجهاً إلى (عين جلركة) القلعة الصامدة التي صدت جميع الحملات الفرنسية. وطلب من الملازم (ديفور) الذي كان يربط في منطقة (بلتين) أن يلحق به، فالتقى الجيشان وهجما على عين جلركة في 24 نوفمبر 1913 وبعد 5 أيام من المعارك العنيفة فقد الفرنسيون عدداً كبيراً من قواتهم وعلى رأسها: النقيب (ماجسون) والملازم (بيري فونتين) والمساعد

(الجريون) واستشهد من السنوسيين المقدم محمد أريده الذي خلف عبد الله التوير، وعدد من رجاله، واستسلمت المدينة. ويعود السبب في الهزيمة إلى ضعف الأسلحة التي لم تكن متكافئة مع الأسلحة الفرنسية الثقيلة.⁽⁴⁸⁾ وبعد هذه الهزيمة استولى الفرنسيون على (فايا) و (وينقا) و (غورو) دون مقاومة تذكر.

ففي (غورو) هدمت القوات الفرنسية قبة الإمام محمد المهدي (*) وتمكنت من أسر محمد السني، إلا أنه أفلت من يدها بعد الأسر، ولجأ إلى كفره، حيث يوجد السيد أحمد الشريف.⁽⁴⁹⁾ ومنذ ذلك التاريخ انتهت مقاومة السنوسية للاحتلال الفرنسي في تشاد من الناحية السياسية والفكرية.⁽⁵⁰⁾ وعادت الحركة السنوسية داخل الأراضي الليبية لتنظم قواتها لمقاومة الغزو الإيطالي وقد يكون السبب هو انتقالها إلى ليبيا لمواجهة الاستعمار الإيطالي الذي دخلها في أكتوبر 1911، وفقدتها لكل قادتها أثناء نضالها في تشاد وهم: (السيد البراني، والمقدم أبو عقيلة، والمقدم عبد الله التوير، والمقدم صالح أبو كريمي، والوكيل محمد أريده) وبالتالي كافة مراكزها التجارية والدينية على أثر هزيمتها في عام 1913.

كانت مقاومة السنوسيين في تشاد للاحتلال الفرنسي تقوم على مبدأ محاربة الاستعمار في (ديار الإسلام) وليست قائمة على أساس انتماء وطني لتشاد، بدليل أنهم قد عادوا إلى ليبيا بعد خروج الأتراك منها عام 1912. وبعد هزيمتهم في (عين جلكه) عام 1913، وبدأوا يحاربون الاستعمار الإيطالي والانجليزي حتى تمكنوا من تحريرها عام 1951.⁽⁵¹⁾ وتجدر الإشارة إلى أن الشعب التشادي لم يتأثر بالسنوسية باعتبارها دعوة دينية أو حركة إصلاحية. فقد استقر السنوسيون منذ وصولهم في إقليم (بوركو - انيدي - تبستي) وكانم. وكانت قبائل (التوبو) أكثر القبائل التشادية احتكاكا بهم في السلم والحرب، إلا أن النزعة الدينية في هذه القبائل كانت ضعيفة للغاية، فعلى الرغم من اعتناقها المبكر والصادق للإسلام لم تجد التوجيه الصحيح من السنوسيين لتطبيقه في حياتها الاجتماعية.⁽⁵²⁾ وقد يرجع ذلك لعدة عوامل نذكر منها، أن السنوسيين وجدوا أنفسهم منذ السنوات الأولى لوجودهم في شمال تشاد في صراع مع الاستعمار الفرنسي الذي قضى على سيطرة رايح في جنوب وغرب بحيرة تشاد، وأخذ يتغلغل في البلاد، لذلك كان اهتمامهم بالمقاومة أكثر من اهتمامهم بالدعوة والإصلاح الديني، وكما أن السنوسيين اعتبروا أنفسهم على الرغم من قلة عددهم وانتشار الأمية في أوساطهم كأفراد من الطبقة الأولى - وهذا كان له أكبر الأثر في ابتعاد المواطنين عن الاحتكاك بهم والاعتقاد بأفكارهم يضاف إلى ذلك أن السنوسيين الذين فضلوا الإقامة في تشاد حال الاحتلال الفرنسي دون أن يمارسوا أي نشاط سوى التجارة.⁽⁵³⁾ ويتضح مما سبق مدى استئصال الشعب التشادي في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وأن الفرقة والتشتت قد أثرت كثيرا في سير العمليات وضعف المقاومة وفشلها. حتى تمكن الفرنسيون من ضرب كل جبهة على حدة. ثم بسطوا نفوذهم على البلاد.⁽⁵⁴⁾

الخاتمة::

النتائج:

من أهم النتائج هذه الدراسة:

1. عبرت الممالك الإسلامية خلال مقاومتها للاحتلال الفرنسي عن شجاعتها وصمودها بالرغم من قلة أفراد جيشها وعتادها.

2. تضامن الأهالي مع سلاطينهم لمواجهة الاحتلال دفاعاً عن قضية واحدة تخصهم جميعاً وهي الدفاع عن الأرض والدين والهوية.
3. فرض المستعمر الفرنسي سيطرته على الممالك الإسلامية وجرّد الملوك من صلاحياتهم واخضاع الممالك تحت إدارته العسكرية وتعيين عملاء لقيادة هذه الممالك بحيث يحققون أهداف المستعمر.
4. محاربة الاستعمار للثقافة الإسلامية ومحاولة طمس الهوية الإسلامية وفرض لغة المستعمر الفرنسي.
5. إخضاع البلاد إلى إدارة فرنسية وتقسيمها إلى ولايات يحكمها حكام فرنسيون يتلقون أوامره من فرنسا.
6. إغلاق دور التعليم الإسلامي وتعطيل التدريس بها.
7. قتل الأهالي وإحراق بعض المدن في موسورو بمحاظنة كانم بأسباب رفض الأهالي السياسة التعسفية الاستعمارية الفرنسية.

توصيات:

ومن أهم توصيات الدراسة

1. على الدولة أن تهتم بمزيد من الأبحاث ذات الصلة بالمقاومات الوطنية وبجميع الوثائق التاريخية المتعلقة بهذا المجال.
2. على الدولة الإكثار من مراكز البحث العلمي، وتزويد المراكز الموجودة بما تحتاجه من متطلبات العمل البحثي، والاهتمام بالإنتاج الفكري.
3. على الباحثين الاهتمام بالبحث العلمي في الموروث الوطني، لأن تشاد في حاجة لأقلامهم المخلصة.
4. ضرورة إعادة كتابة التاريخ التشادي لإظهار المقاومة الشعبية وضرورة التعريف بأبطال المقاومة بكتابة سيرهم.
5. إجراء مقابلات شخصية مع الأشخاص المرجعيين والمحاربين القدماء أو الذين عاصروا الأحداث لكشف بعض الحقائق التاريخية للمقاومة الوطنية.
6. الاهتمام بطباعة ونشر المخطوطات التي تناولت قضايا مقاومة الممالك الإسلامية للاستعمار في الدول الأفريقية.
7. إنشاء مؤتمرات دورية تخص قضايا المقاومة لإبراز حقائق المقاومة في الدول الإفريقية والاهتمام بما يصدر من مطبوعات حول هذا الشأن.

الهوامش:

- (1) إبراهيم، عبد الله عبد الرازق: الإسلام وتحديات الاستعمار الأوربي في أفريقيا، مرجع سابق، ص:200
- (2) الماحي، أ.د. عبد الرحمن عمر، تشاد من الاحتلال حتى الاستقلال (1960-1984م)، مرجع سابق، ص: 136
- (3) الماحي، أ.د. عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، مرجع سبق ذكره، ص:209
- (4) الماحي، أ.د. عبد الرحمن عمر، تشاد من الاحتلال حتى الاستقلال (1960-1984م)، نفس المرجع، ص: 140
- (5) الحنديري، سعيد عبد الرحمن احمد، تطور الحياة السياسية في تشاد من الاستعمار حتى نهاية حكم قئلباي، مرجع سابق، ص:49
- (6) الماحي، أ.د. عبد الرحمن عمر، الدعوة الإسلامية في أفريقيا الواقع والمستقبل، مرجع سبق ذكره، ص:210
- (7) سعد الدين الزير، مرجع سابق ، ص:88
- (8) علم الدين محمد مقدم: الحياة السياسية في أفريقيا الاستوائية الفرنسية (1873 _ 1960م)، رسالة دكتوراه السلك الثالث (الماجستير)، جامعة الملك فيصل بانجمينا تشاد، العام الجامعي 2006/ 2007م، غير منشور، ص:188
- (9) علم الدين محمد مقدم ، مرجع ذكر سابق ، ص 189
- (10) شعبان، ماهر: مرجع سابق ص: 272
- (11) حلولو الطيب إدريس مرجع سابق، ص 29
- (12) شعبان ماهر، مرجع سابق، ص: 273
- (13) شعبان ماهر: مرجع سابق، ص: 273
- (14) Doudtoun Mahamed Adam L'islam Au Tchad. Ed, Paris.1983. P: 179
- (15) Doudtoun Mahamed Op. Cit. P: 179
- (16) Doudtoun Mahamed Adam L'islam Au Tchad. Op : Cit. P: 181
- (17) إسماعيل، حلمي محروس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الأفريقية، ج1/2004م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر، ص: 290
- (18) شعبان، ماهر: ، مرجع سابق ص: 276
- (19) شعبان، ماهر: مرجع سابق، ص: 278
- (20) إسماعيل، حلمي محروس، مرجع سابق، ص: 292
- (21) إسماعيل، حلمي محروس ، مرجع سابق، ص: 293
- (22) عبد الرحمن عمر الماحي ، مرجع سابق ، ص143

(23) إسماعيل، مرجع سابق، ص: 294

(24) إسماعيل، مرجع سابق، ص: 295

(25) Pierre Hugot: op.cit. pp. 4748-

* - القدح: عملية تجرى على العينين بالحديد المحمي، حيث يفقد الإنسان نظره دون أن تفقع عيناه، وتعرف هذه العملية عادة بين ملوك وأمراء مملكة وداي وذلك لإبعاد المنافسين من النشاط السياسي.

(26) H. Deschamps: op.cit. p.74

* - جرمه عثمان: مستشار السلطان، ومسئول عن الأمن في المملكة

(27) D'Escayrac de Lauteure: op.cit.pp. 87-90

* - اقترح العلماء على رأسهم عبد الحق على السلطان دود مرة، أن يجري مفاوضات ويعقد معاهدات مع الفرنسيين لتفادي إراقة الدماء ولكنه لم يأخذ برأيهم. وقرر المقاومة والدفاع عن بلاده. انظر الماحي، ص220

Pierre Hugot: op.cit. p. 48 (28)

(29) عبد الرحمن عمر الماحي . من الاستعمار حتي الاستغلال ، مرجع سابق ، ص 222.

(30) Pierre Hugot:op.cit. pp. 49-50

(31) Pierre Hugot:op.cit. p-50

(32) P.O. Lapie: Mes Tournées au Tchad.pp.108-109 Et P.Hugot : op . cit. p.51

(33) عبد الرحمن عمر الماحي ، مرجع سابق ، ص222

* يعتقد الكثيرون أن محمد السنوسي بن أبي بكر حاكم (داركوتي) هو محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي. ولكن الحقيقة غير ذلك، فهو حفيد العجوز كبرو بن عمر الذي كان أول فاتح لدار رونقا ودار كوتي. في ظل مملكة وادي. وقد عينه رابع مكان جده في عام 1890. وأمره بعدم دفع أية ضريبة لملك وادي. ولكن بعد مقتل رابع أخذ يتعامل مع السلطان دود مرة حتى قتل في فبراير 1911.انظر الماحي

(34) عبد الملك عودة ، ، ص163

(35) عبد الملك عودة ، مرجع سابق ، ص 164

(36) P.O. Lapie: op. cit. pp. 112-117.

(37) زاهر رياض : مرجع سابق ، ص 260 وما بعدها.

(38) Pierre Hugot: op.cit. pp. 40-41

(39) H. Carbou : op. cit. pp. 90-97

(40) P. Hugot: op . cit. pp. 4142-

* - كانت أول علاقة بين السنوسيين ومملكة وداي قد بدأت في عهد السلطان علي ابن محمد شريف الذي حكم في الفترة من 1857 إلى 1874. وذلك بعد أن انتقل السنوسي الكبير (1787-1859) من البيضاء إلى الجغبوب 1856.

(41) H. Carbou : op. cit. pp. 90-97

(42) Pierre Hugot: op.cit. p:81.

(43) Pierre Hugot: op.cit. p: 40

(44) سعد الدين الزبير ، مرجع سابق ، ص 120

(45) Paul Bory: op.cit. p.42

(46) زاهر رياض، مرجع سابق، ص121

(47) P. Hugot. Op. cit. pp. 4346-.

(48) شعبان ماهر، مرجع سابق، ص233

(49) P. Hugot. Op. cit. pp. 4546-

*- توفي السيد محمد المهدي بن السيد محمد بن علي السنوسي في نوفمبر 1902 في بلدة (غورو) تاركا أبنا صغيرا لا يزيد عمره عن الثالثة عشرة سنة. هو السيد محمد إدريس. ولذا تركت الزعامة السنوسية في يد أخيه السيد أحمد الشريف.

(50) عبد الرحمن عمر الماحي، مرجع سابق، ص222

(51) شوقي الجمل: ص 376.

(52) زاهر رياض، مرجع سابق، 210

(53) C. Chapelle : op . cit. pp. 19-21 et,24-25

(54) C. Chapelle : op . cit. pp. 19-21 et,26

المصادر والمراجع:

القران الكريم والسنة المطهرة

اولا: الكتب:

- (1) إجلال محمود رأفت، تشاد دراسة تحليلية لجذور وطبيعة الحرب، مركز الدراسات الافريقية والأسويية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1982م.
- (2) إسماعيل، حلمي محروس: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الأفريقية، ج1/2004م، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية - مصر 2004م
- (3) سعيد عبد الرحمن أحمد الحنديري تطور الحياة السياسية في تشاد منذ الاحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم قبلباي (-1900 1975م)، الطبعة الأولى مركز جهاد اللبين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات التاريخية، 1998م.
- (4) عبد الرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقية الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية الساحة الجامعية، الجزائر قسطنطين، 1997م.
- (5) عبد الرحمن عمر الماحي، تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال (-1894 1960م) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.
- (6) عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المسلمون والغزو الأوربي لأفريقيا، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت. صدرت سلسلة 1989م.
- (7) عبد الملك عودة، السياسة والحكم في افريقيا، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1969م.
- (8) ماهر شعبان، دراسات وبحوث في التاريخ الأفريقي الحديث والمعاصر، دار المعارف الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية - جمهورية مصر العربية.

الرسائل الجامعية:

- (1) آدم عبد الرحمن الطاهر، المقاومة الوطنية ضد الغزو الفرنسي في تشاد (1894 - 1918)، ماجستير جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، الخرطوم 2010م
- (2) الطيب إدريس حلولو، المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد (1894-1920م) ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الملك فيصل -أنجمينا- تشاد 2002م،
- (3) علم الدين محمد مقدم: الحياة السياسية في أفريقيا الاستوائية الفرنسية (1873 _ 1960م)، رسالة دكتوراه السلك الثالث (الماجستير)، جامعة الملك فيصل بأنجمينا تشاد، اغير منشور لعام الجامعي 2006 / 2007م،

المراجع الاجنبية:

- 971 :P .3891.siraP ,dE .dahcT uA malsi'L madA demahaM muotduoD
- 5391. etaN ,dE ,dahcT el toguH erreiP
- 15.p .tic . po : toguH.P tE 901-801.pp.dahcT ua seenruoT seM :eipaL .O.P

مكتبات منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية في العصر الحديث (1395 - 1436 هـ / 1975 - 2015 م) (دراسة تحليلية)

قسم التاريخ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. فاطمة عبد الله صالح الغامدي

المستخلص :

المكتبات من أبرز روافد العلم والمعرفة في أي مكان وأي زمان، ولذا نجدها ظهرت منذ القدم ولم يكن لظهورها شروط معينة أو بوتقة خاصة فقد كان الإنسان منذ القدم يهتم بجمع النقوش والآثار ثم المخطوطات التي امتلأت منها المكتبات الخاصة فيما بعد عندما ظهر محبي العلم ورواده وأخذوا يرتادون البلاد ويجوبونها شرقاً وغرباً لجمع المآثر العلمية بأنواعها واختلافها فظهرت المكتبات الخاصة والتي حفظت بها هذه الموروثات العلمية التي انارت للعالم الطريق. وفي منطقة الباحة ظهرت مجموعة كبيرة من المكتبات الخاصة منذ القرن الحادي عشر الهجري عندما برزت الرحلات العلمية لأبناء غامد وزهران في كثير من البلدان داخل الجزيرة العربية وخارجها وصلت بهم إلى اليمن ومصر والحبشة واستنبول وغيرها والتي مكنتهم من تعلم العلوم بأنواعها وجمع المخطوطات والمؤلفات العلمية وحين عادوا للمنطقة كونوا مكتباتهم الخاصة التي زخرت بمئات الفنون والمعارف، ومع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ظهرت في المنطقة المكتبات العامة وغيرها من أنواع المكتبات. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المكتبات وأنواعها في منطقة الباحة وإيضاح أهمية كل مكتبة ودورها في ما تمتلكه من مادة علمية ضخمة في شتى المجالات. تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها مخصصة للإبراز دور المكتبات في منطقة الباحة وأنواعها وما تقتنيه، وما يجب أن تكون عليه لتكون محل جذب للباحثين وطلاب العلم، تكمن أهميتها في ما توصلت إليه من نتائج أوضحت الوضع الغير مرضي لزوار تلك المكتبات وإفتقارها إلى المزيد من التقنيات الحديثة والمطوره ، لفت الأنظار إلى أهمية وقيمة المكتبات كافة والخاصة خاصة لما تمتلكه من كم هائل من التراث العلمي الغير مفصح عنه بشكل كبير، إعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال حصر المكتبات والوقوف على أبرز نقاط الضعف والقوة بها وما تحتاج إليه .

الكلمات المفتاحية : الباحة ، العصر الحديث ، المكتبات ، المملكة العربية السعودية.

Libraries of Al-Baha region in the Kingdom of Saudi Arabia in the modern era

(1395- 1436 AH / 1975- 2015 AD)

(Analytical study)

Fatima Abdullah Saleh Alghamdi

Abstract:

Libraries are one of the most prominent tributaries of science and knowledge anywhere and anytime, and therefore we find them appeared since ancient times and did not have certain conditions or a special crucible has been human since ancient times interested in collecting inscriptions and antiquities and then manuscripts that filled them private libraries later when science lovers and pioneers appeared and took frequented the country and roamed east and west to collect scientific exploits of all kinds and differences, so private libraries appeared, which saved these scientific legacies that illuminated the world the way. In the Baha region, a large group of private libraries appeared since the eleventh century AH, when the scientific trips of the sons of Ghamed and Zahran emerged in many countries inside and outside the Arabian Peninsula, and reached them to Yemen, Egypt, Abyssinia, Istanbul and others, which enabled them to learn science of all kinds and collect manuscripts and scientific literature, and when they returned to the region, they formed their own libraries, which abounded with hundreds of arts and knowledge. At the beginning of the fifteenth century AH, public libraries and other types of libraries appeared in the region. This study aims to shed light on libraries and their types in the Al-Baha region and clarify the importance of each library and its role in its huge scientific material in various fields. The importance of this study lies in the fact that it is dedicated to highlighting the role of libraries in the Al-Baha region, their types and what they acquire, and what they should be to be attractive to researchers and students of science. Its importance lies in its findings that illustrated the unsatisfactory situation of visitors to these libraries and their lack of more modern and developed

technologies. Pointing to the importance and value of all libraries and private libraries, especially because of their huge amount of scientific heritage that is not widely disclosed. The study relied on the descriptive analytical approach by identifying libraries and identifying the most prominent weaknesses and strengths and what they need.

Keywords : Al Baha ,Modern era ,Libraries ,Saudi Arabia

المقدمة :

تُعَدُّ المكتبات مصدراً مهماً من مصادر تشكيل ثقافة المجتمع حيث تلعب المكتبات دور في حفظ الإرث الثقافي الخاص بكل مجتمع، فالإرث الثقافي يشكل عنصراً أساسياً من عناصر الثقافة التي لا تقوم إلا بها، والتي تسعى المكتبات لحفظها واختزنها عبر العصور، لذا فإنَّ حصر دور المكتبة في توفير موارد المعارف والعلوم للباحثين عنها يُعَدُّ حصراً لها في مفهوم ضيق عن دورها، فضلاً عما تقدّمه أيضاً للأفراد من فرص للتواصل وتعلم مهارات اكتساب المعرفة، وتحديد الفرضيات، وبحثٍ عن الحقائق، وتبادل لوجهات النظر، فالمكتبة تتيح للفرد فرصة للتعليم الذاتي الذي يخلق منه فرداً مبدعاً ومطلعاً على قضايا مجتمعه ومحيطه، وهو الأمر الذي ينتج عنه ثقافة راقية وخاصة تميّز كل مجتمع عن المجتمعات الأخرى. وبالعودة إلى الوراء قليلاً نجد المنطقة غنية جداً بكنوزها العلمية التي لا حصر لها، و يوجد لدينا بالمنطقة مجموعة كبيرة من المخطوطات التي تتجاوز الالف عنوان لكتب سواء مجلدات كبيرة او عناوين صغيرة منها ما وجد في مكتبة الشيخ صالح بن خضران الحر في حيث وجد بها فهرست لأحد اجداده المتقدمين ذكر فيه 109 عنوان هذه فقط بمكتبة الحر في منها مجلدات ومنها كتب صغيرة هذا ما وجد بمكتبة واحده، وحتوت مكتبة المنصوري خمسين مجلد مخطوط ومكتبة القاضي ساعد بالباحة ومكتبة الشيخ سعيد شنتج بني كبير وان كان من المتأخرين ومكتبة ال حجر ومكتبة ال زغدين ، ويشير الشيخ خالد عمر الفقيه انه صور من هذه المكتبة اكثر من 10 الاف صورة من المخطوطات ، ولا يوجد بها كتب مطبوعة او غيره ، فمنطقة الباحة مليئة بالتراث العلمي لكنها تحتاج إلى تفرغ تام واستهداف الأسر العلمية لإخراجها إلى النور للاستفادة منها⁽¹⁾.

فمكتبات الباحة الخاصة مليئة بالمخطوطات العلمية والفوائد القيمة والمنطقة مليئة بموروثها العلمي ومنها مخطوطات تحوي تاريخ المنطقة في فترات سابقة كتاريخ المنصوري وغيره، وقد كانت البيوت العلمية تتداول الكتب وتهدي بعضها ومنها ما يؤخذ عايره او إعارة و بعضهم يشتري الكتب بقيمة ماليه عاليه جداً قد تملكه ارضاً ويدل ذلك على قيمة واهمية العلم وتملك الكتب حينها، ويذكر في ذلك أن أحد الفقهاء اسمه حسن الصنعاني ورث بيتاً وكتباً وبقي عنده ولد واخته وعمته اعطى البيت لعمته واخته وورث الابن عبد العزيز الكتب هو وترك البيت كاملاً لأخته وعمته هذا دليل على معرفتهم بقيمة العلم منذ زمن بعيد وذلك عام (1234-12/129-10-1819م). ويوجد بالمنطقة قاموس تركي عربي مكون من 9 أبواب مجلد

كامل وهذا وصل للمنطقة عندما كانت الحكومة العثمانية تتواصل مع قضاة المنطقة في إسطنبول وغيرها ويحتاجون الى القاموس للترجمة ويوجد القاموس في مكتبة القحطاني في حفه وكان جدهم أحد قضاة المنطقة وكان له اهتمام كبير بالكتب وخطه من أجمل الخطوط حيث كان ناسخاً للكتب وكان ينسخ للشيخ محمد بن عبد الله المنصوري حيث نسخ منظومة من 12 ألف بيت بيده وهذه نسخه فريدة تمتلكها إحدى المكتبات الخاصة بالمنطقة⁽²⁾. ومما تجدر الإشارة اليه أن العلماء في بلاد غامد وزهران أخذوا يحرصون على اقتناء الكتب الأمر الذي شجعهم على انشاء مكتبات خاصة بهم، وقد ساعدهم على انشاء هذه المكتبات رحلاتهم في طلب العلم وخاصة إلى اليمن واستطاعوا اقتناء العديد من أنفس الكتب ونوادير المخطوطات. ومنطقة الباحة وغيرها من مناطق المملكة تتمتع بعدد من المكتبات الخاصة والعامة وكذلك المكتبات المؤسسية، وفيما يلي سنذكر عدداً من تلك المكتبات لكل نوع:

أولاً: المكتبات الخاصة:

وهي المكتبات التي نشأت اول امرها في بيوت طلاب العلم وخاصته وبيوت الأسر العلمية بالمنطقة، وقد أدت المكتبات الخاصة دوراً كبيراً في التمهيد لنشأة الحركة الفكرية والثقافية بالمنطقة فيما بعد وذلك يعود لتأخر ظهور المكتبات العامة، وقد امتلك اغلب طلاب العلم في المنطقة وخاصة ممن ارتحل في البلدان ودرس في الحلقات والكتاتيب مكتبة خاصة كانت مصدراً من مصادر ثقافة العامة وكذلك مرجعاً للتدريس حينها والإفتاء والقضاء، وكانت مصادر تلك المكتبات إما بما اخذه الطلاب من البلدان التي زاروها مكة واليمن وغيرها نسخاً أو شراءً ومن الأمثلة على ذلك مكتبة الشيخ راشد بن جمعان ال رقوش وهي مكتبة كبيرة وعامرة بالكتب والمخطوطات التي جمعها في اسفاره⁽³⁾، إلى جانب ما كان يرثه طلاب العلم من ابائهم من مؤلفات علميه اثرت مكتباتهم الخاصة وما كان يؤلفه أصحاب هذه المكتبات من مؤلفات علمية كثيرة، وحين نقف على عدد تلك المكتبات نجد انه من الصعوبة بمكان حصرها أو تقدير اعدادها فالمكتبات الخاصة كانت كثيرة ومنتشرة في المنطقة من قبل فترة العهد السعودي وبعده ولعل وابرزها ما يلي :

1 - مكتبة الشيخ المنصوري:

أسسها الشيخ محمد بن عبد الله المنصوري⁽⁴⁾ بقرية المصنعة بمنطقة بلجرشي ومكتبته أكبر مكتبة للمخطوطات بالمنطقة الجنوبية يوجد بها اكثر من خمسين مجلد مخطوط بالشراء وما كتب بإيديهم وما تدارسوه وما وهب لهم، ويوجد بمكتبة المنصوري نسخه من صحيح البخاري مخطوطة يعود تاريخ نسخها لعام السبب (8-749 هـ - 8-11348 م) وصلت لمكتبة المنصوري بالشراء، ويوجد من ضمن النفاثس بمكتبة المنصوري ايضاً مصحف مكتوب بروايتين رواية قالون ورواية حفص وهو مخطوط سنة 272 هـ تقريباً وهذا دليل على الاهتمام بالعلم وبالنسخ التي يتم اقتنائها والمحبة للعلم يبذل الغالي والنفيس لتحصيلها⁽⁵⁾. وتحتوي إلى جانب الخمسين مخطوطاً عدداً غير يسير من كتب التراث المطبوعة⁽⁶⁾.

2 - مكتبة آل رقوش (1296-1361هـ/1879-1942م):

سبقت الإشارة عند الحديث عن الأسر العلمية والكتاتيب عن اهتمام عائلة آل رفوش وعلى رأسهم الشيخ راشد جمعان آل رفوش بالعلم والعلماء وذلك بمنزله ببني سار، فقد كان الشيخ رحمه الله مكثراً في السفر والترحال لطلب العلم وفي أثناء سفره يحرص شديد الحرص على اقتناء أمهات الكتب ونوادير المخطوطات حتى استطاع إنشاء مكتبة كبيرة ضمت العديد من الكتب المهمة في تعليم الناشئة⁽⁷⁾.

3 - مكتبة عوضه بن صالح الحمراني (1318هـ/1998م)⁽⁸⁾ :

استطاع الشيخ عوضه أن يكون مكتبة كبيرة وضخمة في داره تزخر بشتى أنواع الفنون والعلوم ولم يترك لسائلاً مجالاً حتى ترد إليه اجابته الشافية الكافية الواضحة.

1. مكتبة عبد الله الزهراني⁽⁹⁾:

2. أنشئت في قرية القوارير بزهران وانشائها من أشهر أعمال الشيخ وقد عمرت بالكتب القديمة وتم اهداءها فيمات بعد للملك عبد الله بن عبد العزيز رحمه الله عندما كان أميراً.

وكان من أشهر المكتبات أيضاً مجموعة كبيرة ورد ذكرها بين سير وتراجم طلاب العلم في منطقة غامد وزهران في كتاب غامد وزهران للمؤرخ السلوك وكذلك المؤرخ الحسيل في كتابة أيضاً غامد وزهران وغيرها من المؤلفات العلمية التي لا يتسع المقام لذكرها جميعاً وكان من تلك المكتبات الخاصة التي وردت الإشارة إليها⁽¹⁰⁾:

— مكتبة الفقيه ساعد الغامدي (5821-5731هـ/8681-6591م) بقرية الزرقاء.

— مكتبة الفقيه علي بن بخت بن مساعد البركي وعرفت بمكتبة البركة بالجوشي.

— مكتبة أحمد الزهراني بقرية الموصى وهي مكتبة ثرية وغنية بمقتنياتها.

— مكتبة زهرة بنت سعيد بن عبد الرحمن الفارسي الأعمى والتي سبقت الإشارة إليها عند الحديث عن الأسر العلمية حيث ورثت هذه المكتبة عن والدها.

كذلك من المكتبات الخاصة والمشهورة⁽¹¹⁾:

— مكتبة الفقهاء في بلجوشي بغامد.

— ومكتبة آل عبد الرحمن الفقيه في قرية دار الرمادة بغامد.

— ومكتبة أحمد بن خضران الزهراني في قرية القرن بزهران.

— ومن المكتبات مكتبة آل قرهم بجافان بزهران .

— ومكتبة القحطاني في بلدة خفة بغامد.

ثانياً: المكتبات العامة⁽¹²⁾:

لم تنشأ أول مكتبة عامة في منطقة الباحة إلا في نهاية القرن الرابع عشر الهجري وذلك عام (1395 هـ / 1975 م)، وذلك في مدينة الباحة حيث تأخر ظهور المكتبات العامة في المنطقة قليلاً ثم تلا ذلك إنشاء عدد من المكتبات في أمكنة متفرقة من المنطقة. وكان أهم هذه المكتبات:

1. مكتبة الباحة العامة:

أنشئت هذه المكتبة في مدينة الباحة عام (1395 هـ / 1975 م)، في مبنى مشترك مع الوحدة الصحية، وكانت تشرف عليها الإدارة العامة للتعليم بمنطقة الباحة ممثلة في إدارة الثقافة والمكتبات إلى أن ضمت مؤخراً إلى وزارة الثقافة والإعلام، وقد مرت هذه المكتبة بمراحل تطويرية متعددة، كان أهمها استقرارها في مبنى مستقل يساعدها على القيام بوظيفتها التعليمية والثقافية لأبناء المنطقة وبناتها، وتضم المكتبة مجموعه من الأقسام هي:

- قسم الشؤون الإدارية للمكتبة.
- قسم الدوريات والصحف والمجلات.
- قاعة المصادر والمراجع، مكتبة الطفل وتشتمل على أجهزة حاسوبية وكتب وأجهزة عرض تناسب أعمار الأطفال.
- قاعة المطالعة الرئيسة، وتحتوي على ما يقرب من 61,000 عنوان في جميع التخصصات والحقول المعرفية وفيها خلوات دراسية.
- المكتبة الإلكترونية (السمع - بصرية) وهي مزودة بأجهزة عرض وأثاث مناسب، وتقام فيها اللقاءات العلمية والندوات.
- قاعة الإجراءات الفنية، وفيها يجري تصنيف الكتب وإعدادها للرفوف. ه قاعة الأنشطة الثقافية والإعلامية، وترعى هذه القاعة الأنشطة الثقافية للمكتبة الموجهة لأبناء المنطقة بشكل عام، وتشرف على المسابقات الثقافية وكذلك على إقامة جائزة سنوية لأفضل مكتبة خاصة في المنطقة، وتنظم الزيارات الخاصة للوفود الطلابية التي تقد إليها من مدارس مختلفة في المنطقة.
- قاعة الكتب المحدودة الاطلاع. ويستفيد من هذه المكتبة عدد من شرائح المجتمع مثل الطلاب والطالبات في جميع المراحل التعليمية وبخاصة المرحلة الجامعية، كما يستفيد منها المثقفون والأكاديميون وغيرهم. وتصدر المكتبة بطاقات إعارية تجدد سنوياً، ويمكن القارئ من الاستفادة من الكتب باستعارتها وفق شروط محددة ولفترة محددة أيضاً. وتعمل هذه المكتبة مثل بقية المكتبات العامة في منطقة الباحة على فترتين: صباحية من الساعة السابعة والنصف إلى الساعة الثانية، ومسائية من الساعة الرابعة عصرًا حتى الساعة التاسعة ليلاً.

2 - المكتبة العامة بالمخوة⁽¹³⁾:

أنشئت هذه المكتبة عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) في مدينة المخوة لتقوم بوظيفتها التعليمية والثقافية هناك، وكانت في البداية ملحقة بمتوسطة الإمام محمد بن سعود بالمخوة ثم انتقلت إلى مبنى مستقل في (5-1-1421 هـ / 10-4-2000 م) وتحتوي هذه المكتبة على ما يقرب من ١٢٠٠٠ وعاء معرفي في حقول علمية متنوعة، وعلى مكتبة سمعية، وقسم خاص بالدوريات والصحف والمجلات، وقسم خاص بالمراجع والمصادر، وتقدم المكتبة خدمة الإنترنت لروادها من شرائح المجتمع المتعددة.

3 . المكتبة العامة بلجرشي⁽¹⁴⁾؛

أنشئت هذه المكتبة في مدينة بلجرشي عام (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)، في مبنى تابع لمتوسطة حطين، وذلك لخدمة أفراد جميع المجتمع، وكانت تابعة مثل بقية المكتبات العامة لإدارة التعليم بالباحة ثم ألحقت مؤخراً بوزارة الثقافة والإعلام. وتحتوي هذه المكتبة على أكثر من 3700 وعاء علمي في تخصصات مختلفة، وقسم للمواد السمعية والبصرية وتزداد محتوياتها مع مرور الوقت، كما تحتوي على قسم للدوريات والصحف والمجلات، وقسم خاص بالأطفال وعلى وتشارك المكتبة في أنشطة متنوعة في المنطقة كمشاركتها في مشروع القراءة للجميع لعام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

4 . مكتبة قلوة⁽¹⁵⁾؛

أنشئت في قلوة مكتبة عامة عام (1422هـ/٢٠٠١ م)⁽¹⁶⁾، في مبنى مدرسة الملك عبد العزيز المتوسطة لتلبية احتياجات أبناء محافظة قلوة التعليمية والتربوية والثقافية. وتضم الأقسام الآتية: (قاعة الكتب، ومكتبة الطفل، وقسم الدوريات، وأرشيف الصحف، والحاسب الآلي، والفيديو). ويمكن لرواد المكتبة الاطلاع على أقسام المكتبة ومحتوياتها حيث تتبع المكتبة نظام الأرفف المفتوحة، ما يمكن الرواد من قراءة الصحف اليومية والمجلات العامة والعلمية واستعراض أرفف الكتب. وتقوم المكتبة بإرشاد الرواد إلى كيفية الاستفادة منها ومن فهارسها وتيسير اطلاع الباحثين على ما يتوافر في المكتبة من كتب ومخطوطات. كما توفر المكتبة خدمة التصوير لروادها، وتتعاون مع بعض المؤسسات مثل: (السجون والمستشفيات) وذلك بإعارتها بعض الكتب على فترات منتظمة ولمدة محدودة. كما تقدم المكتبة - خدمة إعلامية وثقافية تتمثل في تنفيذ أوجه النشاط الثقافي والإعلامي وتوفير خدمة الإنترنت، وتقوم كذلك بالتنسيق مع مدارس المحافظة لعمل جدول ينظم زيارات الطلاب في الفترة الصباحية.

ثالثاً- المكتبات الأكاديمية والمؤسسية⁽¹⁷⁾؛

ويقصد بها المكتبات الخاصة بخدمة المؤسسة الأكاديمية أو التعليمية أو الثقافية التي أنشئت من أجلها، دون أن تكون خدمتها مقصورة على هذه المؤسسات وحدها. فهذه المكتبات تقوم في كثير من الأحيان بأداء الوظيفة التي تؤديها المكتبات العامة، فهي متاحة للرواد كافة من أبناء المنطقة. وأهم ما يميز هذا النوع من المكتبات أن محتوياتها تكون مركزة في الحقول العلمية والثقافية والفنية التي تهتم بها كل مؤسسة ترعاها دون أن تكون مقتصرة عليها بطبيعة الحال. وعلى الرغم من أن كثيراً من المدارس والمعاهد والكليات والجوامع والهيئات الدينية والمؤسسات والمصالح الحكومية تمتلك مكتبات من نوع ما، إلا أنها محدودة في حجمها ومحتوياتها وفي خدماتها، لذلك سنقتصر هنا على التعريف بأهم هذه المكتبات:

1. مكتبة المعهد العلمي؛

يملك المعهد العلمي بالباحة مكتبة عامرة بأمات الكتب والمراجع التي يجد فيها الباحث بغيته، وقد وجدت هذه المكتبة منذ م، 6741 مجلداً شاملاً تأسس المعهد في عام (1386 هـ / 1966م) وبلغ عدد الكتب بها عام (1409 هـ / 1989 م) ٥٢١٧ كتاباً وعدد المجلدات ما يزيد على

جميع المعارف في الفروع الآتية: القرآن الكريم والحديث، والفقه، والسيرة وعلومها، ودائرة المعارف، والموسوعات، وكتب التراجم، والعلوم العربية والأدبية، والعلوم الاجتماعية، والعلوم البحتة، والثقافة الإسلامية. وتشترك المكتبة في الصحف والمجلات الدورية لتوفيرها لطلاب المعهد، وبها سجل للإعارة يدون فيه اسم المستفيد والبيانات الخاصة بالكتاب وسجل آخر للزيارات اليومية لرواد المكتبة، وتجري الإعارة فيها وفق نظام محدد. وللمكتبة أمين متفرغ للقيام بإجراءات التصنيف والإعارة وغيرها.

2 - مكتبة نادي السراة:

يملك نادي السراة مكتبة قيمة أنشئت بعيد إنشاء النادي عام (1396 هـ / 1976 م) وتحتوي هذه المكتبة على عدد من المجلدات وأمات الكتب في مختلف جوانب المعرفة. وقد صدر عنها نشرة عامة عن أهمية المكتبة، كما تخدم هذه المكتبة قطاعاً عريضاً من الشباب وبخاصة طلاب المدارس والكلية، وقد أصبحت في عام (1417 هـ / 1991 م) مركزاً ثقافياً يرتاده طلاب العلم والمعرفة، كما أنها تقدم العون والمشورة للباحثين من طلاب الكلية بالباحة، ويتم تزويدها بالكتب والمراجع المتنوعة باستمرار وذلك لخدمة روادها.

3 - مكتبة نادي العميد:

يتوافر في نادي العميد (زهران سابقاً) أنشئ عام الذي (1400 هـ / 1980 م)، مكتبة قيمة تحتوي على عدد من الكتب في مجالات مختلفة، ويعمل القائمون على النادي على جعلها مكتبة مركزية بعد تطويرها.

4 . مكتبة نادي الحجاز:

يوجد في نادي الحجاز (غامد سابقاً) الذي أنشئ عام (1400 هـ / 1980 م) مكتبة مزودة بعدد من المجلدات والكتب والمراجع للاستعانة والاطلاع، ويقوم النادي بتزويدها بالكثير من المراجع في كل عام. كما يولي النادي هذه المكتبة اهتماماً بالغاً فيسعى إلى توسعتها وتزويدها بكل جديد ومفيد، الأعضاء على استثمار أوقات وتشجيع فراغهم في الاطلاع والبحث في أمهات الكتب.

5 . مكتبة كلية المعلمين:

أنشئت هذه المكتبة بعيد إنشاء الكلية عام (1409 هـ / 1989 م) لخدمة العملية التعليمية، والبحث العلمي وخدمة المجتمع، ويشرف عليها وكيل الكلية للشؤون الأكاديمية، وتحتوي المكتبة على ما يقرب من 10,000 كتاب في فروع المعرفة المختلفة، و104 دوريات لخدمة منسوبي الكلية من أساتذة وطلاب وإداريين، إضافة إلى الباحثين والمهتمين بأمور العلم والثقافة من خارج الكلية. وتضم المكتبة كذلك إصدارات أساتذة الكلية، وإصدارات بعض أدباء المنطقة .

6 . مكتبة فرع جمعية الثقافة والفنون:

يملك فرع الجمعية في الباحة مكتبة جيدة يغلب عليها طابع التخصص، وتحتوي على بعض المراجع والمصادر الخاصة بالمسرح والفنون التشكيلية ومدارسها، وبعض الكتب التي صدرت

حول المنطقة وتراثها. كما تحتوي على بعض الأعمال القصصية والدواوين الشعرية والمسرحيات العربية والعالمية. وتضم المكتبة مكتبة صوتية ومرئية تحوي بعض التسجيلات الفلكلورية والعروض الشعبية التي نفذها فرع الجمعية بالباحة. ويوجد في المكتبة أرشيف إعلامي متكامل يحوي أهم الأنشطة التي قامت بها الجمعية بأشكالها المختلفة، الثقافية والفنية والتشكيلية والفلكلورية. كما تضم المكتبة كتيبات تشكيلية متعددة توثق لجميع المعارض التشكيلية الفردية والجماعية التي أقيمت في منطقة الباحة.

7 - مكتبة نادي الباحة الأدبي:

أنشئت هذه المكتبة بعيد إنشاء النادي عام (1415 هـ / 1994 م)، وأوكلت مهمة الإشراف عليها وتطويرها إلى لجنة التأليف والنشر وشراء الكتب التي شكلها النادي عام (1423 هـ / 2002 م). وتقوم هذه اللجنة بشراء الكتب بعد موافقة مجلس الإدارة على ذلك. وتضم المكتبة أكثر من 5,000 كتاب ودورية في اللغة العربية وعلومها والأدب والنقد وعلوم الشريعة الإسلامية والتاريخ والسيرة النبوية. وفيها قسم مخصص لإصدارات النادي، وآخر مخصص لإهداءات الأندية الأدبية والمؤسسات الأخرى، والإهداءات الفردية. وتضم المكتبة أيضاً سجلات بأسماء الزائرين لها فضلاً عن سجلات الصادر والوارد، كما تحتوي على مقاعد وطاولات للقراءة والاطلاع، فيما تقدم للزائرين بعض المرطبات والشاي والقهوة عند زيارتهم لها، وتستقبل الزائرين خلال فترتين صباحية ومساءلية، ويشرف عليها أحد أعضاء مجلس الإدارة.

8 - المكتبة الصحية:

تم إنشاء مكتبة صحية بالمنطقة متخصصة تضم أحدث الكتب والمصادر والمراجع الطبية والصحية بشقيها العلاجي والوقائي⁽¹⁸⁾.

1 - المكتبة الطبية ومركز المعلومات:

تعد المكتبة الطبية ومركز المعلومات أحد المحاور الرئيسية للخدمات التعليمية التي تقدمها إدارة الشؤون الأكاديمية بمستشفى الملك فهد بالباحة حيث تعد الوحيدة من نوعها بمنطقة الباحة وتقوم بتقديم خدماتها لكافة العاملين في مجال الخدمات الصحية بالمنطقة. وتقع المكتبة بالطابق الأرضي بمبنى المستشفى الرئيسي أمام إدارة الموارد البشرية وعيادة الموظفين. تحتوي المكتبة الطبية على 1250 عنوان لكتب طبية حديثة وعدد كبير من المراجع السد والقواميس الطبية الملونة ومواد أخرى لتعلم اللغة الإنجليزية وأيضاً قسم للكتب العربية والإصدارات التي تهتم العاملين بالأقسام الإدارية. وتحوي المكتبة الرقمية 2500 كتاب رقمي مع التجهيزات من الأدوات السمعية البصرية للتعليم الطبي وكذلك برامج تعليم اللغة الإنجليزية تنو وتحتوي المكتبة أيضاً على إصدارات رقمية الأمل لكل الأنشطة العلمية التي تتم في المستشفى ويتوافر أيضاً أرشيف رقمي لبعض الدوريات الطبية الهامة للسنوات الماضية. وتقوم المكتبة الطبية أيضاً بتوفير إمكانية الوصول للعديد من قواعد البيانات على شبكة الانترنت كنتاج للتعاون مع الهيئة السعودية للتخصصات الصحية وكذلك مستشفى الملك فيصل التخصصي ومركز الأبحاث بالرياض. ويتوفر

بالمكتبة أيضا اتصال انترنت عالي السرعة مجانا لكافة العاملين بالمستشفى وذلك عن طريق ١٠ أجهزة حاسب داخل المكتبة⁽¹⁹⁾ والعديد من الأجهزة داخل أقسام المستشفى. وتقدم المكتبة الطبية أيضا خدمات أخرى إدارة ك تصوير المستندات والطباعة والتغليف ونسخ التعري الأقراص المدمجة وغيرها من الخدمات التي - يحتاجها العاملين بالمستشفى وتعمل المكتبة طيلة أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة من الساعة ٠٩:٠٠ صباحا حتى ٠٩:٠٠ مساء.

المكتبة الاقتصادية (مكتبة الغرفة التجارية)⁽²⁰⁾:

منذ تأسيس الغرفة التجارية مع النصف الثاني من عام (1405هـ/1985م) نشأت فكرة تكوين مكتبة اقتصادية تابعة للغرفة وعليه اعتمدت على طريقتين للحصول على ما يجب أن تحتويه هذه المكتبة المتخصصة وهي:

1. مخاطبة جهات الاختصاص والجامعات السبع بالملكة والمعاهد ومراكز البحوث والدراسات. وقد كان لتجاوب العديد الجهات دورا كبيرا في الحصول على الكتب والدوريات والأدلة التجارية باللغتين العربية والانجليزية ونذكر من الجهات السعودية التي ساهمت في تزويد مكتبة الغرفة بالكتب: جامعة البترول والمعادن، جامعة الملك عبدالعزيز، جامعة أم القرى، معهد الإدارة العامة بالرياض، إصدارات السعودية ومجلس الغرف السعودية . الرئاسة العامة للبحوث والدعوة والارشاد بالباحة.
2. مخاطبة دور النشر بالملكة بالإضافة الى الشراء المباشر من الأسواق وقد تم فعلا بعد انتقاء الكتب المناسبة شراء الكثير من الكتب في مجالات مختلفة.

وتحتوي المكتبة على عدد من الكتب والأدلة التجارية باللغتين العربية والانجليزية تم فرزها مجالات وتخصصات متعددة كالاقتصاد والزراعة والإدارة والمحاسبة والصناعة والقوانين والنظم واللوائح، الدين والأدب، المجتمع والشخصيات، تقارير ومؤتمرات وندوات، الأدلة التجارية والدوريات، معلومات عامة وتحتوي المكتبة على كل المجلات والنشرات التي تصدرها الغرف التجارية الصناعية السعودية ومجلس الغرف السعودية وبعض دوريات اتحاد الغرف الخليجية والغرف العربية الأوربية والآسيوية .

الخاتمة:

اتضح من خلال ما ورد في ثنايا البحث أنواع المكتبات التي ظهرت في منطقة الباحة في الفترة (1395-1436 هـ / 1975-2015م) فتنوعت ما بين خاصة وكانت الأقدم ظهوراً في المنطقة واتسمت بكثرة مادتها العلمية ومخطوطاتها وندرة ما فيها من مادة علمية لو حققت لاستفاد منها باحثين كثر، كذلك ظهرت المكتبات العامة إلى جانب الخاصة وتعددت في محافظات المنطقة وهي شاملة لكافة العلوم والتخصصات، كذلك ظهرت المكتبات المؤسسية التابعة للمؤسسات والدوائر الحكومية فكانت خير معين لمنسوبي تلك الدوائر ولقاصديها من الباحثين.

النتائج:

1. يتضح مما سبق توفر المكتبات في المنطقة واحتوائها على الآف الكتب والمؤلفات العلمية.
2. للأسف الشديد لم تعد المكتبات تلعب دوراً كبيراً في المشهد الثقافي والأدبي والفكري والعلمي بالمنطقة وذلك لقلّة مرتاديها من المثقفين والادباء والعلماء وطلبة العلم.
3. لا بد أن تهيأ هذه المكتبات تهيئة مناسبة لتلعب دور المكتبات الراحدة التي تواكب العصر الحديث بمستجداته الإلكترونية والتقنية المبتكرة.
4. تنوعت وتعددت المكتبات في المنطقة تبعاً لتوجه كل مكتبة والمؤسسة التابعة لها فظهرت المكتبات الخاصة والعامة والصحية والمؤسسية والتجارية.

التوصيات:

1. دراسة وضع المكتبات في منطقة الباحة ومعرفة أوجه القصور والخلل فيها وتطويرها بما يتلاءم مع الوقت الحالي.
2. دراسة إمكانية وضع فريق متخصص يعيد النظر في وضع المكتبات العامة والمؤسسية الراحنة ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لتتحوّل المكتبات من هذا الركود وإعادتها إلى مكانتها في قمة الهرم الثقافي حتى مع سطوة القراءة الإلكترونية في الوقت الحالي.
3. دراسة طريقة أكثر فاعلية وجدوى للاستفادة من مقتنيات المكتبات الخاصة

المحاضرات :

الفقيه : خالد بن عمر ،الجهود العلمية لعلماء ومشائخ منطقة الباحة ،(13/9/1438هـ-8-2017م) مقطع فيديو ،محاضرة علمية في الخيمة الرمضانية في فندق ساف ببالجرشي تحت إشراف المكتب التعاوني للدعوة والأرشاد وتوعية الجاليات ببالجرشي .

الهوامش:

- (1) الفقيه : عمر بن خالد، الجهود العلمية لعلماء ومشائخ منطقة الباحة، ، (13/9/1438 هـ-8-6-2017م) مقطع فيديو، محاضرة علمية في الخيمة الرمضانية في فندق ساف ببالجرشي تحت إشراف المكتب التعاوني للدعوة والأرشاد وتوعية الجاليات ببالجرشي .
- (2) الفقيه: الجهود العلمية، محاضرة مرئية مسجله.
- (3) الحريتي: سعدي بن عيد، الحركة التعليمية في سرة منطقة الباحة (جده: المطابع الإسلامية الحديثة، ط1، 1420هـ). ص 41
- (4) والعلامة محمد المنصوري ذهب إلى اليمن عام (1353هـ) وبقي خمس سنوات يطلب العلم ومتفرغ له ، بدأ بدراسة القرآن الكريم وتجويده وقرأ الفقه وتلمذ على يد عدد من المشائخ منهم محمد بن سالم بن عايش والفقيه يحيى بن محمد والفقيه علي بن عبدالله وغيرهم كثير فحفظ متن الزبد عن ظهر الغيب وتنقل في عدد من المدن لطلب العلم فأتقن فنون وعلوم كثيرة من الأصول والفروع والأدب، ومن الكتب التي درسها على أيدي مشائخه المنهاج والشروح في الفقه وفي النحو الافلية وفي الحديث المسلم وبخاري والجامع الصغير وبلوغ المرام وتفسير الجلالين، وقد خرج من اليمن (1358هـ) ، انظر : - الفقيه : الجهود العلمية، محاضرة مرئية مسجله .
- (5) الفقيه: الجهود العلمية، محاضرة مرئية مسجله.
- (6) أبو داهش: عبدالله بن محمد، الحياة الفكرية والأدبية جنوب البلاد السعودية (الرياض : دار الاصاله، ط1، 1402هـ) ص 81
- (7) الدهري: عبدالرحمن أحمد، وآخرون: تاريخ التعليم بمنطقة الباحة من عام (1319-1418هـ) (د، م، دن. دت. د، ط) ص 63.
- (8) ولد عام (1318هـ/1900م) بقرية الحمران إحدى قرى بلجرشي، نشأ وتعلم على يد الشيخ عطية بن صالح الحمراني ومجموعة أخرى من المشائخ قرأ المنهاج والأم للأمام الشافعي والفقيه ابن مالك وغيرها كثير : الحسيل : إبراهيم بن أحمد، غامد وزهران وإنتشار الأزدي في البلدان (د م : شركة دار العلم للطباعة والنشر، ط1، دت) ص 354
- (9) الحريتي : الحركة التعليمية، ص 52.
- (10) السلوك : علي صالح، بلاد غامد وزهران (مجلة الفيصل مجلة ثقافية شهرية :العدد 100، السنة التاسعة ،شوال 1405 هـ ، تموز 1985م). ص 154-155، 193-194-199، انظر، الحسيل: غامد وزهران ، 351، 355.
- (11) الدهري: تاريخ التعليم، ص 14.
- (12) الخريف: رشود بن محمد، وآخرون، موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد السادس، منطقة الباحة (الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ط1، _____)، مج16، ص 386.
- (13) الخريف : موسوعة تاريخ المملكة، مج16، ص 386.

- (14) الخريف: موسوعة تاريخ المملكة، مج16، ص386.
- (15) الخريف: المرجع السابق، مج16، ص386.
- (16) كاتب مجهول: نشاطات متواصلة في جميع المجالات التي تخدم التعليم: (مجلة تجارة الباحة: مجلة اقتصادية متخصصة تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بالباحة، العدد91، السنة 15، جمادى الأولى / جمادى الآخرة، 1422هـ - أغسطس / سبتمبر 2001م) ص 30
- (17) الخريف : موسوعة تاريخ المملكة ،مج16، ص386.
- (18) كاتب مجهول : الباحة الخضراء ومسيرة النماء: مجلة تجارة الباحة، ع 19 ص 16.
- (19) كاتب مجهول : إدارة الشؤون الأكاديمية بمستشفى الملك فهد بالباحة تضم 444 مقعداً: (مجلة تجارة الباحة، اقتصادية متخصصة تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بالباحة، العدد 106، السنة جمادى الأولى -جمادى الآخرة 1430هـ/ مايو -يونيو 2009م)، ص 32-33.
- (20) الغرفة التجارية : الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة الباحة في عامها الثاني 1405-1406هـ الإنجازات ونظرة إلى المستقبل - (د.م : دار المنار للطباعة والنشر بالتعاون مع مطابع سحر ، ط1، 1405هـ) ص 25-26 .

المصادر والمراجع:

- (1) الحريتي: سعدي بن عيد، الحركة التعليمية في سراة منطقة الباحة (جده: المطابع الإسلامية الحديثة، ط1، 1420هـ).
- (2) أبو داهش: عبدالله بن محمد، الحياة الفكرية والأدبية جنوب البلاد السعودية (الرياض : دار الاصاله، ط1، 1402هـ).
- (3) الدهري : عبدالرحمن أحمد، وآخرون : تاريخ التعليم بمنطقة الباحة من عام (1319-1418هـ) (د،م،د،ن. د،ت. د،ط)
- (4) الحسيل : إبراهيم بن أحمد، غامد وزهران وإنتشار الأزدي في البلدان (د،م : شركة دار العلم للطباعة والنشر، ط1، د،ت)
- (5) السلوك : علي صالح، بلاد غامد وزهران (مجلة الفيصل مجلة ثقافية شهرية :العدد 100،السنة التاسعة،شوال 1405هـ، تموز 1985م).
- (6) الغرفة التجارية : الغرفة التجارية الصناعية بمنطقة الباحة في عامها الثاني 1405-1406هـ الإنجازات ونظرة إلى المستقبل - (د.م : دار المنار للطباعة والنشر بالتعاون مع مطابع سحر، ط1، 1405هـ).

الموسوعات :

- (1) الخريف: رشود بن محمد، وآخرون، موسوعة المملكة العربية السعودية، المجلد السادس، منطقة الباحة (الرياض : مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، ط1، د،ت).

المجلات :

- (1) كاتب مجهول : الباحة الخضراء ومسيرة النماء: (مجلة تجارة الباحة، مجلة اقتصادية متخصصة تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بالباحة، العدد19، س4 جمادى الأولى / جمادى الثانية 1409هـ).
- (2) كاتب مجهول : إدارة الشؤون الأكاديمية بمستشفى الملك فهد بالباحة تضم 444 مقعداً : (مجلة تجارة الباحة، اقتصادية متخصصة تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بالباحة، العدد 106، السنة جمادى الأولى -جمادى الآخرة 1430هـ/ مايو -يونيو 2009م).
- (3) كاتب مجهول : نشاطات متواصلة في جميع المجالات التي تخدم التعليم : (مجلة تجارة الباحة: مجلة اقتصادية متخصصة تصدرها الغرفة التجارية الصناعية بالباحة ،العدد91،السنة 15،جمادى الأولى / جمادى الآخرة، 1422هـ - أغسطس/ سبتمبر2001م).

الأوقاف وأنواعها في الأحساء (1331 - 1395 هـ / 1913 - 1975 م) (دراسة تاريخية تحليلية)

قسم التاريخ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

أ. حمد فرج خرصان العرجاني

المستخلص:

يعد موضوع الأوقاف من الموضوعات التي تستحق الدراسة والبحث والتقيب، وذلك لأهميته التاريخية والحضارية والدينية، ولذلك جاءت أهمية الدراسة من أهمية الموضوع الذي قامت بتناوله، وتهدف لتوضيح الأوقاف وأنواعها في الأحساء خلال الفترة (1331-1395 هـ / 1913-1975 م)، وقد اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: يمثل الوقف الأهلي في فترة الدراسة أربعة أخماس الوقف بشكل عام، وهذا يدل على رغبة الموقفين في تأمين أبنائهم، ومن أوقفوا عليهم. يتفوق الرجال على النساء في الوقف الخيري بما يساوي أربعة أضعاف، وهذه النسبة تدل على مسؤولية الرجل الاجتماعية نحو مجتمعه. إسهام أهل الأحساء في أعمال الخير، وتسابقهم في ذلك؛ حتى في بعض النماذج القليلة، والنادرة.

الكلمات المفتاحية: الأوقاف ، أنواعها، الأحساء ، المملكة العربية السعودية

Awqaf and its types in Al –Ahsa (1331- 1395 AH/1913- 1975AD) (Analytical Historical study)

Hamad Faraj K Alarani

Abstract:

The subject of endowments is one of the subjects that deserves study, research and investigation, due to its historical, cultural and religious importance. Therefore, the importance of the study came from the importance of the topic that it dealt with, and it aims to clarify endowments and their types in Al-Ahsa during the period (13311395-AH / 19131975- AD). The study followed the methodology Descriptive historyAnalytical in order to reach results, the most important of which are: The civil endowment in the study period represents four-fifths of the endowment in general, and this indicates the desire of the two endowments to secure their children, and those who endowed them. Men outnumber women in charitable endowments by four times, and

this percentage indicates the man's social responsibility towards his society. The contribution of the people of Al-Ahsa to charitable works, and their competition in that; Even in some rare, few models.

Keywords: endowments, types, Al-Ahsa, Saudi Arabia

مقدمة:

شهدت الأوقاف في المملكة العربية السعودية، في عهد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود وعهود أبنائه الملوك سعود وفيصل رحمهم الله اهتماماً كبيراً بالأوقاف من خلال الاهتمام والعناية من قبل الدولة. ونظراً لكثرة الأوقاف، وتعدد أنواعها في الأحساء اختارها الباحث موضوعاً للدراسة، وتبسيط الضوء عليها على أمل أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة للمكتبة التاريخية تظهر جانباً مهماً ومضيئاً من الجوانب الحضارية في تاريخ المملكة العربية السعودية.

حيث تناول هذا البحث الأوقاف في الأحساء منذ العام 1331هـ/ 1913م حتى العام 1395هـ/ 1975م وهذه الفترة بدأت بدخول الأحساء تحت حكم الملك عبدالعزيز مؤسس الدولة السعودية الثالثة (الحالية) يرحمه الله تعالى الذي أولى عناية بالأوقاف؛ وهذا سبب اختيار تاريخ البداية، وانتهت بنهاية حكم الملك فيصل يرحمه الله تعالى. وقد حاول الباحث إظهار قيمة الأوقاف التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الأحساء لطبيعتها الخاصة، كونها تركت أثراً واضحاً على مختلف نواحي الحياة في الإقليم؛ لذا قام الباحث باختيار هذا الموضوع محوراً لدراسته بعنوان (الأوقاف في الأحساء في الفترة من 1331هـ/ 1913م - 1395هـ/ 1975م)، من خلال تحليل تاريخي لحركة الوقف في فترة الدراسة والتعرف على الواقفين ونوعيات الوقف والموقوف عليهم، وذلك بالاعتماد على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع الخاصة بالأوقاف، ومنها الوثائق الحكومية والوثائق المحلية الخاصة ببعض الأسر والمؤسسات التعليمية والدينية وغيرها. وتهدف الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

- ما هي أنواع الوقف الموجودة في الأحساء.

- ما أعيان الوقف في الأحساء.

- من هم الواقفون.

- على من أوقفت الأوقاف.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة ذُكرَ فيها سبب اختيار موضوع البحث، وطُرحت فيها عدة تساؤلات، كما ذُكرت فيها الدراسات السابقة، وثلاثة مباحث، تناول الباحث خلال المبحث الأول الأوقاف الأهلية، وجاء المبحث الثاني بعنوان الأوقاف الخيرية، وفي المبحث الثالث تم التطرق إلى الأوقاف النادرة، وفي الخاتمة ذكر الباحث أهم نتائج الدراسة.

الدراسات السابقة:

من خلال إطلاع الباحث على الدراسات السابقة في نفس الموضوع اتضح له عدم وجود دراسات تاريخية عن الأوقاف في الأحساء خلال فترة الدراسة، ولكن هناك بعض الدراسات الشرعية

عن الأوقاف بشكل عام في المملكة العربية السعودية، مثل دراسة الماجستير للباحث صالح بن إبراهيم البراك «الولاية على الأوقاف الأهلية»، التي صدرت عن قسم السياسة الشرعية بالمعهد العالي للقضاء في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ 1432هـ/ 2011 - 1433هـ/ 2012م، وقد تناولت إدارة الأوقاف من الناحية الشرعية، وهي بعيدة عن الدراسات التاريخية- موضوع دراستنا في هذا البحث- بينما توجد هناك دراسة تاريخية للباحث عبدالله بن ناصر السبيعي بعنوان «القضاء والأوقاف في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني 1288-1331هـ/ 1871-1913م»، وهي لا تتعارض مع موضوع الدراسة لكونها في فترة سابقة إلا في بعض الوقفيات التي أوقفت في العهد العثماني الثاني وأمتد العمل بها في العهد السعودي، فسوف يتعرض الباحث لطريقة إدارتها وما طرأ عليها من تغير خلال العهد السعودي. وتوجد دراسة أخرى للباحث عبد الحميد بن مبارك آل الشيخ مبارك بعنوان «الوقف وأثره في نشر العلم في الأحساء من القرن الحادي عشر إلى نهاية القرن الرابع عشر»، وهو بحث منشور ضمن كتاب أبحاث مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية الذي نظّمته جامعة أم القرى بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في مكة المكرمة عام 1422هـ/ 2001م. وهو لا يتداخل مع هذه الدراسة إلا في حالات الأوقاف التي أوقفت على التعليم في القرن الرابع عشر الهجري فقط. ولكنه لم يتناول الأوقاف بالتفصيل الذي سوف تقوم به الدراسة كالأوقاف على الفقراء والقضايا الاجتماعية، والموقفين وإدارة الوقف. وكذلك دراسة للباحث عبد الإله بن عبد العزيز آل فريان، بعنوان «نقل الأوقاف ومناقلتها في الفقه وعمل المحاكم»، وهو بحث منشور ضمن منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ندوة الوقف والقضاء، 10-12 صفر، 1426هـ/ 21-23 مارس 2005م. تطرق فيها لنقل الأوقاف من الناحية الشرعية فقط. وأيضاً هناك دراسة للباحث عبد الرحمن الضحيان، بعنوان «إدارة الأوقاف الإسلامية والتجربة السعودية»، بحث مقدم لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، 1422هـ/ 2001م. تناول فيه الأوقاف في المملكة بشكل عام من الناحية الإدارية، واطلع الباحث على جملة من الأبحاث لم يكن لها ارتباط تاريخي بمادة الدراسة.

الأوقاف الأهلية:

بناءً على ما وجده الباحث في سجلات محكمتي الأحساء والمبرز الواقعة في فترة الدراسة، والتي تقدر عدد مجلداتها ما يقارب واحد وتسعون مجلدًا بلغ عدد الأوقاف ألقًا وخمسة وسبعون وقفًا أوقفها تسعمائة واثنان وعشرون واقفًا من أهالي الأحساء وخارجها، وذلك كما يوضح الجدول التالي:

الأوقاف			الواقفون		
جملة	خيري	أهلي	جملة	نساء	رجال
1075	130	945	922	315	607

ومن الجدول السابق نلاحظ أن عدد الواقفين كان تسعمائة واثنان وعشرون واقف بلغ نصيب الرجال منهم ستمائة وسبعة واقف بما نسبته 65.8 ٪، والنساء بلغن ثلاثمائة وخمس عشرة واقفة بنسبة 34.2 ٪، وبذلك نجد أنه أمام كل واقفين من الرجال واقفة من النساء. وأيضاً يتبين من الجدول أن غالبية أعيان الأوقاف كانت من النوع الأهلي بتسعمائة وخمسة واربعين وقف من أصل ألف وخمسة وسبعين وقف؛ أي بما نسبته 87.9 ٪ من إجمالي الأوقاف، وفي المقابل بلغت الأوقاف الخيرية مائة وثلاثون وقف بنسبة 12.1 ٪. ومن خلال ما تقدم يتضح أن مقابل كل خمسة أوقاف أهلية هناك وقف خيري واحد، وذلك من حيث النوع⁽¹⁾. وبما أن الأوقاف الأهلية هي الأكثر عدداً في النوع، فسيكون المبحث الأول عن الأوقاف الأهلية، والمبحث الثاني عن الأوقاف الخيرية. أما المبحث الثالث فسيتناول فيه الباحث الأوقاف النادرة بنوعها لأهلي والخيري، والتي لا تتجاوز عيون الوقف أصابع اليد الواحدة سواء كانت مصادرها من مجلدات المحاكم، أو من الوثائق الأهلية، أو غيرها من المصادر الأخرى.

الأوقاف الأهلية:

يعرف الوقف الأهلي أنه «ما جعل أول الأمر على معين سواء كان واحداً، أو أكثر، وهو يستهدف تحقيق مصلحة خاصة كالوقف على الذرية، والأقارب»⁽²⁾، وبمراجعة السجلات والوثائق التاريخية، وجد الباحث أن الغالبية العظمى من الأوقاف التي أوقفها أهل الأحساء خلال فترة الدراسة كانت أوقافاً أهلية، وسوف نحلل في هذا المبحث تلك الأوقاف من حيث نوعية الواقفين، وأعيان الوقف ونوعية الموقوف عليهم. وقد وجد الباحث أن أغلب أعيان الأوقاف كانت أراضٍ زراعية⁽³⁾، وبيوت، ودكاكين، وقلة لأعيان أخرى؛ لذا سنجد أن عدد الأوقاف الأهلية سيقبل عما ذكر في الجدول السابق بأحد عشر وقفًا، وسيقتصر على الأوقاف التي تميزت بكثرة عددها، والتي سنتعرف عليها من خلال الجدول التالي:

الأوقاف الأهلية	الأراضي الزراعية	البيوت	الدكاكين	الجملة
رجال	الواقفون 723	الواقفون 891	الواقفون 52	الواقفون 055
	عين الوقف 263	عين الوقف 391	عين الوقف 73	عين الوقف 295
نساء	الواقفون 861	الواقفون 421	الواقفون 8	الواقفون 003
	عين الوقف 212	عين الوقف 121	عين الوقف 9	عين الوقف 243

ويتضح من الجدول السابق أن من قاموا بالوقف بحسب العقارات السابقة في الأحساء خلال فترة الدراسة بلغ مجملهم 850 واقفاً موزعين بين النساء والرجال في الأوقاف الأهلية؛ بلغ عدد الرجال 550 واقفاً بما يمثل 64.7 ٪ بينما بلغ عدد النساء الواقفات 300 امرأة بما نسبته 35.3 ٪، في حين بلغت أعيان الوقف 934 وقفًا؛ للرجال منها 592 عيناً بما يمثل 63.4 ٪، بينما للنساء 342 عيناً بما يمثل 36.6 ٪. وفيما يلي سوف يحلل الباحث أعيان الوقف من حيث نسبة كل نوع والعوامل المؤثرة على تلك النسبة، مع ذكر بعض الأمثلة:

(أ) أوقاف الأراضي الزراعية:

كان عدد الواقفين من الرجال للأراضي الزراعية 327 رجلاً بما يمثل من عدد الرجال 59.5%، ومن النسبة الكلية 38.5 %، بينما عدد النساء الواقفات للأرض الزراعية 168 امرأة بما يمثل نسبة 56 % من عدد النساء و19.8 % من العدد الكلي وتمثل الأرض الزراعية للرجال نسبة 61.1 % من أوقاف الرجال وبالنسبة للأوقاف جميعها تمثل 38.8 %، وتمثل الأرض الزراعية للنساء 62 % من أوقاف النساء، و22.7 % من الأوقاف الكلية. ومن أمثلة هذه الأوقاف: وقف محمد بن عبدالمحسن بن جغيما في السدس الشائع من النصف المفرز من العقار المسمى الزهراء، من مزرع الأرز وتوابعه الكائن بقرية المنيزلة ساقية الدوغان، والموثق بموجب حجه شرعية بتاريخ 25 محرم 1335هـ/21 نوفمبر 1916م، ويصرف من غلته أضحية وقياسة أرز طعماً في رمضان كل سنة، وقراءة سورة يس والإخلاص كل يوم على الدوام، وجعل الولي على ذلك أخته فاطمة، ثم أخته عائشة، ومن بعدهما على ذرية عثمان بن جغيما، والفاضل للمتولي⁽⁴⁾. ومن ذلك أيضاً ما أوقفه مطيع الهاجري على ابنه فلاح في عام 1338هـ/1920م، وهو جملة الشطيب الجنوبي، وتابعه السفايل، وجملة الشطيب أبا المجانيز من صفة شطبان أبي خمس الكائن في طرف سودة على ساقية عين مانع، وعين اللويمي⁽⁵⁾. ومن النماذج وقف أحمد إبراهيم بالطيور الموثق بالمحكمة والذي يعود تاريخ توثيقه إلى عام 1339هـ/1921م، وأقره القاضي بأن أوقف السهم المفرز من الغرفة المسماة العوينة بأمر خريسان⁽⁶⁾ وعلى ساقيتها، وجعل ذلك على داود ابن ابنه سليمان، ويصرف من غلتها أضحية كل سنة⁽⁷⁾. ومن أوقاف العقار-الأراضي الزراعية- بموجب الحجة شرعية المحررة في 11 رجب 1342هـ/17 فبراير 1924م، والمسجلة في المحكمة وقف عائشة بنت عبد الرحمن آل أحمد الحسين لتسعة قراريط شائعة في عامة الغرفة المسماة بريكة الكائنة بطرف الحقل لابنتها لطيفة، ويصرف من الغلة أضحية سنة عنها وسنة عن أمها⁽⁸⁾. ومن الأوقاف ما أوقفته نورة بنت إبراهيم بن عبدالله بن مانع جميع الشطيب المسمى أبو ضرس مزرع الأرز بطرف الجبيل⁽⁹⁾ ساقية الجرواني⁽¹⁰⁾، الذي وثق توثيقاً شرعياً بتاريخ 10 ذو القعدة 1344هـ/22 مايو 1926م، وأقرت الوصي على ذلك محمد بن عبدالعزيز المانع على أن يقوم بالصرف من غلته أضحية كل سنة، وقياسة أرز للفقراء في رمضان كل سنة⁽¹¹⁾. ومن أوقاف العقارات على سبيل المثال ما قام به مجموعة من الأفراد؛ وهم نورة وأبناؤها عبدالله، وراشد، وعبد اللطيف أبناء علي بن عيسى الذين أوقفوا جميع السهم المفرز من العقار المسمى البديع، وذلك في العاشر من رمضان عام 1354هـ/6 ديسمبر 1935م على أن يتولى ذلك أولاد عبدالله، وراشد، وعبد اللطيف الذكور، والإناث من علت درجته أو سفلت حسب الإرث بينهم دون أولاد البنات والنظارة للواقفين مدة حياتهم، ولهم أكل فاضل الغلة من بعد العمارة اللازمة، والمعين في صرف الغلة، والنظر من بعدهم للصالح من أبنائهم⁽¹²⁾. وأوقف محمد بن عبدالعزيز الجنيد كامل نصف العشر الشائع في عامة الضاحية المسماة نخل دخیل وتابعها الشرب الكائن بطرف الحدود ساقية ثبر⁽¹³⁾ أبي الخرز من طوائف⁽¹⁴⁾ عين الثعالب⁽¹⁵⁾، وذلك بعد نزع موسمية⁽¹⁶⁾ دفين⁽¹⁷⁾ في عامة الضاحية المذكورة، وتابعها، والسهم المفرز من العقار المسمى

أم رسمة بقرية الطرف⁽¹⁸⁾، وقد أثبت الوقف في المحكمة بتاريخ 30 جماد الأول 1363هـ/23 مايو 1944م، وعلى أن يصرف من غلته أضحية مجزأة كل سنة، والولي على ذلك محمد، وعبدالعزیز إبنی أخیه سلیمان⁽¹⁹⁾. ومن الأوقاف أيضاً وقف ناصر بن أحمد بن محیش الذي أوقف السهم الأوسط من الجزء الشمالي من العقار الصبغة الكائن في قرية الفضول على ساقية الدوغانی⁽²⁰⁾، وذلك في 4 رمضان 1368هـ/30 يونيو 1949م، واشترط الموقوف النظر لنفسه مدة حياته، ثم من بعده، فعلى أبناء ابنه أحمد، وهم يوسف، وخالد، وعبدالله، ثم من بعدهم فعلى أولادهم الذكور خاصة، وهكذا ما تناسلوا وامتدت فروعهم الدرجة العليا تحجب السفلى و ما فضل بعد عمارة الوقف فهو لأبناء أبنائه، أحمد، وعبدالله، وفهد الطبقة العليا تحجب السفلى⁽²¹⁾. وممن أوقف أكثر من عقار عبدالله بن مديرس بن عبدالله المديرس، وأقره في المحكمة، وسجله بشهادة الشهود، وهو جملة الثلث بعد زلول (خروج) ثمنه الشائع من الشطيب المسمى الشمالي من العقار المقيبلي بطرف الخدود، وجملة الربع الشائع من القطعة المفروزة من الشطيب المسمى الوسطي من العقار السابق، واشترط النظر لنفسه مدة حياته، ثم من بعده، فعلى أبنائه الذكور بطناً بعد بطن إلى آخر الدهر، وعين في غلته أضحية مجزئة تذبح في وقتها المعروف كل سنة، وقياساً عيش حساوي منزوع القشر أو من عيش البحر⁽²²⁾، وريالين عربيين، ويفرق ذلك في رمضان على الدوام للفقراء والمساكين⁽²³⁾. ومن أوقاف العقار ما أوقفته عائشة بنت محمد بن عبداللطيف العرفج نصف الشطيب المسمى موزه المفروز من عقار أبا العصفور بالفضول ساقية عين غصيبة⁽²⁴⁾، في 21 ذي الحجة 1378هـ/28 يونيو 1959م وعينت في غلته أضحية، وقياستين أرز طعماً للفقراء، و المساكين في رمضان على الدوام، وجعلت الوصي إبنیها عبدالله، وأحمد إبنی محمد بن سعيد بن جلال، ثم من بعدهما، فعلى أبنائهما بطناً بعد بطن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽²⁵⁾. وكذلك ما أوقفه سعدون بن محمد السعدون القطعة المفروزة المسماة الحريزات بطرف العمار على أبنائه في 21 محرم 1386هـ/12 مايو 1966م، وعین في غلته أضحية⁽²⁶⁾. وعلى الذرية بطناً بعد بطن أوقف حسن بن جبر العقار المسمى القلم الكائن موقعه بطرف الخدود ساقية نهر النقبه على أولاده، وهم حينئذ عبدالله وإبراهيم وعبدالعزیز وجبر ونوره، ومن سيولد له بعد من ذكر وأنثى فحكمه حكمهم، وعلى أبناء الأبناء بطناً بعد بطن الطبقة العليا تحجب السفلى، ونصف الغلة أضحية عنه كل سنة، وقياسة أرز، وريال من نقد البلد في رمضان النصف الآخر فيه أضحية عن عمته عائشة، وقياسة أرز، وريال صدقة للفقراء كل سنة في رمضان⁽²⁷⁾. وبحسب وصية الموصي، فقد اشترى محمد بن عبد العزيز العجاجي بوكالته عن موزي بنت ناصر بن فرحان، وعن إبنیها عبد الله وفهد إبنی فیصل بن فرحان أثلاثاً بينهم جميع وجملة العقار المسمى بالسبيخة الكائن موقعه بطرف بني معن ساقية نهر الخدود بثمن قدره وعده ألف وثمانمائة وأربعون ريالاً، قبضها البائعان بمجلس البيع، ولم يبق لهما ولا لموكلتهما في المبيع المذكور ولا في شيء من ثمنه لدى المشتري وموكلية حق ولا مستحق ولا دعوى ولا طلب بوجه ما ولا سبب، حتى لا يخفى. وبعد البيع والشراء وقبض الثمن والوكالة وقف وحبس وأبد المشتري المذكور محمد للمذكورة موزي بنت ناصر بوكالته عنها ثلث المبيع المذكور، يعمل لها من غلته ما عينته في وصيتها⁽²⁸⁾.

(ب) أوقاف البيوت:

تأتي البيوت في المرتبة الثانية من الوقف حيث يبلغ عدد الرجال الواقفين للبيوت 198 رجلاً وهذا العدد يمثل 36 % من نسبة الرجال في الوقف الكلي بينما يمثل 23.3 % من كافة الوقف للرجال والنساء، وجاء عدد النساء الواقفات للبيوت 124 امرأة بما يمثل 41.3 % ومن النسبة الكلية للوقف ما يمثل 14.6 %، وتمثل البيوت للرجال 32.6 % من وقف الرجال، وتمثل 20.7 % من الوقف الكلي، بينما وقف النساء من البيوت يمثل 35.4 % من وقف النساء، و13 % من الوقف الكلي. ويسوق الباحث عدداً من النماذج لأوقاف البيوت، والتي اطلع عليها من خلال سجلات المحكمة، ومن أمثلة أوقاف البيوت التي وقف عليها الباحث: وقف سليمان بن يحيى الحماد، والذي أوقف داره الكائنة بالرفعة مع تابعها من الحيطان، والباب، والسطوح، والبئر، والمنجى، وقد أوقفها على ابنته لطيفة. والمثبت في المحكمة بموجب وثيقة اطلع عليها القاضي، ومؤرخة في 5 صفر 1335هـ/1 ديسمبر 1916م بتوقيع عيسى بن عبدالله بن عكّاس⁽²⁹⁾⁽³⁰⁾. ومثال للوقف على الأبناء البيت الكائن في حي المقابل بالميرز، والذي أوقفه عبدالرحمن بن صالح العبود على أبنائه بموجب وثيقة شرعية حررت في شعبان 1347هـ/يناير 1929م⁽³¹⁾. وأوقفت منيرة بنت هادي آل محفوظ والكائن بالصالحية على ابنتها سكوتة بنت جابر آل محفوظ، وعلى ذريتها، والمثبت في المحكمة بتاريخ 12 ذو القعدة 1354هـ/5 فبراير 1936م⁽³²⁾.

كما أوقف محمد بن سميح بيته بحلة الشكرية من الرفعة على ابنه عبدالله وأحمد، والمثبت في المحكمة بتاريخ 27 صفر 1355هـ/19 مايو 1936م⁽³³⁾. وفي وقف لجزء من البيت أوقفت موزي بنت راشد الهويشل الثلث الشائع في القسم الجنوبي من البيت الكائن بالنعائل، وجعلت الولاية لها في حياتها وللصالح من أولادها بعد وفاتها، وأثبت ذلك في المحكمة بتاريخ 22 شوال 1355هـ/19 يونيو 1936م⁽³⁴⁾. ونموذج آخر ما أوقفه عمر بن زيد آل صفيان بموجب وثيقة الوقف المحررة عام 1355هـ/1936م، وموثقة في سجلات المحكمة، البيت الكائن في الرفعة، وجعل الولاية والنظارة لابنه، وأباح له الفاضل بعد العمارة والمعين وجعل ولاية البيت بعد ابنه لأقرب عصبة نسباً⁽³⁵⁾. وفي 14 صفر 1356هـ/26 إبريل 1937م، أثبت في المحكمة وقف عبدالرحمن بن عامر لبيته بالصالحية، وجعل الولي ابنه عبدالله بن عبدالرحمن بن عامر⁽³⁶⁾. ومن النماذج المختلفة نسبياً في أوقاف البيوت وقف لأكثر من شخص لبيت واحد، وهم عبدالله، وراشد، وعبداللطيف، أبناء علي بن عيسى الذين أوقفوا دارهم بالرفعة في 1 جمادى أول 1358هـ/19 يونيو 1939م، وجعلوا ولاية ذلك لأولادهم من ذكر وأنثى، وأولاد بنينهم من ذكور، وإنثى دون أولاد البنات. يشترك في ذلك أولاد الواقفين من علت درجته، أو سفلت حسب الإرث للذكر مثل حظ الأنثيين، وهكذا ما تناسلوا، واشترطوا النظر لأنفسهم مدة حياتهم، وللناظر بعدهم عشر الغلة⁽³⁷⁾. ومن ذلك ما أوقفت مزنة بنت موسى بن كلثم في 27 رمضان 1358هـ/17 فبراير 1939م دارها الواقعة بمحلة الصالحية تابع الرفعة بكافة حقوقها، وتوابعها من طريق، وبناء، وسقوف، وأبواب، وحيطان، وجعلت المتولي، والناظر ابن أخيها موسى بن إبراهيم بن موسى بن كلثم، وأباح له الفاضل بعد العمارة

اللازمة⁽³⁸⁾. وأيضاً ما أوقفته هيا بنت عويض، وهي التي حضرت عند القاضي بالمحكمة في 20 رجب عام 1359هـ/24 أغسطس 1940م جميع دارها؛ أرض وبناء الكائنة بالصالحية على ابنها ثم أولاده، وأباحت لهم سكن الدار، وتأجيرها، وأكل الفاضل بعد العمارة، وأداء المعين، وهو أضحية عنها كل سنة، وأباحت لابنها وأولاده ترك الأضحية إن عسروا⁽³⁹⁾. ومن النماذج ما أوقفه أحمد بن عبدالرحمن بن رشادة كامل الدار أرضاً وبناءً في الصالحية تابع الرفعة، على أبنائه ناصر، وعبدالله، ومن احتاج من بناته أمنة، وفاطمة، ونورة، وجعل الناظر ابنه ناصر، ثم من بعده عبدالله، ومن بعدهما أولادهما، بطناً بعد بطن، وأثبت ذلك في المحكمة بحضور الموقوف في 14 رمضان 1365هـ/24 إبريل 1946م⁽⁴⁰⁾. وبدون معينات أوقف فاضل بن علي العقيل بيته في قرية الشقيق⁽⁴¹⁾ على ابنه محمد، وسالم، وأولادهما من بعدهما ما تعاقبوا، وذلك في 7 رجب 1368هـ/5 مايو 1949م⁽⁴²⁾. وما أوقفه في 14 شوال 1370هـ/19 يوليو 1951م، سلطان بن محمد بن راجح بيته الكائن موقعه بالنعائل، على أولاده المنسوبين إليه بطناً بعد بطن إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها، والمعين فيه أضحية سنة بعد سنة، وجعل الناظر ابنه ناصر، وما فضل بعد العمارة والمعين، فله، ولإخوته للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهد على الوقف عبدالمحسن بن عبدالرحمن النويحل، وإسماعيل بن إبراهيم بالطيور⁽⁴³⁾. وكذلك ما أوقفه محمد بن عبدالعزيز المانع بإقراره في المحكمة بوقفه لبيته الكائن حي في الرفعة بتاريخ 21 جمادى الآخرة 1380هـ/11 ديسمبر 1960م على زوجته حصة بنت ناصر بن عبدالله المانع، وابنته نورة، وهو للباقية منهما يسكنان، ويؤجران، والنظارة لهم، ومن بعدهما لأولاده بطناً بعد بطن، والبيت الملاصق له وقفاً على ابنته نورة فقط⁽⁴⁴⁾ وذلك حتى لا يرث إخوته أو أبناء عمومته المنزلين. ويظهر مما سبق ذكره حرص الأهالي، وإقبالهم على وقف البيوت من رجال، ونساء، وأفراد، وجماعات؛ بهدف المحافظة على استقرار أوضاعهم الاجتماعية، وتماسك الأسر من خلال عملية الوقف على الأبناء، والبنات، والزوجات، والأقارب.

(ج) أوقاف الدكاكين:

جاء عدد الواقفين من الرجال للدكاكين 25 رجلاً وهم يمثلون نسبة 4.5 % ومن النسبة الكلية 3 %، بينما عدد النساء الواقفات للدكاكين 8 نساء بما يمثل 2.7 % من عدد النساء ويمثل 9. % أي أقل من واحد بالمائة، وتمثل الدكاكين نسبة 6.3 % من وقف الرجال، و4 % من الوقف الكلي، بينما جاءت نسبة وقف النساء للدكاكين 2.6 % من وقف النساء، 1 % تقريباً من الوقف الكلي. ظهر للباحث من خلال جمع المادة العلمية من سجلات المحاكم في الأحساء أن من أقدم أوقاف الدكاكين في فترة الدراسة هو ما أوقفه سلطان القهيدان بموجب وثيقة شرعية اطلع عليها القاضي بتاريخ 1337هـ/1919م، وفيها أوقف الدكان الكائن بقميرية الشرقية في الجهة الشمالية من سوق المبرز، وأوقف الدكان الثاني بنفس المكان المذكور سابقاً عام 1338هـ/1920م على ولديه سلمان وعبدالله، ومن بعده أولادهما، والمعين فيه بعد العمارة أضحية وقياسة⁽⁴⁵⁾ عيش ونصف ريال يفرق في رمضان⁽⁴⁶⁾. ومثلما أوقفت نورة عمر البديوي، وعذبة زيد آل صفيان بعد المشتري بتاريخ ذو القعدة 1355هـ/1936م الدكان الكائن بالنعائل، وعلى أن يبقى سطحه تابعاً للبائعة⁽⁴⁷⁾.

وبشرط قراءة سورة الإخلاص عشر مرات كل صباح أوقف عبدالعزيز بن عبداللطيف المغلوث في غرة ذي الحجة عام 1355هـ-الموافق 12 من فبراير 1937م الدكان الواقع بسوق المبرز على ابنه⁽⁴⁸⁾. ومثله ما أوقفه الشاعر المعروف حمد بن عبداللطيف المغلوث⁽⁴⁹⁾ بموجب وثيقة شرعية مؤرخة في 18 رجب 1358هـ/3 سبتمبر 1939م دكانه الواقع بمحلة المغاليث بسوق المبرز على ولده فهد⁽⁵⁰⁾. وكذلك في عام 1359هـ/1940م أوقفت سارة بنت عبدالله النفيسة الدكان الذي اشترته في 26 شعبان 1358هـ/11 أكتوبر 1939م، والواقع في فريق السوق بالنعائل على أضحية لها كل سنة، والوصي والمنفذ للوقف ابنتها الجوهرة بنت إبراهيم بن رحيمان ثم على الصالح من ذريتها بطناً بعد بطن، وعقباً بعد عقب، واستمر الدكان تحت يد الجوهرة المذكورة حتى دخل ضمن نطاق حركة التطوير الحديثة، فأصبح جزءاً من الشارع العام، وتم تعويضها بمقابل مادي، ويفترض أن يتم شراء وقف بديل⁽⁵¹⁾. وأوقف علي بن عيسى آل صفيان دكانه الكائن بالنعائل في 2 جمادى الأولى 1365هـ/4 مايو 1946م، والمتولي عليه ابنه سعد، وما فضل بعد العمارة، والمعين لأولاده على حسب الإرث، وعلى أن يصرف منه أضحيتان كل سنة له ولأمه فاطمة بنت محمد آل صفيان، ويوزع صاع تمر ونصف صاع أرز صدقة للفقراء في رمضان كل سنة⁽⁵²⁾. ومن النماذج ما أوقفه إبراهيم بن محمد بورشيد في 17 ربيع أول 1377هـ/12 أكتوبر 1957م الدكان الكبير الكائن في سوق القيصرية بالنعائل، وكان قد شرط النظارة لبنيه إن وجدوا، ولأخيه عبدالله، ثم لبنيه، ثم من بعدهم تكون النظارة لصالح الهاللي، ومن بعده الأقرب من الحمولة الذي فيه الكفاية على أن يكون خمس الفاضل بعد المعايينات والتعمير للناظر، وباقي الربع للأقرب من العصبات المحتاجين⁽⁵³⁾. وأوقف حمد بن أحمد الرشيد دكانه في سوق القيصرية بالنعائل في 23 شعبان 1378هـ/4 مارس 1959م، وجعل الولاية له مدة حياته، ثم من بعده ابنه خليفة على أضحيتان له ولوالديه أحمد ونورة الدليمي، وجدته منيرة الحمادي، وأخواله ناصر، وعلي، ورشيد، وهيا أولاد مبارك الغنام⁽⁵⁴⁾. وأوقف محمد بن عبدالرحمن الشامي الدكان الكائن بالرفعة على يد ابنه خليفة، ومن بعده ذريته بشهادة أخويه عبدالله، وسعد، وإثباته في المحكمة في 19 ذو القعدة 1379هـ/17 فبراير 1960م⁽⁵⁵⁾. ومع شرط الانتفاع لنفسه بالوقف مدة حياته أوقف حسين بن عبدالرحمن النعيم بتاريخ 22 جمادى الآخرة 1380هـ/12 ديسمبر 1960م على ابنه عبدالرحمن دكاناً اشتراه من عثمان الشعبي⁽⁵⁶⁾.

أيضاً أوقف علي بن محمد الفريحي على ابنه محمد دكانه الواقع بالقيصرية الشرقية من سوق المبرز، وذلك بتاريخ 9 شوال 1380هـ/27 مارس 1961م، وجعل أجرة لمن يقرأ جزءاً من القرآن⁽⁵⁷⁾. وتبين للباحث من استعراضه لنماذج أوقاف الدكاكين أنها كانت في معظمها توقف لوجه الله تعالى على الأقارب، والمحتاجين منهم؛ إضافة إلى قراءة القرآن الكريم، أو عمل أضحية سنوية للموقف، وهي صورة من صور التكافل الاجتماعي في المجتمع كما كان الهدف من تلك الأوقاف الحفاظ على الدكاكين حتى لا يبيعها الأبناء، ومنها منع الإناث من الاشتراك في ميراث الدكاكين. ومما سبق طرحه عن الأوقاف الأهلية تبين للباحث أن الواقفين من الرجال يمثلون

ما يقارب الثلثين بينما يمثل النساء الثلث، وهذه النتيجة وإن لم تكن طردية على الدوام إلا أنها تمثل التوزيع الشرعي في الإرث؛ (للذكر مثل حظ الأنثيين). كما ظهر أنه مع كثرة عدد الرجال في الأوقاف الأهلية؛ إلا أن نسبة الوقف للنساء أكثر، وهذا يمثل طبيعة الأنثى العاطفية حين توقف. وقد لوحظ تفوق الرجال على النساء في نسبة وقف الأراضي الزراعية بمعدل الضعف تقريباً، وهو ما يتناسب مع نسبة الوقف الكلي، وذلك لأن أكثر ما يملكه الرجال في الأراضي الزراعية. بيد أن النساء يقتربن من الرجال في وقف البيوت؛ وذلك يعود إلى أن معظم ما يملكه النساء في البيوت لا في الأراضي الزراعية باعتبار أن البيوت أنسب للنساء لكونها سترا لهن، أما الرجل فعمله غالباً خارج البيت. وقد جاءت نسبة الدكاكين هي الأقل في الوقف بين الرجال والنساء ويرجح أن يكون ذلك بسبب بيئة الأحساء الزراعية وكثرة الأراضي الزراعية إذا قيست بالدكاكين، وهذا يدل على أن المزارعين أكثر وقفاً من التجار لطبيعة التاجر الذي يملك المال. ومن أهم ما يمكن أن نلاحظه هو اهتمام الأهالي وحرصهم على المساهمة في أعمال البر والخير المتمثلة في وقفهم لأملاكهم الخاصة على الأقارب، والأرحام، وقد تعدى ذلك الحرص والاهتمام، إلى شكل آخر من أشكال الوقف فيه مصلحة عامة للمسلمين وهو ما سوف يتناوله المبحث القادم وجاءت هذه الأوقاف الأهلية متمثلة في اشتراطات يشترطها الواقف على الموقوف عليهم وتدور حول الصدقة الجارية المتمثلة في أجر الذكر وقراءة القرآن والأضاحي، وكذلك الرغبة في الإفادة للآخرين كما يدخل فيها رؤية الواقف للمستحقين من ذريته واشترطه للصالح فيهم.

الأوقاف الخيرية:

الوقف الخيري؛ يعرف بأنه «الوقف على جهات البر، كالفقراء، والمساكين، والمساجد، وما إلى ذلك»⁽⁵⁸⁾. وهذا النوع من الوقف يستهدف تحقيق مصلحة عامة، كالوقف على المساجد، ودور العلم، وعلى العلماء، والفقراء، ويسمى أيضاً بالوقف المؤبد، أو المطلق؛ لكون مصرفه دائماً في جميع أدواره عائداً على الجهة التي سماها الواقف في حدود الجواز الشرعي، ويعرف الوقف الخيري أيضاً بأنه « ما جعل ابتداءً على جهة من جهات البر، ولو لمدة معينة يكون بعدها على شخص، أو أشخاص معينين فإذا وقف إنسان داره لينفق غلته على المحتاجين من أهل بلده كان الوقف خيرياً»⁽⁵⁹⁾. وتنظيمياً صدرت لائحة الأوقاف الخيرية المنظمة لها بقرار مجلس الوزراء رقم (80) بتاريخ 29 محرم 1393 هـ/ 4 مارس 1973 م، ونصت مادتها الأولى على أن المقصود بالأوقاف الخيرية هو:

أولاً: الأوقاف العامة؛ كأوقاف الحرمين الشريفين، وأوقاف المساجد، وأوقاف الأربطة والمدارس وغيرها من الأوقاف الموقوفة على جهات خيرية عامة.

ثانياً: الأوقاف الخاصة؛ التي تؤول إلى جهات انتفاع عامة بعد انقراض الموقوف عليهم من الذرية والأشخاص المحدودين بذاتهم كأقارب الواقف أو من لهم صلة به أو من رغب الواقف أن يوقف عليهم⁽⁶⁰⁾. وكذلك اهتمت الدولة بأوقاف الأغوات منذ بداياتها، ففي عام 1346 هـ/ 1927 م صدر مرسوم ملكي من الملك عبد العزيز يرحمه الله تعالى ينص على أنه

«بخصوص أغوات الحرم المكي فهم بأمورهم الخاصة على ما كانوا عليه، ولا يحق لأحد أن يعترض عليهم أو يتدخل في شؤونهم»⁽⁶¹⁾. وقد كان للأغوات العاملين في الحرمين الشريفين أوقاف في مختلف أنحاء الدولة السعودية وغيرها من الدول، ولعل أشملها في الجزيرة العربية أوقاف الأغوات في الأحساء التي كانت تمتاز بخيراتها الوفيرة، ومما يؤكد ذلك ما جاء في جريدة أم القرى حول تحصيل هذه الأوقاف، ومما جاء في الجريدة ما نصه:

«لأغوات الحرم الشريف أوقاف خاصة بهم في نجد وقد امتنع إرسالها، وكان عظمة السلطان أمر بأن تجبى تلك الأموال وتحفظ في محل خاص بها ريثما تعطى لأصحابها، وبعد حج هذه السنة انتدب أغوات الحرم من بينهم (علي دينار) واستأذنوا عظمة السلطان في إرساله للأحساء لاستلام ما تراكم من المبالغ هناك، فأذن له بالسفر وأصبحه بمن يرافقه إليها، وقد جاء من علي دينار كتاب خاص يقول فيه إنه استلم من مالية الأحساء مبلغ (8898) ريال فرانساً⁽⁶²⁾ (فرنسيا) و (69) طويلة⁽⁶³⁾، وهذا المبلغ يتجاوز الالف ومائة جنيه، وأن علي دينار اعتمد في إرسال هذه الدراهم لأصحابها الطريقة التي قرر ما له أغوات الحرم، ثم سافر إلى البصرة لقبض ما للأغوات من أموال الأوقاف هناك»⁽⁶⁴⁾. وبعد وفاة الملك المؤسس أيد الملك سعود مرسوم والده بالمرسوم الملكي رقم خمسة وثلاثين الصادر في ربيع الأول سنة 1374هـ الموافق: 27 سبتمبر سنة 1954م، ومما جاء فيه: «إننا نقر أغوات الحرم المكي أن يبقوا على الترتيب والعادة التي يسيرون عليها في أمورهم الخاصة، وألا يتعرض لهم في هذه الأمور أو يتدخل في هذه الشؤون أحد»⁽⁶⁵⁾. ومما تجدر الإشارة إليه أن الأغوات في كثير من الأحيان كانوا يقومون على متابعة أوقافهم بأنفسهم، ومما يؤكد ذلك ما جاء في جريدة أم القرى من إعلان للمستأجرين حول مدى الاستفادة من أراضي أوقافهم المستأجرة، فقد جاء فيها:

«نعلن لكافة من همكة المكرمة وثغر جدة من الذوات والمستحكرين والمستأجرين أراضي أوقاف الأغوات أنه اعتباراً من تاريخه لا يحق لأحد منهم أن يعمر أو يزيد أدنى شيء من البنيان مجدداً أو يبيع للغير أنقاضه القائمة على أراضي أوقاف الأغوات المذكورين أو يشتري الأنقاض المرقومة إلا بعد إعطائنا المعلومات الكافية واستحصال الرخصة والمأذونية اللازمة التي تحفظ حقوق الطرفين، وإحاطة العموم بما ذكر جرى الإعلان»⁽⁶⁶⁾. وكذلك أولى أئمة وأفراد الأسرة الحاكمة في المملكة العربية السعودية منذ قيامها أهمية قصوى للوقف الخيري، وأولوه اهتمام خاص، حيث حبسوا أنواعاً مختلفة من أفضل أملاكهم من مزارع وعمائر وبيوت في عدد من مناطق المملكة على أوجه البر المختلفة، وكانوا حريصين على تنويع مصارف أوقافهم من الصرف على المحتاجين من أسرهم، وعلى عامة فقراء المسلمين، وإعمار المساجد وتأمين ما تحتاجه، وعلى أئمة المساجد ومؤذنيها، وعلى طلبة العلم الشرعي وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، وعلى القضاة وعلى رجال الحسبة القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة أمدية للسقيا، وإصلاحها والمحافظة عليها، وتأمين ما يلزم لها من حفر آبار واستخراج المياه منها، وتوصيلها للأمدية⁽⁶⁷⁾. وكذلك حفر القبور، وتأمين الأكفان وما يلزم لها، ومساعدة المستضعفين، من أهل الخير، في أداء مناسك الحج،

وتأمين إفطار للصوام في شهر رمضان الكريم، وقد جعل معظم أفراد الأسرة الكريمة في أوقافهم أضحى لهم ولوالديهم، وأقاربهم، بلغت مائة أضحى تذبح كل عام، وتوزع من قبل أوقاف آل سعود، على الفقراء والمحتاجين والجمعيات الخيرية، وقد بلغ عدد هذه الأوقاف أكثر من مائتي وقف من مزارع وعمائر وبيوت، ومساجد، يتم صرف ريعها سنوياً في شهر رمضان الكريم، في أوجه البر المختلفة. وهذه الأوقاف خاصة بأفراد الأسرة الحاكمة التي ليس لها ناظر معين من قبل أصحابها، وأما أوقاف الأسرة الكريمة التي يقوم عليها أصحابها أو لها ناظر معين من قبلهم فهي كثيرة ومتنوعة ومتعددة المصارف، وبعض أفراد الأسرة الكريمة أنشأ جمعيات خيرية خاصة بهم، وأوقفوا عليها أعياناً مختلفة. وقد اهتمت الدولة بهذه الأوقاف، وأولتها رعاية خاصة، وانشأت إدارة خاصة باسم إدارة أوقاف آل سعود في 24 رمضان 1388هـ/ 15 ديسمبر 1968م؛ للعناية بجميع أوقاف الأسرة الحاكمة التي لا يوجد لها ناظر بهدف تنمية مواردها، وصرف ريعها في ما نص أصحابها عليه في وصاياهم، وعيّن لها ناظر وهيئة إشراف. ومما هو تجدر الإشارة إليه أن الإمام عبد الرحمن الفيصل آل سعود وأبنة الملك عبد العزيز رحمهما اهتما بالأوقاف وأولاهها أهمية قصوى، حيث أوقفوا عدداً كبيراً من البيوت والمزارع على أعمال الخير المختلفة. واهتم أيضاً عدد من أفراد الأسرة الحاكمة من آل سعود بالأوقاف، حيث حبس عدد منهم أفضل أملاكهم من المزارع التي يملكونها في الأحساء، ومنهم: الأمير عبد الله بن جلوي آل سعود، والأمير سعود بن جلوي، والأميرة منيرة بنت ناصر بن سعود الفرحان، والأميرة موزي بنت ناصر الفرحان⁽⁶⁸⁾. ومن خلال البحث في سجلات المحاكم الواقعة في الفترة الزمنية لنطاق الدراسة؛ وجد الباحث عدد من أصناف الأوقاف الخيرية ذكرت سابقاً في المدخل العام مع مجمل الأوقاف بشكل عام، ويستثنى منها ثلاثة عشر وقفاً خيراً ليست من الأصناف الموجودة في الجدول التالي:

الأوقاف الخيرية	الأراضي الزراعية	البيوت	الدكاكين	الجملة
رجال	الواقفون	53	الواقفون	41
	عين الوقف	67	عين الوقف	61
نساء	الواقفون	6	الواقفون	6
	عين الوقف	9	عين الوقف	6

في الجدول السابق بيان لأوقاف الأحساء الخيرية خلال فترة الدراسة بلغ مجملها 61 واقفاً موزعة بين النساء والرجال في الأوقاف الخيرية؛ بلغ عدد الرجال 49 واقفاً بما يمثل 80.3% بينما بلغ عدد النساء الواقفات 12 امرأة بما نسبته 19.7%. في حين بلغت أعيان الوقف 117 وقفاً؛ للرجال منها 102 عينا بما يمثل 87.2%، بينما للنساء 15 عينا بما يمثل 12.8%⁽⁶⁹⁾.

(أ) الأراضي الزراعية:

كان عدد الواقفين من الرجال للأراضي الزراعية 35 رجلاً بما يمثل من عدد الرجال 71.4%، ومن النسبة الكلية 57.4%، بينما عدد النساء الواقفات للأرض الزراعية 6 نساء بما يمثل نسبة 50

%من عدد النساء و9.8% من العدد الكلي وتمثل الأرض الزراعية للرجال نسبة 74.5% من أوقاف الرجال وبالنسبة للأوقاف جميعها تمثل 65 %، وتمثل الأرض الزراعية للنساء 60% من أوقاف النساء، و7.7% من الأوقاف الكلية⁽⁷⁰⁾. ومن نماذجها: ثلث العقار شطيب البزيزة الغربي في قرية الجبيل، وهو ما أوقفته منيرة بنت ناصر بن سعود آل سعود على تابعتها رقية، والمثبت في المحكمة في 10 شوال 1355هـ/ 24 ديسمبر 1936م⁽⁷¹⁾. وكذلك وقف مريم بنت عبدالله بن ربيع، وهو مستحقها الثلثين بعد زلول نصف عشرهما من غرافة سعيد الخواجا المسماة بالتحيتي في أم خريسان أوقفته على المسجد الذي بقرب المالية، وإمامه، والمثبت في 8 محرم 1358هـ/ 28 فبراير 1939م⁽⁷²⁾. ومنها العقاران اللذان أوقفهما عبدالرحمن بن يوسف الحميدي بحضوره عند قاضي المحكمة في 24 ربيع الثاني 1359هـ/ 1 يونيو 1940م، وهما الستة عشر قيراطاً وثلاثة أرباع القيراط الشائعة والمفرزة من أم الغزلان مزرع البر، وأحد عشر قيراطاً وأربعة أعشار قيراط ونصف ثمن عشر قيراط شائعة في عامة الأرض مزرع البر المسماة المزيديّة، وكلاهما بالريقة، وتصرف غلتهما على عمارة، وإمام مسجد الرقيقة المعروف بجامع الحميدي، والبئر التي تقع غربي البلد الشهيرة بالحميدية، واشترط النظارة لنفسه مدة حياته، ثم لقضاة الأحساء إذا عزل أو مات أحدهم قام الذي بعده في النظارة مجاناً من غير جعل⁽⁷³⁾. وفي نموذج أكثر من عقار أوقف عبدالله بن حسن الكنقي جملة من العقارات هي الثلثين من العقار المسمى المناقليات، ومزرع الأرز المعروف بضاحية الخليفة، والعويرض، والقطعة، والغرايف المسماة الحزاوية، ووريكة، وأم رقية، الدويسة، والنصف الشائع من الغرافة المسماة الشداد على مسجد الكوت، ومدرسته⁽⁷⁴⁾. وعلى آل البيت أوقف وحبس وأبد جواد بحسب ولايته على ملك والده موسى المتوفى، وبما أوصى به في وصيته على أن يوقف العقار المسمى البدو الكائن في طرف الموازن على ساقية نهر المازني قربة لوجه الله سبحانه وتعالى، وأن تصرف حاصله بعد الزكاة والعمار التام، وعشره الباقي يصرف إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أو الولي على الوقف المذكور محمد جواد، ومن بعده من يثق به، ومن يقوم مقامه، ويجعله وكيلًا على الوقف بإذنه. وذلك في غرة رجب 1354هـ/ 1935م⁽⁷⁵⁾.

(ب) البيوت:

تأتي في المرتبة الثانية من الوقف حيث يبلغ عدد الرجال الواقفين للبيوت 14 رجال وهذا العدد يمثل 28.6% من نسبة الرجال الواقفون بينما يمثل 22.3% من الواقفون من الجنسين، وجاء عدد النساء الواقفات للبيوت 6 نساء بما يمثل 50% من الواقفات من النساء و9.8% من الواقفون بشكل عام، وتمثل البيوت للرجال 15.7% من وقف الرجال، وتمثل 12% من الوقف الكلي، بينما وقف النساء من البيوت يمثل 40% من وقف النساء، و5.1% من الوقف الكلي وكان عدد الواقفين من الرجال للأراضي الزراعية 35 رجلاً بما يمثل من عدد الرجال 71.4%، ومن النسبة الكلية 57.4%، بينما عدد النساء الواقفات للأرض الزراعية 6 نساء بما يمثل نسبة 50% من عدد النساء و9.8% من العدد الكلي وتمثل الأرض الزراعية للرجال نسبة 74.5% من أوقاف الرجال وبالنسبة للأوقاف جميعها تمثل 65 %، وتمثل الأرض الزراعية للنساء 60% من أوقاف النساء، و7.7% من الأوقاف الكلية⁽⁷⁶⁾. ومن

أمثلتها: الدار الكائنة بمحلة النافعية من النعائل التي أوقفها عيسى بن عبدالرحمن الماجد على مسجد النافعية، والمثبتة في المحكمة بالوثيقة الشرعية المحررة في جمادى الثانية 1343هـ/يناير 1925م، والتي نصت على أن يتولى؛ إمام المسجد الوقف المذكور⁽⁷⁷⁾. ومن الأوقاف التي لم يذكر فيها اسم موقوفها ما أوردته سجلات المحكمة من وقف الدار الكائنة بمحلة الشعبة من المبرز على المسجد المعروف بأبي منارة، والموثق بتاريخ جمادى الثانية 1344هـ/1925م⁽⁷⁸⁾. ومن أوقاف البيوت كذلك وقف سارة بنت عبدالعزيز بن يحيى بن زرة، والمثبت في المحكمة بتاريخ 2 جمادى الأولى 1369هـ/20 فبراير 1950م، والموقف على معتوقها جوهر، ومن بعده، فعلى أبنائه بطناً بعد بطن⁽⁷⁹⁾. وأوقف مبارك بن ادريس آل ادريس كامل البيت الكائن بالرفعة على مسجده المعروف باسمه، وذلك في 28 شعبان 1374هـ/21 إبريل 1955م، واشترط الولاية لنفسه، ومن بعده على الصالح من أبنائه⁽⁸⁰⁾. وأيضاً أوقف مبارك بن محمد الصرعاوي بيته؛ على إمام مسجد الحادي يتولاه، ويؤجره كل من يؤم المسجد، وذلك في جمادى الثاني عام 1380هـ/ديسمبر 1960م⁽⁸¹⁾. وأيضاً أوقف محمد بن أحمد العفالق جميع وجملة المقسم القبلي المفرز من البيت الكائن بفريق المقابل من المبرز، وجعله محلاً لتعليم القرآن⁽⁸²⁾. وأوقف أحمد بن صالح النويران على المسجد الجامع بقرية الشقيق بيته الكائن بنفس القرية، والمثبت في 4 ذي القعدة 1369هـ/18 أغسطس 1950م بشهادة سليمان بن أحمد النويران، وعبدالعزيز بن عبدالله بن سهل النويران، وسهل بن أحمد بن سلطان⁽⁸³⁾.

كما أوقف مبارك الخطيب على مسجده البيت المجاور لمسجده، والكائن بفريق السياسب من المبرز، وأثبت ذلك في 29 محرم 1381هـ/13 يوليو 1961م⁽⁸⁴⁾. واتضح للباحث من خلال استعراضه لنماذج أوقاف البيوت الخيرية، تنوع الجهات الموقوف عليها من معتوقين، وأئمة، ومساجد، وغيرها طلباً؛ للمثوبة من الله عز وجل.

(ج) الدكاكين:

جاء عدد الواقفين من الرجال للدكاكين 3 رجال وهم يمثلون نسبة 6,1% من الموقوفين من الرجال 4,9% من الموقوفين من الجنسين، بينما لم توقف النساء دكاكين، وتمثل الدكاكين نسبة 9,8% من وقف الرجال، و8,5% من الوقف الكلي.

من نماذج أوقافها: جملة الدكاكين الأربعة عشر الملاصقة لمسجد بن جلال، والموقوفة عليه بموجب وثيقة شرعية يعود تاريخها إلى ربيع الثاني عام 1347هـ/أكتوبر 1928م⁽⁸⁵⁾. ومنها ما أوقفه سلامه بن محمد بن زرع من الدكان الكائن بشارع الخباز، وذلك على عمارة بئر آل زرع الواقعة شرقي الدكان، والمعين فيه دلو ورشاء وبكرة على الدوام، والفاضل للناظر، والمثبت في المحكمة بتاريخ 15 صفر 1358هـ/6 إبريل 1939م بشهادة عبدالرحمن بن سعد الشامي، وعبدالعزيز بن إبراهيم بن زرع⁽⁸⁶⁾. وعلى مصالح المقبرة الشرقية الجنوبية الواقعة جنوب الصالحية أوقف حسن بن جبر بن محمد بن حسن بن جبر ثلاثة دكاكين بالصالحية، وذلك بحضوره للمحكمة في 11 ربيع أول 1358هـ/6 إبريل 1939م⁽⁸⁷⁾. ومنها أيضاً ما أوقفه قاسم بن مهزح خمسة الدكاكين

بقيصرية سوق الهفوف على المسجد الكائن بالصالحية، وبموجب وثيقة شرعية سجلت الوقفية في المحكمة بتاريخ 24 ربيع ثاني 1358هـ/ 13 يونيو 1939م⁽⁸⁸⁾.

كما أوقف عبدالرحمن بن يوسف الحميدي خمسة دكاكين، وثلاث غرف فوقها، وما يتبع ذلك من سطوح، وأبواب الواقعة في القرن من النعائل على عمارة وإمام مسجد الرقيقة المعروف بجامع الحميدي⁽⁸⁹⁾. وأوقف عبدالله بن محمد البحراني دكانه بقيصرية المبرز على قراءة جزء من كتاب الله، وما تبقى من الغلة يصرف في سبل الخيرات، وأثبت ذلك في المحكمة بتاريخ 27 صفر 1381هـ/ 10 أغسطس 1961م⁽⁹⁰⁾. وبشهادة أحمد عبدالقادر، وصالح المرشد أثبت بالمحكمة في 16 ذي القعدة 1383هـ/ 30 مارس 1964م وقف أربعة دكاكين على مسجد ابن جلال بسوق المبرز، وهي تحت نظارة إمامه⁽⁹¹⁾. وتجلّى لدى الباحث مما سبق عرضه من أوقاف الدكاكين الخيرية؛ تسابق الموقفين على تحصيل الأجر من الله، وتقديم المنفعة للمحتاجين من المسلمين من خلال عمارة الآبار، والإنفاق في سبل الخيرات، والعناية بمصالح المقابر، وغيرها من أعمال الخير.

الأوقاف النادرة في الأحساء:

تعددت أصناف الأوقاف في المملكة العربية السعودية عموماً، وفي منطقة الأحساء خصوصاً، ويحاول الباحث في هذا المبحث حصر أهم أنواع الأوقاف النادرة، والقليلة العدد من خلال سجلات المحاكم، والوثائق التاريخية، والمؤلفات، وفيما يأتي أبرزها:

المقابر لعامة المسلمين:

ومن ذلك ما أوقفه محمد بن عبدالمحسن بن سليم آل ملحم الأرض المسماة أم زرينيق بالرقيقة تكون (مقبرة) لعامة المسلمين⁽⁹²⁾.

البساتين:

ومن ذلك ما أوقف من الأرض الشهيرة بالبستان غرب بيت المالية المسماة مغيره بطرف أم خريسان ساقية عينها، ويتبع المحدد المذكور من الغرافة المذكورة سهم مفرز المسمى بسلفة⁽⁹³⁾ العلوان⁽⁹⁴⁾. ومنها أيضاً البستان الموقوف على مسجد الملح، والمثبت في المحكمة بتاريخ 27 ذي الحجة 1358هـ/ 7 فبراير 1940م⁽⁹⁵⁾.

الكتب:

تشير الوثائق المحلية، إلى وجود هذا الصنف من أعيان الوقف خلال فترة الدراسة في الأحساء، ومثاله ما أوقفه لله تعالى في جمادى الثانية من عام 1333هـ/ أبريل 1915م أحمد بن عبد اللطيف الملا (دعاء وسيلة الرضوان بختم تفسير القرآن) تأليف أبي بكر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر الملا المتوفي في سنة 1270هـ/ 1854م⁽⁹⁶⁾. ومن نماذجها أيضاً كتاب (فتح الوهاب في شرح منهج الطلاب في الفقه على مذهب الإمام الشافعي المطبوعي) تأليف أبي يحيى القاضي زكريا. أوقفه وحسبه صالح بن محمد على طلبة العلم، ولولده محمد وذريته النظارة عليه، تم ذلك في ربيع الأول عام 1366هـ/ مارس 1947م⁽⁹⁷⁾.

كذلك كتاب (شواهد قطر الندى وبل الصدى) تأليف عبد العزيز بن غنام⁽⁹⁸⁾ الذي أوقفه عبد الله بن أبي بكر الملا⁽⁹⁹⁾، وجعل النظارة فيه لنفسه، ثم للصالح من قرابته، جرى ذلك في 13 شوال 1374هـ/ 4 يونيو 1955م⁽¹⁰⁰⁾. وكذلك أوقف محمد بن أحمد العثمان كتاب (معالم التنزيل) للإمام البغوي لكل من رغب الانتفاع به من المسلمين وجعل النظارة لبنيه وبني بنيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها⁽¹⁰¹⁾.

المجالس:

ومنها المجلس الكائن بفريق المطاوعة، والذي أوقفه محمد بن عبدالله بن عمير عام 1338هـ/ 1920م، والمعين فيه بعد العمارة قراءة سورة الإخلاص تسع مرات، والمتولي عبدالرحمن بن محمد وأحمد بن عمر بن محمد آل عمير⁽¹⁰²⁾. وأيضاً أوقف عبدالله بن محمد الموسى المجلس الذي بناه بالصاحبة تابع الرفعة، وأثبتت الوقفية في 28 ربيع ثاني 1367هـ/ 10 مارس 1948م، وعين في غلته أضحية، وقياستين أرز وثمان دهن في رمضان كل سنة، وأباح عند الإعسار ترك المعين أو بعضه، والمتولي ابنه عبداللطيف⁽¹⁰³⁾.

الميزان:

ومثاله ما أوقفه راشد، وعبداللطيف، وعبدالله بن علي العيسى في 12 صفر 1361هـ/ 1 مارس 1942م الميزان الحديد بآلته ينتفعون به، ومن أراد من جميع المسلمين⁽¹⁰⁴⁾.

بيت من خشب:

والنموذج لذلك ما أوقفه بفريق الحزم من المبرز مبارك بن مبارك الحزام بيت من خشب، وذلك في 20 ذي الحجة 1388هـ/ 10 مارس 1969م، ويصرف من غلته أضحية له، ولزوجته، واشترط النظارة لنفسه، وبعد وفاته لأولاده الذكور، والإناث، ومن بعدهم لأولاد الذكور ما تناسلوا، وأباح لهم عند الحاجة سكناه، وترك الأضحية عند عجزهم⁽¹⁰⁵⁾.

حجرة:

ومثال ذلك وقف لطيفة آل أبي عتيق لحجرتها المسماة الدار بفريق المرابدة من الكوت على يد بنتها لولوه بنت أحمد المنقاش⁽¹⁰⁶⁾، وأيضاً أوقفت حبيبة بنت عبدالعزيز الموسى حجرتها البالغة مساحتها أربعون ذراعاً، والمسجلة حدودها بالمحكمة⁽¹⁰⁷⁾.

دكة:

ومنها وقف عبدالرحمن بن محيطيب للدكة المشهورة بدكة بن محيطيب، والكائنة في الجهة الجنوبية من سوق المبرز، وعين أحمد بن علي آل مجيوي ناظرًا على الوقف، وقائمًا بمعيناته إلى حين ارشاد عبدالله بن عبدالرحمن بن محيطيب⁽¹⁰⁸⁾.

أوقاف مبارك الهلال:

- قام بوقف أعيان متنوعة، ومنها الأهياب⁽¹⁰⁹⁾، والصخن⁽¹¹⁰⁾، والمحامل⁽¹¹¹⁾، والزلبلان⁽¹¹²⁾،
- وقدر الطبخ، واللبن⁽¹¹³⁾، والسوق الكائن بالجشة⁽¹¹⁴⁾.
- وظهر للباحث من خلال التطرق للأصناف السابقة حرص الأهالي من علماء، وأغنياء،

ومن عامة الناس، على كسب الأجر، والإنفاق في سبل الخير الخاصة والعامة. من خلال تنوع أعيان الوقف؛ وبالتالي استمرارية عملية الوقف.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالى على أن يسر لي إتمام هذا العمل، وأسأله عز وجل أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وبعد، فقد تناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الدور الذي لعبته الأوقاف في الأحساء منذ العام 1331هـ/1913م حتى العام 1395هـ/1975م، من خلال تحليل تاريخي لحركة الوقف في فترة الدراسة، وذلك بالاعتماد على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع الخاصة بالأوقاف، ومنها الوثائق الحكومية والوثائق المحلية الخاصة ببعض الأسر والمؤسسات التعليمية والدينية وغيرها.

- تم من خلاله الإجابة على التساؤلات المطروحة في المقدمة:
- تبين أن أنواع الأوقاف كانت أوقاف أهلية، أو خيرية.
- اتضح أن أعيان الوقف كانت أراضي زراعية، وبيوت، ودكاكين، وأعيان أخرى قليلة ونادرة.
- بالنسبة للموقوفون، فقد كانوا من الرجال، والنساء.
- كانت الأوقاف في غالبيتها توقف على الذرية، أو على الأعمال الخيرية.

النتائج:

- ومن خلال ما تم استعراضه في البحث خرج الباحث بالنتائج التالية:
- يمثل الوقف الأهلي في فترة الدراسة أربعة أخماس الوقف بشكل عام، وهذا يدل على رغبة الموقوفين في تأمين أبنائهم، ومن أوقفوا عليهم .
 - يتفوق الرجال على النساء في الوقف الخيري بما يساوي أربعة أضعاف، وهذه النسبة تدل على مسؤولية الرجل الاجتماعية نحو مجتمعه.
 - لم يسجل الوقف الخيري أي وقف للنساء في مجال الدكاكين.
 - من يقومون بالوقف الخيري توسعوا في وقفهم وتعددت مجالات الوقف بعكس الوقف الأهلي الذي اكتفى بوقف واحد أو اثنين على الأكثر.
 - مثلت الأرض الزراعية الجانب الأكبر في الوقف في الجانبين الأهلي والخيري
 - إسهام أهل الأحساء في أعمال الخير، وتسابقهم في ذلك؛ حتى في بعض النماذج القليلة، والنادرة.

الهوامش:

- (1) سجلات محكمتي الأحساء والمبرز.
- (2) طلال عمر بافقيه، الوقف الأهلي، الطبعة الأولى، دار الثقافة الإسلامية، بيروت، 1419هـ/1998م، ص59
- (3) في سجلات المحكمة تسمى الأرض الزراعية بالعقار.
- (4) أوقاف محمد بن عبدالمحسن بن جعيان، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1366هـ/1947م، سجل 91، ص46.
- (5) أوقاف مطيع الهاجري، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1367هـ/1948م، سجل 55، ص27.
- (6) أم خريسان: نبع متوسط الحجم، وماؤه دافئ يقع شمال الهفوف. انظر: فيدال، المرجع السابق، ص153.
- (7) أوقاف أحمد بن إبراهيم بالطيور، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1360هـ/1941م، سجل102، ص39.
- (8) أوقاف عائشة بنت عبدالرحمن آل أحمد الحسين، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الاول والثاني لعام 1359هـ/1940م، سجل409، ص173.
- (9) الجبيل: من قرى الأحساء الشرقية بالقرب من جبل القارة، وتقع على مسافة خمسة أميال شمالي شرق الهفوف. انظر: حمد الجاسر، المرجع السابق، ق1، ص369.
- (10) الجرواني: نبع يسقي جزء من أراضي قرية الجبيل، ومنبعه من موضع يقال له التغامة الذي تصب فيه قناة السليس. انظر: فيدال، المرجع السابق، ص162.
- (11) أوقاف نورة بنت إبراهيم بن عبدالله بن مانع، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الاول والثاني لعام 1359هـ/1940م، سجل592، ص235.
- (12) أوقاف عبدالله، وراشد، وعبدلطف أبناء علي بن عيسى و أمهم نورة بنت محمد بن يحيى بن زرعه، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الرابع لعام 1358هـ/1939م، سجل7، ص5.
- (13) ثبر: جدول مائي كبير محدود في الأرض. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص34.
- (14) الطوائح: هي أول مياه التصريف الفاضلة عن حاجة النخل، وبه تسقى المزارع التي لا نصيب لها إلا بعد سقي المزارع الأخرى. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص127.
- (15) عين الثعالب: نبع ماء بجوار عين الخدود. انظر: فيدال، المرجع السابق، ص152-153.
- (16) موسمية: وحدة وزن الأرز، والقمح، وتبلغ 100كغم قبل الجرش، و60 كغم بعده، انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص200.
- (17) دفين: مقدار من الثمرة يسلمه المستأجر للمالك. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص69.
- (18) الطرف: من قرى الهفوف الكبيرة تقع إلى جهة الجنوب الغربي من الجشة. انظر: حمد الجاسر، المرجع السابق، ق3، ص1024-1025.

- (19) أوقاف محمد عبدالعزيز الجنيد، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1363هـ/1944م، سجل4، ص2.
- (20) الدوغان: ساقية تروي الناحية الشرقية من واحة الأحساء. انظر: فيدال، المرجع السابق، ص161-162.
- (21) أوقاف ناصر بن أحمد بن محيش، المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني 1368هـ/1949م، سجل 156، ص91
- (22) عيش البحر: يقصد به الأرز القادم مع البضائع البحرية سواء من الهند أو غيرها. مقابلة شفوية مع أ. محمد سعيد الملا بتاريخ 3 ربيع أول 1438هـ/2 يناير 2017م.
- (23) أوقاف عبدالله بن مديرس بن عبدالله المديرس، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الاول لعام 1369هـ/1950م، سجل 138، ص89.
- (24) عين غضبية: نبع يسقي عدد من الحقول، والبساتين قرب الفضول. انظر: فيدال، المرجع السابق، ص158.
- (25) أوقاف عائشة بنت محمد بن عبداللطيف العرفج، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الرابع لعام 1378هـ/1959م، والمجلد الأول لعام 1379هـ/1960م، سجل 1160، ص16.
- (26) أوقاف سعدون بن محمد السعدون، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الاول لعام 1386هـ/1966م، سجل20، ص19.
- (27) أوقاف حسن بن جبر، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1358هـ، سجل 801، ص4.
- (28) وثيقة محلية، لموضي بنت ناصر فرحان، بتاريخ 13 شوال 1354هـ/8 يناير 1936م، انظر للملحق، رقم (20).
- (29) عيسى بن عكّاس: رحل أجداده من عنيزة إلى الأحساء عام 956هـ/1549م. تولى القضاء في الأحساء 1 محرم 1334هـ/9 ديسمبر 1915م. توفي في 4 شوال 1338هـ/21 يونيو 1920م. انظر عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة، ط2، 1394هـ/1974م، ص277-278.
- (30) أوقاف سليمان بن يحيى الحماد، سجلات محكمة الأحساء، المجلد الرابع 1358هـ/1939م، سجل3، ص9
- (31) أوقاف عبدالرحمن بن صالح العبود، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الأول لعام 1378هـ/1959م، سجل183، ص105.
- (32) أوقاف منيرة بنت هادي آل محفوظ، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 53-1356هـ/34-1937م، سجل 298، ص80.
- (33) أوقاف محمد بن سميح، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 53-1356هـ/34-1937م، سجل 36، ص86

- (34) أوقاف موزي بنت راشد الهويشل، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 53-1356 هـ/ 34-1937 م، سجل 188، ص 110
- (35) أوقاف عمر آل صفيان، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1360 هـ/ 1941 م، سجل 38، ص 8.
- (36) أوقاف عبدالرحمن بن عامر، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 53-1356 هـ/ 34-1937 م، سجل 43، ص 125
- (37) أوقاف عبدالله وراشد وعبدالله طيف أبناء علي بن عيسى، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول والثاني لعام 1359 هـ/ 1940 م، سجل 8، ص 6.
- (38) أوقاف مزنة بنت موسى بن كلثم، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول والثاني لعام 1359 هـ/ 1940 م، سجل 3، ص 9.
- (39) أوقاف هيا بنت عويض، سجلات المحكمة العامة بالأحساء المجلد الأول والثاني لعام 1359 هـ/ 1939 م، سجل 528، ص 223
- (40) أوقاف أحمد بن عبدالرحمن بن رشادة، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1365 هـ/ 1946 م، سجل 312، ص 163.
- (41) الشقيق: قرية من قرى المبرز. انظر: حمد الجاسر، المرجع السابق، ق 2، ص 926.
- (42) أوقاف فاضل بن علي العقيل، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لأعوام 1367، 68، 69 هـ/ 49، 50، 1948 م، سجل 312، ص 163.
- (43) أوقاف سلطان بن محمد بن راجح، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1370 هـ/ 1951 م، سجل 284، ص 150.
- (44) أوقاف محمد بن عبدالعزيز المانع، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1380 هـ/ 1960 م، سجل 520، ص 28.
- (45) القياس: وحدة وزن الحبوب وتساوي 10 كغم. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص 164.
- (46) أوقاف سلطان القهيدان، سجلات محكمة بالمبرز، المجلد الأول لعام 1380 هـ/ 1960 م، سجل 260، ص 170.
- (47) أوقاف نورة عمر البديوي، وعذبة زيد آل صفيان، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1361 هـ/ 1942 م، سجل 128، ص 47.
- (48) أوقاف عبدالعزيز بن عبداللطيف المغلوث، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثاني لعام 1382 هـ/ 1962 م، سجل 592، ص 38.
- (49) حمد بن عبداللطيف بن علي بن حمد المغلوث من عبدة من قبيلة شمر. ولد في المبرز عام 1267 هـ/ 1850 م، ولما بلغ سن الشباب استقر به المقام في الكويت، واشتغل بالتجارة متنقلاً بين سواحل الخليج العربي، والهند، توفي في الكويت عام 1337 هـ/ 1919 م. للمزيد انظر: خالد أحمد داود الأحمد المغلوث، شاعر الخليج النبطي حمد عبداللطيف المغلوث، ط 1، مطابع الجواد، الأحساء، 1418 هـ/ 1997 م، ص 85، 93

- (50) أوقاف حمد بن عبد اللطيف المغلوث، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثاني لعام 1389هـ/1969م، سجل 655، ص 88.
- (51) أوقاف سارة بنت عبد الله النفيسة، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول والثاني لعام 1359هـ/1940م، سجل 5، ص 4.
- (52) () أوقاف علي بن عيسى آل صفيان، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1365هـ/1946م، سجل 350، ص 183.
- (53) أوقاف إبراهيم بن محمد بورشيد، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الأول لعام 1377هـ/1957م، سجل 277، ص 160.
- (54) أوقاف حمد بن أحمد الرشيد، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1378هـ/1959م، سجل 795، ص 53.
- (55) أوقاف محمد بن عبد الرحمن الشامي، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1379هـ/1960م، سجل 1166، ص 108.
- (56) أوقاف حسين بن عبد الرحمن النعيم، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1380هـ/1960م، سجل 603، ص 70.
- (57) أوقاف علي بن محمد الفريحي، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثاني لعام 1380هـ/1961م، سجل 424، ص 99.
- (58) أحمد محمد الجمل، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م، ص 25.
- (59) محمد عبد الرحيم الخالد، أحكام الوقف على الذرية في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة مع التطبيق القضائي في المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، مطابع الصفا، 1416هـ/1996م، ج 1، ص 232.
- (60) لائحة الأوقاف الخيرية الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم (80) بتاريخ 29 محرم 1393هـ/4 مارس 1973م، المادة الأولى.
- (61) الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات، مكة المكرمة: من إصدار ومنشورات الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م، ص 23.
- (62) عملة فساوية سكت في فيينا عاصمة امبراطورية النمسا والمجر عام 1194هـ/1780م؛ لغرض استعمالها في الجزيرة العربية، وكانت تحمل صورة امبراطورة النمسا والمجر، ويسمى دولار ماريا تريزا، وقد أطلق عليها محلياً الريال الفرنسية وهو الأكثر شيوعاً، وكذلك الريال الفضة. انظر : عبد الله بن ناصر السبيعي، إقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني 1288-1331هـ/1871-1913م، ط 1، 1420هـ/1999م، مطابع الجمعية الالكترونية، ص 81.

- (63) عملة فارسية الأصل، وهي على شكل ملقط طوله حوالي بوصة. تسك من الفضة والنحاس، وكانت تسك أحياناً في الأحساء. انظر عبدالله بن ناصر السبيعي، المرجع السابق، ص79.
- (64) جريدة أم القرى، الجمعة 14 ربيع الأول -1344 12 أكتوبر 1925، العدد 40، السنة 3.
- (65) الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات، مرجع سابق، ص23.
- (66) جريدة أم القرى، إعلان، الجمعة، 14 جمادى الأولى 1345هـ/ 19 نوفمبر 1926، العدد 101، ص4.
- (67) مقابلة مع مدير أوقاف آل سعود الأستاذ ناصر إبراهيم الفارس، الرياض، بتاريخ 7 جمادى ثاني 1438هـ/ 6 مارس 2017م.
- (68) مقابلة مع مدير أوقاف آل سعود الأستاذ ناصر إبراهيم الفارس، السابقة.
- (69) سجلات محكمتي الأحساء والمبرز.
- (70) سجلات محكمتي الأحساء والمبرز.
- (71) أوقاف منيرة بنت ناصر بن سعود آل سعود، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 53-1356هـ/ 34-1937م، سجل 169، ص107.
- (72) أوقاف مريم بنت عبدالله بن ربيع، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1358هـ/ 1939م، سجل 358، ص120.
- (73) أوقاف عبدالرحمن بن يوسف الحميدي، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول والثاني لعام 1359هـ/ 1940م، سجل 496، ص211.
- (74) أوقاف عبدالله بن حسن الكنقي، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول والثاني لعام 1359هـ/ 1940م، سجل 513، ص218.
- (75) وثيقة محلية، لموسى بوخمسين، 1 رجب 1354هـ/ 29 سبتمبر 1935م، انظر للملحق، رقم (19).
- (76) سجلات محكمتي الأحساء والمبرز.
- (77) أوقاف عيسى بن عبدالرحمن الماجد، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1358هـ/ 1939م، سجل 901، ص668.
- (78) أوقاف مسجد أبو منارة، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثاني لعام 1369هـ/ 1950م، والأول لعام 1370هـ/ 1951م سجل 91، ص44.
- (79) أوقاف سارة الزرعة، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1369هـ/ 1950م، سجل 250، ص152.
- (80) أوقاف مبارك بن ادريس آل ادريس، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1374هـ/ 1955م، سجل 559، ص73.
- (81) أوقاف مبارك بن محمد الصرعاوي، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثالث لعام 1380هـ/ 1960م، سجل 486، ص13، 14.

- (82) أوقاف محمد بن أحمد العفالق، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثالث لعام 1363-64هـ/1944-45م، سجل74، ص135.
- (83) أوقاف أحمد بن صالح النويران، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثاني لعام 1369هـ/1950م، والأول لعام 1370هـ/1951م سجل57، ص25.
- (84) أوقاف مبارك الخطيب، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الأول لعام 1381هـ/1961م، سجل53، ص47.
- (85) أوقاف مسجد بن جلال، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الأول لعام 1381هـ/1961م، سجل50، ص45.
- (86) أوقاف سلامه بن محمد بن زرع، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1358هـ/1939م، سجل714، ص132.
- (87) أوقاف حسن بن جبر، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1358هـ/1939م، سجل985، ص124.
- (88) أوقاف قاسم بن مهزح، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1358هـ/1939م، سجل1248، ص132.
- (89) أوقاف عبدالرحمن بن يوسف الحميدي، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول والثاني لعام 1359هـ/1940م، سجل496، ص211.
- (90) أوقاف عبدالله البحراني، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الأول لعام 1381هـ/1961م، سجل132، ص100.
- (91) أوقاف مسجد بن جلال، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثالث لعام 1383هـ/1964م، سجل802، ص166.
- (92) أوقاف محمد بن عبدالمحسن الملحم، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1356-53هـ/1937-34م، سجل93، ص136.
- (93) سلفة: حوض زراعي مسطح ومستقل. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص96.
- (94) أوقاف البستان، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1358هـ/1939م، سجل570، ص44.
- (95) أوقاف مسجد الملحم، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الرابع لعام 1358هـ/1940م، سجل28، ص15.
- (96) وثيقة محلية، لأحمد بن عبداللطيف الملا، بتاريخ جمادى الثانية من عام 1333هـ/إبريل 1915م، انظر الملحق، رقم (16).
- (97) وثيقة محلية، لصالح بن محمد، بتاريخ ربيع الأول عام 1366هـ/مارس 1947م، انظر الملحق، رقم (17).

- (98) ولد عبد العزيز بن مبارك بن غنام في الأحساء. ودرس في مدرسة ابن غربين بالمبرز. انظر: عبد العزيز أحمد بن عبد العزيز العصفور، فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم، ط2، دار المنار، الهند، 1438هـ/ 2017م. ص 618.
- (99) عبد الله بن أبي بكر الملا الحنفي، ولد في الأحساء سنة 1243هـ/ 1827م. له كثير من المؤلفات منها «بغية السائلين». توفي سنة 1309هـ/ 1892م. انظر: عبد العزيز أحمد العصفور، المصدر السابق. ص 576.
- (100) وثيقة محلية، لعبدالله بن أبي بكر الملا، بتاريخ 13 شوال 1374هـ/ 4 يونيو 1955م، انظر الملحق، رقم (18).
- (101) عبدالله عيسى الذرمان، «أضواء على المكتبة القرآنية عند علماء الأحساء»، الملتقى العلمي الأول بجامعة الملك فيصل - واقع القرآن الكريم وعلموه في الأحساء خلال الفترة 1300-1437هـ/ 1883-2016م، ص 387-388.
- (102) أوقاف محمد العمير، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1364هـ/ 1945م، سجل 196، ص 94.
- (103) 103 () أوقاف عبدالله الموسى، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1367هـ/ 1948م، سجل 226، ص 99.
- (104) أوقاف راشد وعاللطيف وعبدالله بن علي العيسى، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الأول لعام 1361هـ/ 1942م، سجل 80، ص 47.
- (105) أوقاف مبارك بن مبارك الحزام، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الثالث لعام 1388هـ/ 1969م، سجل 666، ص 181.
- (106) أوقاف لطيفة آل أبي عتيق، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1360هـ/ 1941م، سجل 450، ص 205.
- (107) أوقاف حبيبة بنت عبدالعزيز الموسى، سجلات المحكمة العامة بالأحساء، المجلد الثاني لعام 1378هـ/ 1959م، سجل 670، ص 186.
- (108) أوقاف عبدالرحمن بن محييطيب، سجلات المحكمة العامة بالمبرز، المجلد الأول، والثاني لعام 1374هـ - 1375هـ/ 1955م - 1956م، سجل 64، ص 22.
- (109) الأهياص: مفرداها هيب، وهو عمود حديدي يستخدم للحفر، والهدم. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص 211.
- (110) الصخن: آلة فلاحية معروفة، وتعرف بالمسحاة أيضا. انظر: محمد أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص 113.
- (111) المحامل: المقصود به النعش الذي ينقل عليه الميت. حسب إفادة أ. يوسف الهلال، الأحساء، 14-5-1439هـ/ 31-1-2018م.
- (112) الزبلان: مفرداها زبيل، وهي وعاء ينسج من الخوص، أو الحبال الدقيقة، أو الحبال الغليظة، وبعضها يكسى بالليف من الخارج. انظر: محمد بن أحمد الدوغان، المرجع السابق، ص 84.
- (113) اللقن: شبه طست من نحاس، أو صفر ضيق القاع متسع الأعلى. انظر: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 1425هـ/ 2004م، ص 835.
- (114) وثيقة محلية، مبارك الهلال، بتاريخ 1331هـ/ 1913م، حسب إفادة أ. يوسف الهلال، الأحساء، 14-5-1439هـ/ 31-1-2018م.

المصادر والمراجع:

المصادر:

السجلات:

سجلات محكمة الأحساء العامة.

سجلات محكمة المبرز العامة.

الوثائق:

- (1) وثيقة رسمية من معهد الإدارة العامة، لائحة الأوقاف الخيرية الصادرة بقرار مجلس الوزراء رقم (80) بتاريخ 29 محرم 1393هـ/4 مارس 1973م، المادة الأولى.
- (2) وثيقة محلية، لأحمد بن عبداللطيف الملا، بتاريخ جمادى الثانية من عام 1333هـ/إبريل 1915م.
- (3) وثيقة محلية، لصالح بن محمد، بتاريخ ربيع الأول عام 1366هـ/مارس 1947م.
- (4) وثيقة محلية، لعبدالله بن أبي بكر الملا، بتاريخ 13 شوال 1374هـ/4 يونيو 1955م.
- (5) وثيقة محلية، لمبارك الهلال، بتاريخ 1331هـ/1913م.
- (6) وثيقة محلية، لموسى بوخمسين، 1 رجب 1354هـ/29 سبتمبر 1935م.
- (7) وثيقة محلية، لموضي بنت ناصر فرحان، بتاريخ 13 شوال 1354هـ/8 يناير 1936م.

المراجع:

- (1) المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ/2004م.
- (2) الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الحرمان الشريفان التوسعة والخدمات، مكة المكرمة: من إصدار ومنشورات الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م.
- (3) أحمد محمد الجمل، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة، دار السلام، مصر، الطبعة الأولى 1428هـ/2007م.
- (4) حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية (البحرين قديماً)، ط1، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1399هـ/1979م.
- (5) خالد أحمد داود الأحمد المغلوث، شاعر الخليج النبطي حمد عبداللطيف المغلوث، ط1، مطابع الجواد، الأحساء، 1418هـ/1997م.
- (6) عبدالعزيز أحمد بن عبد العزيز العصفور، فتاوى علماء الأحساء ومسائلهم، ط2، دار المنار، الهند، 1438هـ/2017م.
- (7) عبدالله عيسى الزرمان، «أضواء على المكتبة القرآنية عند علماء الأحساء»، الملتقى العلمي الأول بجامعة الملك فيصل - واقع القرآن الكريم وعلومه في الأحساء خلال الفترة 1300-1437هـ/1883-2016م.
- (8) عبدالله بن ناصر السبيعي، إقتصاد الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني

- 1288-1331هـ/1871-1913م، ط1، مطابع الجمعية الألكترونية، 1420هـ/1999م.
- (9) طلال عمر بافقيه، الوقف الأهلي، الطبعة الأولى، دار الثقافة الإسلامية، بيروت، 1419هـ/1998م.
- (10) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة، ط2، 1394هـ/1974م.
- (11) ف. ش. فيدال، واحة الأحساء، ترجمة عبد الله ناصر السبيعي، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع، الخبر، 1410هـ/1990م.
- (12) محمد بن أحمد الدوغان، معجم البيئة الزراعية لواحة الأحساء، مركز الترجمة والتأليف والنشر، جامعة الملك فيصل، 1429هـ/2008م.
- (13) محمد عبد الرحيم الخالد، أحكام الوقف على الذرية في الشريعة الإسلامية، دراسة مقارنة مع التطبيق القضائي في المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة، مطابع الصفا، 1416هـ/1996م، ج1.

الدوريات:

- (1) جريدة أم القرى.
- المقابلات الشخصية:
- (1) مقابلة أجراها الباحث مع أ. محمد سعيد الملا بتاريخ 3 ربيع أول 1438هـ/2 يناير 2017م.
- (2) مقابلة مع مدير أوقاف آل سعود الأستاذ ناصر إبراهيم الفارس، الرياض، بتاريخ 7 جمادى ثاني 1438هـ/6 مارس 2017م.
- (3) مقابلة مع يوسف الهلال، 14-5-1439هـ/31-1-2018م.